السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/٥

كتاب الالمام

الإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى
(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الخامس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة القاهرة

طبع
باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية
تحت إدارة
بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى مدير دائرة المعارف العثمانية
الطبعة الاولى
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

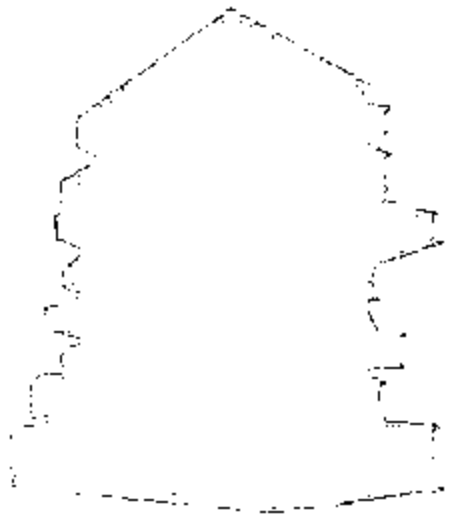

Marfat.com

Marfat.com

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/٥

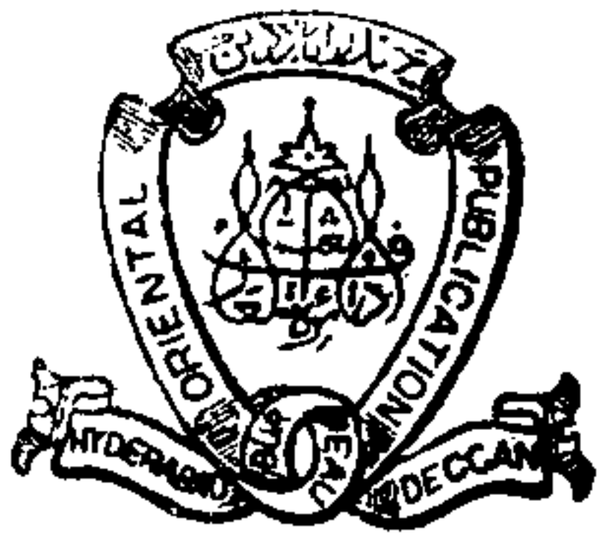

كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الخامس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

Nizami Book Agency

BU[illegible]241601 (٥.P.M)٧٣ / ١٣٩٣ هـ

Marfat.com

132307

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.

Marfat.com

الاهداء

إلى روح الزميل العظيم الخالد المغفور له

الدكتور

محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية وعميدها السابق

ورئيس القسم العربى السابق

بالجامعة العثمانية بحيدرآباد

والأستاذ الزائر سابقا بجامعة كامبردج بانجلتره

وجامعة يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية

Marfat.com

Marfat.com

محتويات

(الجزء الخامس)

الموضوع	الصفحة
مقدمة الجزءين الخامس و السادس	الف - و
ذكر آداب الحرب و الحزم فيه و الصبر عند اللقاء ، و خبر أرسطاطاليس الفيلسوف ، و خبر دارا مع الإسكندر ، و خبر سكندس الفيلسوف مع والدته ، و قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير ، و ذكر الشجعان و ما وصفوا به ، و غير ذلك	١
ذكر ما قيل فى الحزم	٤
ذكر ما قيل فى الصبر	١٠
ذكر كيفية قتل الحجاج ابن الزبير	٢٠
ذكر بلال بن أبى بردة	٢٩
حكاية عن الحجاج	٣٠
ذكر بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر ، و خبر الكاهن و الراهب ، و محاربة الإسكندر لدارا ملك الفرس ، و خبر سكندس مع أمه	٣٤
ذكر الكاهن و الراهب	٣٦
خبر الإسكندر فى بداية أمره	٤١

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
إرسال دارا و طلب المال و جواب الإسكندر	٤٣
أخبار الإسكندر	٥٢
قصة سكندس مع والدته	٥٨
ذكر وقود النار فى الليل على الأسوار و قت الحصار	٦١
ذكر ما قيل فى أربعة خرجوا لاربعة أشياء فوجدوا أربعة أشياء	٦٤
ذكر الطعام الذى لا بد للمحصورين منه	٦٨
صفة خزن القمح	٧٠
ادخار اللحم	٧١
ادخار الحطب و التبن	٧٢
ذكر ما جاء عند لقاء العدو و غير ذلك	٧٤
ذكر نصرة المسلمين على صاحب قبرس اللعين بطرابلس الشام و بلد أياس	٧٦
ذكر خبر أسطول القصع مع أهل قوصرة	٧٩
مطلب فى فعل القبرسى	٨٤
ذكر ما جاء فى فضل الشهادة و ما أعده الله تعالى لأوليائه فى الجنة	٩٢
ذكر ما قيل فى إرم ذات العماد	١٠٠
عود إلى وقعة طرابلس	١٠٤
حكاية المرأة الإسرائيلية	١٠٨
عود إلى قصة القبرسى و حملة طرابلس	١٢٣

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
من قصص موسى و فرعون	١٢٥
عود إلى حكاية المأمون	١٤٥
عود لموضوع القبرسى و طرابلس	١٥٣
قصة إبراهيم بن أدهم	١٥٥
عود إلى حملة القبرسى	١٦١
صفة السلاسل و المين	١٦٣
عود إلى حملة القبرسى	١٦٥
أخبار البنادقة و الجنويين بالإسكندرية	١٩٠
ذكر العناية بالإسكندرية و تولية ملك أمرائها يصير مقيما كدمشق و حلب	١٩٣
روايات فقهية	١٩٧
أخبار الأولياء و الصالحين	٢٠٧
مطلب فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم على سائر العبادات	٢٢٨
ذكر دخول الفرنج العراق	٢٣١
وقعة قازان و الناصر محمد	٢٣٥
موسى على جبل الطور	٢٤٠
خبر الأعمى	٢٤١
خبر العجوز	٢٤٢

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
ذكر الحيات	٢٤٣
فى السياسة	٢٤٤
عود إلى ذكر الحيات	٢٤٥
وفيات الملوك الثلاثة : قازان و أبو سعيد و خدا بنده	٢٤٧
خبر الأعرابى مع أمير المؤمنين المهدى	٢٥٠
ذكر تاريخ قدوم سيف السلطان الملك الأشرف شعبان من القاهرة إلى الإسكندرية و نصب كرسى الملك بها و غير ذلك من الواردات المستطردات	٢٥٤
فى آداب المائدة و موضوعات أخرى	٢٥٦
فى الكرسى	٢٦٤
خبر إبراهيم التازى و الفرنج	٢٧٧
فى التشفى من أعداء الملوك	٢٩٨
خبر المنصور مع بنى أمية	٣١٣
خبر ابن الأحمر و القند بالأندلس	٣١٧
حصون المؤمنين	٣٣٢
أخبار المغاربة و أسارى الفرنج	٣٤٠
ذكر مناقب عمر	٣٤٥
خلافة بنى أمية	٣٤٨
خلافة العباسيين	٣٤٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
ذكر ما جاء فى فتح القسطنطينية	٣٥٧
ولاية طيدمر البالسى الإسكندرية	٣٦٦
تاريخ دخول السلطان الأشرف شعبان الإسكندرية	٣٨٠
مطلب فى حكم البهائم و الوحوش	٣٨١
كلاب الصيد و الجوارح المعلمة	٣٨٦
حبالة صيد الوحش	٣٨٨
الضباع	٣٨٩
الضب	٣٩١
عود للضوارى و الجوارح	٣٩٣
مطلب فى العنقاء	٣٩٥
مطلب فى فن الأدب	٣٩٧
الفيل و الأسد و غير ذلك	٤٠٧
خاتمة الطبع	٤١٨

Marfat.com

Marfat.com

مقدمة

الجزءين: الخامس و السادس

أسلفنا فى الأربعة الأجزاء السابقة من « كتاب الإمام » نشر مخطوطة برلين المرموز لها بالأحرف « بر » مع مقارنة نصها مقارنة دقيقة مع مخطوطة بانكى پور التى رمزنا لها بالأحرف « بن » . و ذكرنا جميع المفارقات اللفظية و الزيادات الكلامية فى الهوامش حتى يتيسر بذلك للقارئ الجمع بين النصين دون عناء . و قد جعلنا نص برلين الأساس الثابت لنشرتنا نظرا لأنها منقولة عن نسخة المؤلف، بالإضافة إلى قدمها و دقة كاتبها و أمانته الواضحة من السياق .

و مخطوطة القاهرة التى رمزنا لها بحرف « القاف » تعتبر استمرارا طبيعيا لمخطوطة برلين، و هى فريدة لم نعثر على نسخ أخرى منها فى الفهارس المعروفة لدور المخطوطات . فكان لزاما علينا أن ننشرها كما هى فى الجزءين الحاليين، و الاجتهاد فى تحقيق ما قد يكون فيها من التحريف اللفظى دون الرجوع إلى نسخ أخرى حسبما فعلنا فى الأجزاء السابقة و إن كنا قد اتبعنا فى نشرها نفس القواعد التى التزمنا بها فى تلك الأجزاء . ذلك إذا تجاوزنا عن الإضافات التى استكملناها فى النص من « بن » لسقوطها من « بر » و ورودها لحسن الحظ فى الأخرى .

و إذا سلمنا بأن المخطوطتين « بر » و « ق » من قلم و أصل واحد، فيكون تاريخهما - كما جاء بآخر « ق » - فى يوم الأحد ١٧ ربيع الأول

Marfat.com

سنة ١٠٦٤ هـ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٥٤ م . و الناسخ أحمد درويش الوقادى شخص غير معروف لم يرد ذكره فى تاريخ أدب ذلك العصر. و المخطوطة بالقلم النسخ الواضح ، ليس فيها سقوط عبارات كثيرة كما حدث فى « بر » . و ظاهر أن الناسخ كان أمينا فيما نسخه حتى أنك لتجد أخطاء الأسلوب فى لغة النويرى موجودة فى كلا الأصلين ، و أغلبها صادر عن اللغة الدارجة على أفواه العامة من سكان الإسكندرية و مصر .

و يلاحظ أن مادة « ق » تتميز بنفس الصفات التى فى الأجزاء السابقة بما فيها تلك « الواردات المستطردات » التى خرج فيها المؤلف عن الحدود التاريخية لذلك العصر . و ربما كانت هذه المبالغة فى ذلك الشرود أشد فى « ق » منها فى « بر » و « بن » على السواء ، كما يتضح من جدول محتويات الكتاب الذى حاولنا بادخال عناوينه فى صلب النص تبويب المادة المرسلة فى أسلوب الكاتب تحت موضوعاتها الخاصة ، فيسهل بذلك على القارئ تناولها و متابعة كل فصل على حدة .

و إذا نظرنا إلى هذه الأجزاء من الزاوية التاريخية البحتة لوجدنا بين ظهرانيها بعض دقائق العصر المملوكى ، منها ما يتعلق بالصراع الصليبى القبرسى الذى بدأ بحملة الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م و ما تلاها من الأحداث التى يصعب استقصاؤها فى غير هذا الكتاب من التواريخ الأصيلة ، مثال ذلك حملات بطرس لوسنيان و خلفائه من ملوك قبرس اللاتينية على طراباس الشام و بلد أياس . ضف لذلك ما شاهده المؤلف من

Marfat.com

من وقائع تاريخ السلطان الملك الأشرف شعبان ما بين القاهرة و الإسكندرية ، ثم نواحى التاريخ المحلى لمدينة الإسكندرية و ذكر آثارها و مبانيها التى كان النويرى شاهد عيان لها ، و من بينها دار الطراز و قصر السلطنة و حيطان المدينة و حصونها و ميناءاها إلى غير ذلك .

ناهيك عن وصفه للموكب السلطانى عند دخوله الإسكندرية و سرد أدوات الحرب و لبوسها حتى إذا تجاوزنا عن ذكره لآداب الحرب و مستلزمات الحصار و الجيوش . و هو إلى جانب ذاك كله يقفز من وراء عصره إلى أجيال سحيقة متنائية . مثال ذلك القصص الذى نسجه حول حياة الحجاج بن يوسف الثقفى ، و ذكر فتوح القسطنطينية ، و وقعة قازان و الناصر محمد ، و قصة الوزير نظام الملك ، و خبر السفاح و أم سلمة ، و حروب ابن الأحمر و القند بالأندلس ، و خلافة الأمويين و العباسيين ، و غير ذلك من المتنوعات ، و كأنه يضرب بخبط عشواء حسبما يقوده القلم . و مع ذلك فلا تخلو أقاصيصه من النقاط النادرة التى تنفع المؤرخ و الأديب . و الظاهر أن النويرى كان يكتب لإتحاف القارئ بما يسره .

ضف لذلك كلامه عن الآثار القديمة و الأهرام و النواميس و الحفريات كما كان يراها إنسان ذلك القرن . ثم إذا به و هو يشرد إلى غير مصر من البقاع و الموضوعات المترامية ، فيتحدث عن الإسكندر و دارا ، ثم كسرى و المزادقة ، ثم بلاد الهند و غيرها . و لكن علينا أن نتذكر أن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب تنحصر قبل كل اعتبار فى

Marfat.com

أحداث التاريخ المحلى على ما ذكرنا، مع ما يمكن إضافته لذلك من العلاقات الخارجية، مثل ما جاء عن أخبار البنادقة و الجنوية، و مغامرات إبراهيم التازى قائد الأسطول السكندرى مع الفرنج، و أقاصيص المغاربة و أسارى الفرنج، أثناء ولاية صلاح الدين بن عرام، ثم طيدمر البالسى على ثغر الإسكندرية. و هى فى مجموعها تلقى ضوءا على صورة ذلك العصر.

و للنويرى استطرادات فى ميادين أخرى كالفقه و الحديث و أخبار الأولياء و الصالحين، و فنون الأدب على اختلافها من منثور و شعر قديم و معاصر. فهو يتناول الخنساء و الفرزدق و الحارث بن عمرو الكندى و مجنون ليلى الذى خصص لشعره مكانا مرموقا جاء فيه من القصائد ما لم نعثر عليه فى الدواوين المعروفة. و فى نفس الوقت يردف هذا الأدب الرفيع ببعض قصائد العصر و قصائده التى صاغها فى مناسبات لها قيمتها بالرغم من ركاكتها، و أسلوب النويرى فى جملته مصطنع يعمد فيه إلى السجع الذى لا يخف على السمع.

و بالكتاب أبواب عدة متباعدة يطيح فيها المؤلف مثلا ما بين صناعة الحرب، إلى آداب المائدة، إلى مطلب فى حكم البهائم و الوحوش، إلى العود و الطيب و صنوف البهار و المحاصيل المستوردة من الهند، مما حاولنا التعريف به و إن كان ميدان التنقيب فى ذلك ما زال خصيبا أمام الباحثين.

و للقصص و الحكايات فى «الإلمام» دور كبير، و هى على ثلاثة

أنواع رئيسية : أولها مشتق من القرآن غير أن التويرى ألبس هـذا النوع ثوب « الدراما » . و ثانيهـا أدبى أو تاريخى ، مثل حكاية المرأة الإسرائيلية ، و خبر الأعرابى مع الخليفة المهدى ، و خبر اليهودى و المئذنة إلى آخره . و ثالثها نوع خيالى يحمل بعض الشبه إلى « ألف ليلة و ليلة » مثل روايـة لواء الملك بن سيف التيجـان و زواجه بالدعجاء ، ثم قصة أخرى فى مدينة الطلاسم . و لا نعلم لهما أصلا . و فى مطلع الكتاب ما هو أغرب و هو « قصة سكندس مع والدته » من الأدب الإغريقى القديم ، و هى تذكرنا بقصة « أو ديب الملك » مع ما بينهما من مفارقات ، و لا نعلم كيف وصل الكاتب إلى مادتها فى الأدب اليونانى القديم .

و من العجيب أن التويرى فى كتابـاتـه يتأرجح بين الكلام فى الزهد و التصوف ، إلى ما لا يتفق و الذوق السليم من أدب المجون و العلاقات الجنسية مما ترددنا طويلا فى نشره بمثل هذا الكتاب ، و فى نهاية الأمر اضطررنا بعد مشاورات مع جمهرة العلماء و المفكرين أن نترك النص كما هو سليما غير مقتضب لأسباب عدة ، ربما كان أهمها الأمانة الأدبية فى الإنتاج ، أضف لذلك الطابع التاريخى و الأدبى لبعض حكاياته كما جاء فى حادثة الفرزدق و النوار زوجته ، و رواية أبى شجاع أحمد بن الحسن الشافعى ، و قصة عمرو بن الجاحظ وزير المقتدر ، و تاريخ أهل الرس و ما آل إليه أمرهم لاستغراقهم فى الفحشاء . ثم إن الأبواب التى تكلم فيها التويرى عن شهوات الرجال و النساء عـلى ما فيها من التفصيلات العجيبة التى وددنا حذفها ، إنمـا هى جزء مقبول فى أدب

Marfat.com

القرن الرابع عشر الذى لا يمكننا تحمل مسؤليته فى القرن العشرين رغم ما قد ينطوى عليه من فائدة للباحث فى « فزيولوجيا » الجنس . لكل هـــذا رضينا مكرهين فى نشر الكتـاب برمته دون حـــذف أو تحريف .

أما و قد وصلنا إلى خاتمة المطاف فى بعث هـــذا النص الطويل المعقد ، و ما احتواه من موضوعات عديدة متباينة ، فيها الزبد و ما ينفع الناس ، و فيها الغث و السمين ، فانه لا يسعنا إلا تقديم الشكر لجميع من شاركونا فى مراجعته و تصحيح أصوله ، و على رأسهم صديقنا الراحل المغفور له الأستاذ الدكـــتور محمد عبد المعيد خان المدير السابق لدائرة المعارف العثمانية ، وكذلك صدر المصححين الأستاذ المفضال القدير الشيخ حبيب الله القادرى . و لا يفوتنـا ما لمدير الدائرة الحالى فضيلة الشيخ الأستاذ السيد عبد الوهاب البخارى من أياد فى تيسير طبع هذه الأجزاء بجدارة . و موعدنا الآن هو الجزء السابع الذى سيضم غير الفهارس الضافية مقدمة تاريخية و ثبتـا بمراجع الكتاب و ما قـد يعن إلينا من حواش جديدة أو مادة تكميلية لما جاء فى الأجزاء الستة السابقة ـ و الله ولى التوفيق .

نيو دلهى

فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٣ عزيز سوريال عطية

Marfat.com

حاشية

عنوان مخطوطة القاهرة الوارد على صفحتها الأولى كما يلى بغير اسم المؤلف :

كتاب الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية

فى وقعة الإسكندرية الواقع بها فى سنة

سبع و ستين و سبعمائة

و عودتها إلى حالتها المرضية مع ما أضيف

إلى ذلك من الواردات المستطردات

* * *

ثم تحرر على نفس الصفحة بقلم حديث من موظفى دار الكتب المصرية ما يأتى :

وارد بالشراء من تركة على باشا مبارك

و مضاف فى ٢١ إبريل سنة ١٨٩٥

عمومية	تاريخ	خصوصية
٢٨٥٥٨		١٤٤٩

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

و هو المعين

ذكر آداب الحرب و الحزم فيه و الصبر عند اللقاء

و خبر أرسطاطاليس الفيلسوف ، و خبر دارا مع الإسكندر ، و خبر سكندس الفيلسوف مع والدته ، و قتل الحجاج لعبد الله ابن الزبير ، و ذكر الشجعان و ما وصفوا به ، و غير ذلك .

و قد جمع الله آداب الحرب فى قوله تعالى[1] : " يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * و اطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم ، و اصبروا ان الله مع الصٰبرين * " .

قال الشيخ أبو على الدقاق : الصابرون لعز[2] الدارين نالوا مع الله معية[3] " ان الله مع الصٰبرين " . و قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه

---

(١) قرآن كريم سورة ٨ آية ٤٥ و ٤٦ .

(٢) فى الأصل : بعز .

(٣) فى الأصل : معينة .

Marfat.com

المشركين : ألا تروهم[1] يتلمظون تلمظ الحيات ا و سمعت عائشة الناس يكبرون فى يوم وقعة الجمل فقالت : لا تكبروا ، فان كثرة التكبير عند القتال من الفشل . و كان[2] بنوضبة فى هذه الوقعة يقولون :

٥ نحن بنو ضبة أصحاب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل

و لوقعة الجمل خبر عظيم عجيب تركنا ذكره لشهرته .

و إذا وجب الجهاد حرم الفرار لقوله تعالى[3] : " يا ايها الذين امنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار * " إلا أنه ما استثنى المتحرف للقتال و المتحيز إلى فئة[4] ، و هو فى الآية حسن جدا لأن

٢ / الف ١٠ الاستثناء / فيما بعد قوله " لقيتم " و اللقاء متأخر عن وجوب الجهاد ، و بالجملة أن استثناء الانحراف و التحيز من القتال و الملاقاة أحسن من استثنائهما من تعيين الجهاد و وجوبه .

قال المفسرون : المتحرف المذكور فى الآية هو الذى يرى العدو من نفسه الانهزام ، و ليس مقصوده الانهزام حتى يتبعه العدو فيكر ١٥ عليه ، و هو إحدى المكائد فى الحرب . و أما التحيز إلى فئة هو الرجوع

(١) فى الأصل : تروهم . و بهامش المخطوط : يعنى أصحاب محمد .

(٢) فى الأصل : كانوا .

(٣) قرآن كريم سورة ٨ آية ١٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٨ آية ١٥ و ١٦ . بقية الآية : " و من يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله و مأويه جهنم و بئس المصير * " .

Marfat.com

إلى أمير الجيش يكون قريبا منه، و أما إن بعد الأمير و الجماعة فلا يجوز ذلك . قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة لكل مسلم .

ذكر بعض المتأخرين عن ابن سحنون فى قرية حاصرهم العدو [فيها -[1]] و جاعوا و لم يقدروا على القتال، فطمعوا أنهم لا يقتلون إن أسروا فليخرجوا للأسر، و إلا أجبروا حتى يموتوا جوعا، و لا يخرجون فيقتلون جبرا . قال : و اعترض هذا أبو إسحاق بأن القتل جبرا أهون من الصبر للجوع، فهو كمن فر من موت إلى موت أخف . و أما خير الأصحاب و خير السرايا و خير الجيوش فهو ما روى عن ابن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : خير الأصحاب أربعة، و خير السرايا أربعمائة، و خير الجيوش أربعة آلاف[2] . فهو ما روى عن ابن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من عجز منكم عن الليل أن يكابده، و بخل بالمال أن ينفقه، و جبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله، و ليكثر من « لا حول و لا قوة إلا بالله و سبحان الله و الحمد لله و الله أكبر » .

أوصى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[3] أميرا سيره إلى بلاد الروم بجيش و قال له : أنت تاجر الله لعباده فكن كالتاجر الكيّس، إن وجد ربحا اتجر و إلا احتفظ برأس المال، و لا تطلب الغنيمة حتى

(١) الكلمة ساقطة من الأصل، و تستقيم العبارة بذكرها .
(٢) زيد بهامشه : و لن يغلب اثنا عشر ألفا من ضعف إذا اجتمعت .
(٣) خلافته ٦٥ / ٨٦ هـ = ٦٨٥ / ٧٠٥ م .

Marfat.com

تحرز السلامة ، و كن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك ، و الحزم دأب العقلاء .

و عبد الملك هو أبو الأملاك من بنى أمية ، فانه ولى الخلافة أربعة من ولده و هم الوليد [1] و سليمان [2] و يزيد [3] و هشام [4] .

و كان مظفرا على أعدائه ، فانه غلب فى أيامه على عدة رجال أكابر كانوا فى زمانه يناهضونه فى الخلافة ، مثل عبد الله بن الزبير ، و المصعب أخيه ، و عمر بن سعيد الأشرق ، و عبد الرحمن بن الأشعث ؛ فكل واحد / منهم ما قامت له معه قائمة ، و كلهم قتل و حكم فيهم سيفه - ٢ / ب

انتهى .

ذكر ما قيل فى الحزم

نعود إلى ما قيل فى الحزم - قيل مذكور فى كتب العجم أن بعض ملوكهم سئل : أى مكائد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون و استطلاع الأخبار و إظهار الشرور و إماتة الفرق و الاحتراز من البطانة من غير إقصاء من يستنصح .

---

(١) خلافته ٨٦ / ٩٦ هـ = ٧٠٥ / ٧١٥ م .

(٢) خلافته ٩٦ / ٩٩ هـ = ٧١٥ / ٧١٧ م .

(٣) أى يزيد الثانى ، و خلافته ١٠١ / ١٠٥ هـ = ٧٢٠ / ٧٢٤ م .

(٤) خلافته ١٠٥ / ١٢٥ هـ = ٧٢٤ / ٧٤٣ م .

(٥ - ٥) نقلا عن الهامش فى الأصل .

و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية : باسم الله و على عون الله ، امضوا بتأييد الله و النصر ، و لزوم الحق و الصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، و لا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، و لا تجبنوا عند اللقاء ، و لا تمثلوا بأحد عند القدرة ، و لا تسرفوا عند الظهور ، و لا تقتلوا هرما و لا امرأة و لا وليدا ، و توقوا قتلهم [إذا] التقى الجمعان[1] ، و عند شن الغارات ، و لا تغلوا عند الغنائم ، و نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، و أبشروا بالربح فى البيع الذى بايعتم ، و ذلك هو الفوز العظيم .

و ينبغى لقائد الجيوش ألا يغضب على من يسىء عليه الأدب ، بل يتثبت فى أمره ، و لا يؤاخذ أحدا على ذلك ، ففى ترك الغضب حسن السياسة و الرئاسة ، بل يكون كالوجيه بن المبارك[2] الأعمى النحوى . و ذلك أنه كان لا يغضب أبدا ، قد علم منه ذلك . فتراهن جماعة مع واحد إن أغضبه له كذا و كذا درهم . فجاء إليه فسأله عن مسألة فى النحو ، فأجابه فيها بأحسن جواب . فقال له السائل : أخطأت - و الذين راهنوه مقابله يسمعون خطابه للرجل و خطاب الرجل له . فأعادها الوجيه على السائل ثانية . فقال الرجل له : أخطأت أيضا . فأعاد الوجيه ثالثة . فقال الرجل له : كذبت فيما قلت و كأنك نسيت النحو و كنت إماما

(١) فى الهامش : « هاهنا سقط و لعله : الجمعان » ، و قد أدخلنا الكلمة فى النص ، و زدنا لفظة « إذا » فى العبارة ليستقيم المعنى .

(٢) فى هامشه : قصة الوجيه فى عدم الغضب .

Marfat.com

فيه . فقال الوجيه : فلعلك ما تفهم ما أقول لك . فقال : بلى و لكنك تخطئ . فقال له : قل ما عندك لنستفيده منك ، فذكر السائل فى النحو خطأ كله . فقال الوجيه : إن كنت راهنت على أن أغضب فقد غُلبت ، إنما مثالك عندى مثل ناموسة سقطت على الفيل ، فلما أرادت الطيران قالت له : استمسك لنفسك فانى أريد [أن - ١] أطير ؛ فقال لها : ما أحسست[٢] بك حين سقطت[٣] علىّ / فما أحتاج أن استمسك إذا ٣/ الف طرت[٤] - انتهى .

نعود - قال الواقدى : قدمت منهزمة الروم على هرقل ملك الروم و هو بأنطاكية ، فدعا رجلا من عظمائهم فقال : ويلكم ! أخبرونى ما هؤلاء الذين تقاتلونهم - يعنى العرب الذين أتوا من الحجاز - بسبب فتح الشام و أخذه من أيدينا . قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موضع . قال : ويلكم ! فما بالكم تهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا فقام شيخ منهم فقال : أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون . قال : أخبرونى . قال : إذا [٥]حملنا عليهم صبروا ، و إذا حملوا علينا صدقوا[٥] ،

---

(١) ساقطة من الأصل و تستقيم بذكرها العبارة .

(٢) فى الأصل : حسيت ، و هى الكلمة العامية بمصر .

(٣) فى الأصل : سقطتى .

(٤) فى الأصل : طربى .

(٥ - ٥) فى الأصل : إذا حملوا علينا صبروا . و إذا حملنا عليهم صدقوا . و الصواب ما أوردناه كما يتضح من سياق الحديث .

و نحمل

Marfat.com

و نحمل عليهم فنكذب و يحملون [1] علينا فلا نصبر . قال : ويلكم ! ما بالكم كما تصفون و هم كما تزعمون ؟ ثم قال للشيخ : ما كنت أراك إلا و قد علمت من أين هذا . قال : من أجل أن القوم يقومون الليل ، و يصومون النهار ، و يوفون [2] بالعهد ، و يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن المنكر ، و لايظلمون أحدا ، و يتناصفون بينهم ، و من أجل أنا نشرب الخمور و نزنى ، و نرتكب الحرام ، و ننقض العهد ، و نغضب و نأمر بما يسخط الله ، و ننهى عما يرضى الله ، و نفسد فى الأرض . قال هرقل : صدقتنى ، و الله لأخرجن من هذه القرية ! فما لى فى صحبتكم خير و أنتم هكذا . فاجتهد [3] المسلمون و فتحوا الشام و مصر و الإسكندرية بملازمتهم التقوى و عدم طلب الدنيا ، بل قصدوا رضى الله تعالى و إقامة دينه . فبذلك فتح الله لهم البلاد ، أخذوها من أيدى القبط و الروم [4] بالاجتهاد والجهاد [4] . و انتفى [5] الملك رسطوليس المقوقس من مصر و الإسكندرية ، و انتفى [5] أيضا قبل رسطوليس هرقل صاحب الشام هو و من تبعه من الروم إلى القسطنطينية . و ذلك بفضل الله و منّه و عونه . فحصل حينئذ بها التوحيد بعد الكفر و الشرك بالله تعالى .

(١) فى الأصل : يحملوا .

(٢) فى الأصل : يوفوا .

(٣) فى الأصل : فاجتهدت .

(٤-٤) وفى الأصل : و الاجتهاد بالجهاد .

(٥) من مادة النفى .

Marfat.com

٣ / ب وكان الملك المقوقس صاحب مصر / فاضلا عارفا بأن نبياً من العرب سيظهر و يكون خاتم النبيين ، و ذلك بمطالعته لكتب الأولين ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه و سلم ، وكاتب المقوقس يأمره بالإسلام و ترك عبادة الصلبان ، كاتبه المقوقس مكاتبة حسنة ، و أهدى إليه هدية جيدة ـ تقدم ذكر تلك[1] المكاتبة و صفة الهدية فى صدر هذا الكتاب فأغنى عن الإعادة .

و كان المقوقس فوض إليه الملك هرقل ملك الشام أمر مصر و حربها و جباية خراجها ، فكان نائبا لهرقل عليها ، فلما قدم عمرو بن العاص إلى مصر يريد فتحها ، و إقامة دين الإسلام بها بعد فتح الشام و هرب[2] هرقل من المسلمين فى البحر ، قصد المقوقس مصالحة عمرو بن العاص على مصر ، فجمع القبط و قال لهم : اعلموا أن الملك ليس هو بالكثرة و الغلبة ، و إنما هو بالسياسة و حسن التدبير ، فمن ملك عقله ملك أمره ، و من ملك أمره أمن حوادث الدهر ، و الله لقد كان الملك هرقل أكثر منى جندا و أوسع بلادا ! فما قدر أن يرد القضاء و القدر ، و المصلحة صلح هؤلاء العرب على أموالكم و أولادكم و حريمكم ، فانكم إذا فعلتم ذلك أمنتم ـ و السلام . فقالوا له : افعل ما بدا لك فرأيك أعلى . فلما صالح المقوقس المسلمين[3] قتله ولده رسطوليس بسبب ما فعل من الصلح و هرب إلى الإسكندرية .

(١) فى الأصل : ذلك .
(٢) فى الأصل : و هروب ـ و الصواب ما أوردناه فى السياق .
(٣) فى الأصل : المسلمون .

Marfat.com

فأتى[1] المسلمون له فهرب إلى جزر البحر - كما تقدم ذكر ذلك مفصّلا . فصارت إذ ذاك أرض مصر و الشام دور إسلام - و السلام . فالنصرة ليست بالكثرة ، إنما بالتأييد و الإعانة من الله تعالى . قال الله تعالى[2] : "و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا" .

قيل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبنى عبس : كم كنتم يوم الهباة[3] ؟ قالوا[4] : مائة كالذهب ، لم نكثر فنتواكل ، و لم نقلّ فنزلّ ، قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم و لستم بأكثر منهم عددا و لا مالا ؟ قالوا[5] : كنا نصبر / عند البأس هنيهة - انتهى . ٤ /الف

و كان شيوخ الجند فى بلاد المغرب يحكون ، قالوا[6] : دارت الحرب بين المسلمين و النصارى ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة من بيضة الحديد[7] قُدّ[8] ثلثها بما حوته من الرأس . فيقال إنه لم يُرَ قط ضربة أقوى

---

(١) فى الأصل : فأتت .

(٢) قرآن كريم سورة ٩ آية ٢٥ . و الآية بتمامها " لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * " .

(٣) فى الأصل : الهياة .

(٤) فى الأصل : قال .

(٥) فى الأصل : لم نفتل .

(٦) فى الأصل : قالت .

(٧) أى الخوذة التى تلبس لحماية الرأس .

(٨) فى الأصل : قدر . و صححتها كما أوردنا من السياق .

Marfat.com

منها ، فحملتها نصارى الفرنج إلى بلادهم و علّقتها فى كنيستهم ، و كانوا إذا عُيِّروا بالهزيمة يقولون[1]: وجدنا رجالا يضربون هذا الضرب ، و يصبرون على مضض الحرب ، فيصبرهم غلبونا ، و بثباتهم هزمونا ، فانظر إلى قوة ساعد هذا الضارب كيف كسر بعض بيضة الحديد مع بعض الجمجمة .

و قيل إن رستم الأرمنى كان من أهل النجدة و القوة . ذكروا عنه أنه لبس ذات يوم درعى حديد و مغفرا ، و أخذ سلاحه ، و أمر بفرسه فأسرج و قرب له ، فوثب عليه دون أن يمسه أو يضع رجله فى ركاب . و رستم هذا هو الذى وجّهه يزدجرد[2] ملك الفرس إلى حرب المسلمين حين وجّه عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص أميرا على عسكر المسلمين لقتال الفرس . فنزل سعد بالقادسية[3] و قاتل رستم ، فقهره[4] المسلمون و جرى له معهم ما تقدم ذكره - انتهى .

[5]ذكر ما قيل فى الصبر[5]

نعود إلى ما قيل فى الصبر - قال ابن الجوزى على لسان حال الماء و الزيت : لما جعل[6] الزيت فى القنديل ناداه الماء بلسان الحال: كيف

---

(١) فى الأصل : يقولوا .

(٢) يزدجرد الثالث من الأسرة الساسانية وكان مقتله فى سنة ٦٥١ أو ٦٥٢ م أثناء فراره من العرب الغزاة .

(٣) وقعة القادسية سنة ٦٣٧ م .

(٤) فى الأصل : فقهرته .

(٥-٥) العنوان وارد بهامش المحفوظ .

(٦) فى الأصل : جفل - كذا .

تعلو علىّ . و لطالما سقيت ثمرتك من معينى السلسال ، و رويت عروقها بالماء الزلال ، فبعد إنفاق مالى عليك من رأس مالى ، صرت ترتفع علىّ و لاتبالى ؟ فقال لسان حال الزيت : يا من سطا و تكبّر ، و عدّ فضائله و ما تدبّر، و ادعى الرئاسة و تجبّر ، أما سمعت قول من نظم و شعر :

و معتقد أن الرئاسة فى الكبر فأصبح ممقوتا به و هو لايدرى
يجرّ ذيول العجب طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجرّ

اعلم أيها الماء أن عيونك ليس بها خفا ، لأنك إن توليت المصباح انطفا ، و إنما أنا صبرت على طحن الرحى و فراق الأغصان ، / فبصبرى علوتك ٤/و فى هذا المكان ـ انتهى .

و لما صبر[1] المسلمون على مضض الحرب فى النصارى بأشد الضرب ، قالوا لأصحابهم لما عُيِّروا بالهزيمة : رأينا قوما يضربون فى الرؤس هذا الضرب ، يفلقون البيضة بجمجمتها ، ففزعت القلوب من رؤيتها .

و اعلم أنه ما نيلت فضيلة قط إلا بتعب ، من لم تبكِ[2] الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه ، كم صبر بشر الحافى على شهوة حتى سمع كلمة «كل يا من لم يأكل ، و اشرب يا من لم يشرب» . قال علىّ بن الموفّق : رأيت كأنى قد دخلت الجنة ، فاذا أنا بثلاثة نفر: رجل قاعد على مائدة و قد وكل به ملكان : فملك يطعمه و ملك يسقيه ، و رجل واقف فى وسط الجنة شاخص ببصره نحو العرش إلى الله عز و جل لا يطرف عينه ،

(١) فى الأصل : صبرت .
(٢) فى الأصل : تبكى .

و رجل واقف على باب الجنة يتصفح الوجوه فيأخذ بيد قوم فيدخلهم الجنة ، فقلت لرضوان خازن الجنان : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء إخوانك ، أما الواقف فى وسط الجنة فذاك الفضيل[1] بن عياض عبدَ اللهَ عز و جل لا شوقا إلى جنته و لا خوفا من ناره ، فهو ينظر إلى مولاه . و أما الرجل الواقف على باب الجنة فذاك أحمد بن حنبل ، قد أمره الجبّار أن يتصفح وجوه أهل السنة و الجماعة ، فيأخذ بأيديهم و يدخل بهم الجنة . و أما القاعد على المائدة يأكل و يشرب فذاك بشر الحافى ، خرج من الدنيا جائعا عطشانا لم يشبع ، فوكل الله به ملكين يطعمانه و يسقيانه إلى يوم القيامة .

و اعلم يا هذا ! إن من تذكر خنق الفسخ ، هان عليه جحز الحية ، ما مدّ سجاف " نعم العبد " على قبة " و وهبنا له " حتى جرب فى أمانة " انا وجدناه صابرا نعم العبد انّه اوّاب[2] " .

كان بعض التجار يبيع الخشب ، وكان عنده قطعة أبنوس ملقاة تحت الخشب ، فاشتريت منه ، فدخل دارا الملك بعد مدة فاذا بها قد جعلت سريرا للملك و قد زُيّنت بصفائح الذهب و الفضة . فقال : سبحان الله ! لقد كنت لا أعبأ بهذه الخشبة فكيف وصلت / إلى هنا ! ٥ / الف ١٥
فهتف به لسان الحال نائبا عنها : لا تنظر فى الحال الى الثمرة و تنسى صبر الأصل ، كم صبرت على ضرب الفؤس و نشر المناشير حتى صرت إلى هذا المكان ! و أنشد بعضهم فى الصبر قائلا هذين البيتين :

---

(١) فى الأصل : الفضل ـ كذا ؛ راجع تهذيب التهذيب ٨/٢٩٧ .
(٢) قرآن كريم سورة ٣٨ آية ٤٣ و ٤٤ .

Marfat.com

احذر تضيق بما تلقاه من محن ذرعاً وارغب لرب العرش فى الفرج
و اسأل من الله صبرا تستعين به على المضيق و قل يا أزمة انفرجى[1]
و لبعضهم فى عظيم صبر الصابر :
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح الصبور يا صبر صبرا[2]
و من أحسن ما قيل فى الصبر عند الحرب :
أيوعدنى أبو عمرو و حولى رجال[3] لا ينهنهها الوعيد
رجال من بنى أسد ليوث لهم صبر إذا قرع الحديد
و لبعضهم :
الحرب إن عاينتها فلا يكن فيك فشل
اصبر على أحوالها لا موت إلا بالأجل[4]
و لبعضهم :
و تخال أصوات الرجال كأنها رعد تواتر فى الهياج بلا مطر
و الضرب تحسبه نزول صواعق و الجو مظلم و الجماجم تنتثر
كم فارس قد طاح من فزع القنا أيضا وكم من فارس قد انشطر
يا موقفا شاب الشجاع لهوله ثم الجبان فؤاده قد انفطر
و لبعضهم فى حروب وقعت :
خرّجت هذه الحروب رجالا فاستطاروا للحرب مثل الأسود

(١) فى الأصل : الفرج .
(٢-٢) هذا الجزء من الهامش .
(٣) الكلمة فى الأصل بالشطر الأول نقلناها إلى الثانى بحكم وزن الشعر .
(٤) فى الأصل : باحل - كذا .

Marfat.com

فتراهم بين الصفوف يجولوا كطيور أبصرن حب الحصيد
كل شهم منهم و كل شجاع ليس يخشى من وقع بأس الحديد

و قال كعب بن زهير فى قصيدته :

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ما ان[1] لهم عن حياض الموت تهليل[2].

و قال بعضهم يمدح قومه و يفتخر :

ان أسيافنا القصار الدوامى صيرت ملكنا طويل الدوام
لم نزل نحن فى سداد ثغور و اصطلام الأعدا بحد الحسام

و لما احتضر خالد بن الوليد رضى الله عنه قال لمن حضره: و الله ما فى جسدى موضع إلا و فيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو شكة نبل ، و ها أنا أموت حتف أنفى موتة الجبناء ، فلا قرت أعين الجبناء _ قالها ثلاثا .

٥/ب عن معاذ بن جبل قال سمعت / رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ، و من سأل الله القتل من عند نفسه صادقا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد ، و من جرح جرحا فى سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة أغزر ما كانت ، لونها كالزعفران و ريحها كالمسك ، و من جرح جرحا فى سبيل الله فعليه طابع الشهداء .

مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : القتل فى سبيل الله يكفّر كل شىء إلا الدين .

النسائى عن سعد أن رجلا جاء إلى الصلاة و رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى لنا فقال حين انتهى إلى الصف : اللهم ! آتنى أفضل

(١ - ١) من ديوان كعب ص ٢٥ ، و فى الأصل : و ما .
(٢) من الديوان ، و فى الأصل : تبديل .

ما

Marfat.com

ما تؤتى عبادك الصالحين . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاته قال: من المتكلم آنفا؟ قال الرجل : أنا يا رسول [الله] ! قال: إذا يعقر جوادك و تستشهد فى سبيل الله .

قيل لما قتل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[1] مصعب بن الزبير ابن العوام بالعراق و بلغ أخاه[2] عبد الله بن الزبير الخبر بمكة و هو يومئذ سلطانها أضرب عن ذكر مقتله حتى تحدث به العبيد و الإماء فى سكك مكة ، ثم صعد المنبر فجلس فسكت هنيهة لم يتكلم ، فعرق جبينه و بدت الكآبة على وجهه ، ثم قال : الحمد لله الذى له الخلق و الأمر و ملك الدنيا و الآخرة، يؤتى الملك من يشاء ، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء ، ألا ! و إنه لم يذلل الله من كان الحق معه و إن كان فردا ، و لم يعزز الله من كان أولياء الشيطان حزبه و إن كان الأنام طرا معه ؛ أتانا خبر من قبل العراق أهل الغدر و النفاق أحزننا و أفرحنا . أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه ؛ فأما الذى أحزننا من ذلك فانه لفراق الحميم لدغة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى ذوو الرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ، و أما الذى أفرحنا من ذلك فانا قد علمنا [3] أن قتله شهادة له [3] و أن الله عز و جل / جاعل لنا و له فى ذلك الخيرة ، ألا ! و إن ٦ / الف
أهل العراق أسلموه إسلام النعم المخطم ، و باعوه بأوكس الثمن و بأقل

(١) خلافته ٦٥/٨٦ هـ = ٦٨٥ / ٧٠٥ م .
(٢) فى الأصل : أخوه .
(٣-٣) فى الأصل : انه قتله له شهادة .

Marfat.com

ما يأخذونه، فوالله لئن كان الله عز و جل ابتلانى قبله بقتل إمامى أمير المؤمنين عثمان بن عفان[1]، فان قتل مصعب فقد قتل أبوه الزبير قبله و عمه و أخوه و كانوا مِن خيار الصالحين، و إنا و الله ما نموت جيحا[2] على فرشنا، و ما نموت إلا قعصا بالرماح، و موتا تحت ظل السيوف ليس كما يموتون بنو مروان؛ و الله ما قتل منهم قط فى جاهلية و لا إسلام! فنحن كما قال كعب بن زهير فى قصيدته هذا البيت:

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ما إن[3] لهم عن حياض الموت تهليل

يعنى كعب بقوله أى أنهم لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم، و أنما يقدمون إقداما فى الحروب، فيقع الطعن إذا أقـدموا[4] فى نحورهم.

و يقال هلل عن كذا و كذا - إذا نكص عنه و تأخر، يقول هم شجعان ليس لهم تأخر عن حياض الموت إذا تأخر غيرهم عنها و نكص.

و قول كعب أيضا:

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج[5] داود فى الهيجا سرابيل

قوله: شم، جمع أشم و شماء، و أصل الشمم: الارتفاع، و أنف أشم - إذا كان فيه علو؛ و العرانين: الأنوف، واحدها عرنين - انتهى.

نعود - ثم قال عبد الله بن الزبير و هو على المنبر: ألا! إنما الدنيا

(١) خلافته ٤٣ / ٣٥ هـ = ٦٤٤ - ٦٥٦ م.
(٢) كذا فى الأصل، و لعله: جيفا.
(٣-٣) فى الأصل: و ما.
(٤) فى الأصل: قدموا.
(٥) فى الأصل: نسيج. و وردت الكلمة «نسج» فى ديوان كعب ص ٢٣.

Marfat.com

[الدنيا - [1]] عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه و لا يبيد ، فان تقبل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأشر البطر ، و إن تدبر عنى لا أبكى [2] عليها بكاء الخرق المغتر .

ثم نزل ، فقال له عبد الله بن جعفر الطيار : يا هذا ! ابذل المال يتبعك الناس ، فان أدركت ما تأمل ، و أصبت ما تريد ، فمن أغنى منك ! و إن تكن الأخرى فلا تجمع الأموال لبنى مروان . قال له عبد الله ابن الزبير : أنت / رجل مبذر . قال عبد الله بن جعفر : لا و لكن الله لم يقك شح نفسك . ٦ / ب

قال بيدبا الفيلسوف فى كتاب الهند : إن الرجل ذا العقل و المروءة قد يكون خافض الذكر خامل المنزلة لم تأب [3] نفسه إلا أن يستبين و يعرف كالشعلة من النار يطأطئها حاملها و يأبى ضوؤها إلا ارتفاعا و علوا . و الرجل الفاضل ذو المروءة لا ينبغى له أن [4] يرى إلا فى مكانين و لا يليق به غيرهما : إما مع الملوك مكرما ، أو مع العباد متبتلا ، كالفيل الذى أبهى بهائه إما أن يكون فى البرية متوحشا ، و إما للملوك مركبا .

---

(١) ساقطة من الأصل ، و بذكرها يستقيم السياق ، و جائز أن تكون « الحياة » .

(٢) فى الأصل : أبك .

(٣) فى الأصل : لم تابى - كذا .

(٤) فى الأصل : لا .

و الناس رجلان : رجل[1] طباعه الشراسة ، فهو كالحية التى إن وطئها الواطئ و لم تلدغه لم يكن جديرا أن يغره ذلك فيعود إلى وطئها آخذا بذنبها فتعود عليه فتلدغه . و رجل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذى إذا أفرط فى حكه عاد حارا يؤذى - انتهى .

نعود - ثم إن عبد الله بن الزبير أطاعه أهل العراق و بايعوه بعد قتل أخيه مصعب و حملوا له الأموال الجزيلة ، و صار نوّابه على العراق يعملون له . فحسده عبد الملك بن مروان[2] و هو أمير[3] على الشام ، فأرسل عبد الملك عامله الحجاج بن يوسف الثقفى إلى عبد الله بن الزبير يحاربه بمكة ، فحاربه الحجاج فظفر به و قتله و صلبه و أخذ أمواله التى جمعها من العراق و غيرها ، و كانت أمواله جزيلة ، فلو أنفق المال فى الرجال كما قال له عبد الله بن جعفر الطيار لم يدرك الحجاج له غبارا[4] كما قال الشاعر :

عليك بسور من رجال[5] فانني رأيت حصونا من حديد[6] تهدمت

---

(١) فى الأصل : اصل .

(٢) خلافته ٦٥/٨٦ هـ = ٦٨٥ - ٧٠٥ - انظر حاشية سابقة .

(٣) فى الأصل : اميرا .

(٤) فى الأصل : غبار .

(٥) فى الأصل : الرجال ، و لا يستقيم الوزن بأداة التعريف .

(٦) فى الأصل : الحديد .

و كما

Marfat.com

و كما قال الآخر :

وكنت أظن الدار[1] تحمى سياجها ولـيس سياج الدار إلا رجالها

و سأذكر ما قيل فى قتله و صلبه إن شاء الله . قال المدائنى :

لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء و العويل ، فنادى الحجاج فى الناس فاجتمعوا ، و صعد المنبر فقال : إنه بلغنى يا أهل مكة أنه أبكاكم / قتل ابن الزبير . ألا ! و إن ابن الزبير كان من خيار هذه ٧/الف الأمة حتى رغب فى الخلافة ، و نازع الأئمة فخلع طاعة الله ! و لو كان شىء مانع من العصاة لمنعت حرمة الجنة آدم عليه السلام ، لأن الله تعالى خلقه بيده ، و أسجد له ملائكته ، و نفخ فيه من روحه ، و أباحه جنته ، فلما أخطأ أخرجه عنها بخطيئته ، و آدم أكرم على الله تعالى من ابن الزبير ، و الجنة أعظم حرمة من مكة ، اذكروا الله يذكركم .

قال المدائنى : و كان الحجاج يقول : و الله لطاعتى أوجب من طاعة الله ، لأن الله تعالى يقول[2] : « فاتقوا الله ما استطعتم » فجعل فيها مثنوية ، و أنا إن قلت لرجل : اخرج من هذا الباب ، فلم يخرج منه لحل لى دمه لقول الله تعالى[3] : "و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم" .

(١) فى الأصل : الديار ـ و لا يستقيم بها ميزان البيت .

(٢) قرآن كريم سورة ٦٤ آية ١٦ و الآية بتمامها : "فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا و انفقوا خيرا لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون" .

(٣) قرآن كريم سورة ٤ آية ٥٩ . و الآية بتمامها : "يايها الذين امنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر ذلك خير و احسن تاويلا" .

Marfat.com

[ذكر كيفية قتل الحجاج ابن الزبير -[1]]

و سأذكر ما وقفت عليه من كيفية قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير و صلبه و حزن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها عليه ، و كيفية قتل الحجاج لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إن شاء الله تعالى .

و ذلك أن الحجاج لما أتى برأس مصعب بن الزبير لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خر ساجدا ، و كان عبد الملك إذ ذاك بالكوفة ، فقال له الحجاج : يا أمير المؤمنين ! إنى رأيت فى المنام كأنى أسلخ رأس أخيه عبد الله بن الزبير إلى قدمه . قال له عبد الملك : أنت صاحبه . فأخرج معه الجيوش ، فسار بها حتى نزل على مكة ، و نصب المجانيق على جبل أبى قبيس[2] و على قعيقعان[3] ، و ما زال يحاصره و يضيق عليه ، فلما كان فى الليلة التى قتل فى صبيحتها ، جمع القرشيين فقال لهم : ما ترون ؟ فقال له رجل من بنى مخزوم : و الله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقتلا ، و الله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، و إنما هى إحدى خصلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا و لك ، و إما أن تأذن لنا فنخرج . و قال له رجل : اكتب إلى عبد الملك بن مروان / فقال : أكتب لعبد الله : عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ! ٧ / ب من عبد الله بن الزبير ، و الله لأن تقع الخضراء على الغبراء أهون على من

---

(١) العنوان المحجوز مشتق من النص .
(٢) جبل مطل على مدينة مكة .
(٣) من ضواحى مكة .

(٥) ذلك

ذلك ! فقال له أخوه عروة بن الزبير و هو جالس معه عـــلى السرير : يا أمير المؤمنين ! قد جعل الله لك أسوة . قال : و من هو ؟ قال : الحسن ابن على بن أبى طالب ، خلع نفسه و بايع معاوية ، فرفع عبد الله رجله و ركضه فى صدره ركضة رماه عن السرير و قال له : يا عروة ! قلى إذا بمثل قلبك ، و الله لو قلتها ما عشت إلا قليلا و قد أخذتنى الدنية ! ٥ و أن أضرب بسيف فى عز خير من أن ألطم فى ذل .

فلما أصبح دخل على امرأته أم هاشم . قال لها : اصنعى لى طعاما . فلما صنعت له ذلك ، تناول منه لقمة فلاكها ثم لفظها و قال : اسقونى لبنا . فسقوه ثم اغتسل و تخنط و تطيب و أتى أمه أسماء رضى الله عنها فقال : ما ترين يا أمه فقد خذلنى الناس ؟ فقالت : لا يلعب بك صبيان ١٠ بنى أمية ، عش كريما و مت كريما . فقال لها : أخشى أن يمثل بى بعد الموت . فقالت له : إن الشاة لا تألم بالسلـــخ بعد الذبح . فقبل بين عينيها و ودعها و خرج و أسند ظهره إلى الكعبة ، و جعل يقاتل أهل الشام أصحاب الحجاج . فبينما هو يقاتل جاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فضربه ضربة فصرعه ، فاقتحم عليه أهل الشام فحزوا رأسه ، و ذهبوا به ١٥ إلى الحجاج .

و قد قيل إنه قاتل حتى أثخن بالجراح ، فلما لم يستطع النهوض ، دخل عليه الحجاج ، فدعا بالنطع و حز رأسه بيده و بعث به إلى عبد الملك ابن مروان ، و صلب جثته على خشبة منكسا . و قيل لما تحصن

Marfat.com

ابن الزبير من الحجاج بالمسجد الحرام ، فأول ما رمى به الحجاج الكعبة بكلب ، فجعل الكلب يضغو حتى ضرب به وجه الكعبة ، فطلعت سحابة فرعدت فرمت بصاعقة أحرقت المنجنيق و قتلت من أصحابه اثنى عشر ، فارتاع من مع الحجاج من أهل الشام . فقال الحجاج : لا يهولنكم هذا فان تهامة[1] كثيرة الصواعق ، و الصاعقة تصيب البر و الفاجر ، و نصب منجنيقا آخر ، و وضع فيه حجرا عظيما ، و قال :

خطارة مثل الفنيق المزبد ترمى به أعواد هذا المسجد

يقال إن الفنيق هو فحل الجاموس . ثم رمى بذلك الحجر الكعبة ، فهدم منها ركنا ، و وضع حجرا آخر فى المنجنيق و رمى الكعبة و هو يقول :

كيف ترى صنع امرئ متزود يهدم ما بين الصفا و المروة

فهدم ثلمة من الكعبة و علا الغبار فقال :

كيف تراها ساطعا غبارها و الله فيما يزعمون جارها

ثم إن الحجاج لما قتل ابن الزبير صعد المنبر فقال : يا أهل مكة ! ما أنتم إلا همج و ذباب ، و لو لا أنى لا أرى ما يوافق أمير المؤمنين عبد الملك لضربت أعناقكم ، فلا تظنوا أن أحجاركم - يعنى الكعبة - هذه تنفعكم من سوء ما أريده بكم . و كانت أسماء أم عبد الله حين قيل لها إن الحجاج قتل ابنك و صلبه منكوسا ، أقبلت تصرخ إلى أن أتت الخشبة ، فوجدت

(١) بكسر التاء بلاد شرق الحجاز .

ابنها ٢٢

132307

Marfat.com

ابنها عبد الله مصلوبا منكوسا و هو معلق برجليه ، أسرعت و عانقت الخشبة ، و جعلت تبكى و تقول : وا غوثاه ! ما أعظم ما نزل بنا بعدك ! يا محمد ! يا رسول الله ! لو تدرى ما نزل بعدك بأرحامك و أصهارك و أبناء المهاجرين و الأنصار لرأيت عظيما . اللهم ! فبلغ عنا نبينا ما حل بنا . فأخبروا بمقالتها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فبكى حتى كادت نفسه أن تخرج . ثم قال لابنه سالم : قدنى إليها . و كان قد كبر سنه و هو يرعش من الكبر ، فقاده سالم إليها ، فلما أشرف على الخشبة قيل له : هذا عبد الله بن الزبير مصلوبا منكوسا . فقال ابن عمر : يا عبد الله ! قد كنت نهيتك عن هذا فلم تنته مع أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، أى لا يعرض نفسه لما لا يقوى عليه ، فذلك ذل نفسه ؛ و سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ليقتلنى / أمير جائر أجب الى [من] أن أموت ٨ / ب مجاهدا فى سبيل الله ، فبلغ قوله ذلك الحجاج فبلغ منه كل مبلغ ، ثم قال : ائتونى بفرسى ، فركب إلى خشبة ابن الزبير ، فأصاب أمه أسماء عندها و ابن عمر و سالما ابنه . فقال الحجاج لأسماء : يا أسماء ! ابناك هذا كان من خيار العرب و خيرا من أخيارها و أنه سابقنى إلى هذه الخشبة فسبقنى اليها فوضعته عليها ، و لو قال الذى قلت لكنت أنا مكانه ، فهذا أجل من البكاء ، و أما ما بلغنى من ذكرك ما حل بآل محمد و أصهاره ، فنعوذ بالله تعالى من ذلك إلا من سما إلى ما سما إليه ابنك من منازعة أهل الحق على حقهم ، فلا بد لنا أن ننازعه ،

فاما لنا و إما علينا ، فلاتأسفى على أمر فعله الله تعالى فانه يحكم فى خلقه كما يشاء . فقال لها عبد الله بن عمر بن الخطاب : قومى فاقبلى منه . فقامت فلم تكلمه شيئا ، و انصرف عبد الله بن عمر إلى منزله ، و قيل إنه لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير أتى أمه ليعزيها فيه ، فقالت له : يا حجاج ! أ قتلت ولدى عبد الله ؟ قال لها : يا ابنة أبى بكر ! إنى قاتل الملحدين . قالت له : بل أنت قاتل الموحدين . قال لها : كيف رأيتنى صنعت بابنك ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه و أفسد عليك آخرتك ، و لا ضير ، إن الله أكرمه على يديك ، و قد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل . ثم إن الحجاج تركها و انصرف و حضر من عند المسجد ، فخطب الحجاج خطبة و قال فى آخرها : إن عبد الله بن الزبير بدل[1] كتاب الله و غير سنة نبيه . فقال له عبد الله بن عمر : كذبت . فكان الحجاج يقول : ما ذكرت قول ابن عمر لى[2] : كذبت ، إلا ندمت [على أن ـ[3]] لا أكون قدمته فضربت عنقه . قال : و دعا الحجاج رجاله / فقال لهم : إن ابن عمر قال عند خشبة ابن الزبير : ليقتلنى أمير جائر على طاعة الله تعالى أحب إلى [من ـ[3]] أن أموت بالسيف مجاهدا فى سبيل الله ، و قد كشف لنا ما هو عليه ، و هو ابن خليفة و صاحب رسول الله ، و أخاف إن خرجنا عنه من مكة أن يستحل ما استحل ابن الزبير ،

٩ / الف

(١) فى الأصل : بذل ـ بالذال المنقوطة .

(٢) فى الأصل : له .

(٣) ما بين الحاجزين ساقط من الأصل و يستقيم بذكره الكلام .

Marfat.com

و علماء العراق عند الحجاج جلوس عند قوله ذلك ، قالوا له : فما ترى أيها الأمير ؟ قال : أقتله قبل أن يدعى ما ادعاه ابن الزبير من الخلافة و تبايعه أهل مكة و غيرهم . قالوا : أيها الأمير ! اجعل لمقتله سببا أو علة تحتج على الناس . قال : ائتونى به . فأتوا به معه ابنه سالم . فسلم فقال الحجاج له : اجلس يا شيخ ! فجلس ثم قال الحجاج : هاتوا رجلا من السجن . فأتوا به ثم قال : هاتوا السيف فأتوا به . فقال لسالم بن عبد الله ابن عمر : يا سالم ! هاك السيف فاضرب عنق هذا الرجل . و إنما أراد الحجاج أن يقول عبد الله بن عمر لابنه سالم : لا تفعل . فيقول الحجاج : أنا إمام آمر بأمر تنهى عنه . ثم يقول : خذوه . فيكون ذلك سببا لقتل الحجاج له . فعرف عبد الله بن عمر ما أراد الحجاج ، فسكت و لم يتكلم ، فأخذ سالم السيف فهزه ثم تقدم للرجل الأسير فقال له : مد عنقك . فمد الرجل عنقه . فقال له : أزنيت بعد إحصان ؟ فقال الرجل : لا ، قال له سالم : فقتلت نفسا بغير نفس ؟ قال : لا . فقال له سالم : أرجعت عن الإسلام ؟ قال : لا . قال : يا حجاج سمعت أبى يقول و هو يسمع ما أقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول : لا يحل قتل مسلم و لا امرئ مؤمن إلا عن ثلاث خصال : يزنى بعد إحصان ، أو يرتد عن الإسلام ، أو يقتل نفسا بغير نفس ؛ و ليس فى هذا الرجل شىء[1] من هذا ، فلم تقتله ؟ فقال الحجاج : اضرب عنقه كما أقول لك . قال

(١) فى الأصل : شيئا .

Marfat.com

سالم للرجل : أصليت الغداة ؟ قال : نعم ، صليت الصبح . قال سالم :
٩/ب يا حجاج سمعت أبى يقول / و هو يسمع ما أقول إنه سمع رسول الله
صلى الله عليه و سلم يقول : من صلى ركعتى الفجر كان فى ذمة الله و ذمة
رسوله حتى تتوارى بالحجاب . يا حجاج ! كيف تقتل رجلا فى ذمة الله
٥ و ذمة رسوله ؟ فقال الحجاج : ضع السيف من يدك و اسحبه . فوضع
سالم السيف من يده فجره برجله و هو يقول : يا أخى ! سحبك أهون
على و الله من قتلك ، و إنا شاهدان غدا أنا و أبى فى القيامة أنك
مظلوم . فقام عبد الله بن عمر و هو يحمد الله تعالى حتى خرج فنادى :
يا معشر المسلمين ! ائتونى بسالم ابنى . فأتوه به ، فقال له : عبد الله : يا بنى !
١٠ ادن منى حتى أقبلك فانى إنما سميتك سالما لتسلم فاسلم فى الدنيا لغنم !
ثم قال له : قدنى . فقاده إلى داره ؛ فقيل للحجاج : اقتله - يعنون
عبد الله بن عمر . فقال الحجاج : هذا صاحب محمد صلى الله عليه و سلم ،
و من استبشر بالخلافة ، و من حج أربعين حجة ، و من تسميه قريش
حمامة البيت ، و قدره فى العرب كبير ، و حب الأوس
١٥ و الخزرج[1] بالمدينة لأبيه . فقيل له : أيها الأمير ! اقتله قتلة تبرئ بها
نفسك عنه عند المعاتبة لئلا تنتشر عليك الفتنة . و كان ابن عمر من عادته
أن يهجر إلى الجمعة فى وقت الضحى ، فأمر الحجاج غلاما له أن يركب
فرسا حاميا فيصدمه فيقتله . فركب الغلام و نظر إلى ابن عمر و هو سائر

(١) الأوس و الخزرج قبيلتان من الأنصار بالمدينة المنورة فى وقت ظهور الإسلام .

إلى

Marfat.com

إلى الجمعة ، فحمل عليه الفرس فصدمه فأقلبه و رضّه رضّا شديدا ، فبادرت الناس إليه و قالوا : يا غلام ! أهلكت المسلمين فى عالمهم . فقال : جمح بى الفرس و لم أقدر أن أحبسه لقوته . فحمله الناس و درّوه إلى منزله . و أقام الحجاج منتظرا موته ، فلما أبطأ ذلك عليه عمد إلى زُجّ [1] فسمّه سما ناقعا و جعله فى عكاز و دفعه إلى بعض رجاله و قال له : امض إلى ٥ ابن عمر فأقرئه [2] منى السلام و قل له يقول لك الأمير : ما حالك من علتك ، و احذر أن تمس بهذا الزجّ شيئا ، فاذا سلمت عليه / و أبلغت ١٠/الف كلامى فقم عند رجليه و ضع الزجّ على ظهر قدمه و اتكئ [3] عليه حتى يدخل ، فان قال : أهلكتنى ، فقل له : ما علمت أن رجلك هاهنا . فدخل عليه رسول الحجاج و فعل ما أمره به فجرحه جرحا قبيحا . فقال ١٠ ابن عمر : يا رجل ! ما تخاف الله تعالى فقد أهلكتنى . قال : ما علمت أصلحك الله أن رجلك هاهنا . ثم خرج عنه ، فاشتعل جسد ابن عمر سما ، فأقام ثلاثة أيام و مات - رضى الله عنه .

و لما ظفر الحجاج بعبد الرحمن بن الأشعث ، أتى بأيوب بن القرية أسيرا فى جملة من أسر ، فقال له الحجاج : إيه يا ابن القرية ! أنت ١٥ المصدّر لابن الأشعث الكتب ؟ قال : أصلح الله الأمير ! كيف مقالة

---

(١) جمعه أزجاج و زجاج و زججة ، أى نصل السهم أو الحديدة التى فى أسفل الرمح .

(٢) فى الأصل : فاقره .

(٣) فى الأصل : أنك .

Marfat.com

الأسير المقتهر! قال له الحجاج: ألست المصدّر الكتاب تخلعنى فيه؟ قال: أصلح [الله] الأمير! إنه شيطان[1] فى جلد إنسان جائز فى ذهله مغلوب على قهره، قهرنى سلطانه و تهددنى بتجبره و ملكنى بمن عنده من الغوغاء و الطغام، فكتب اللسان بغير ما فى القلب، و الطاعة لك ثابتة، و النصيحة لك دائمة. قال الحجاج: كذبت يا ابن اللخناء ذات الغدة النوكاء! بل كان قلبك منافقا و لسانك منافقا، و أردت إخفاء ما كان الله مظهره من سريرتك، تكلم يا ابن القرية فيما أحببت قبل فراق الدنيا. قال: أصلح الله الأمير! لكل جواد كبوة، و لكل حليم هفوة، و لكل شجاع نبوة. قال له الحجاج: ليس هذا أوان المزاح، الآن أروى منك السلاح. و قد أخذ ابن القرية أربعة نفربين يدى الحجاج بضبعيه، فأخذ الحجاج الحربة فوضعها بين ثندوتيه ثم اتكأ عليها حتى دخلت فى جوفه ففضفضها ساعة ثم أخرجها و تبعها دم أسود فسال على بطنه، فقال الحجاج عند ذلك: يا ابن القرية! هكذا تشخب أوداج الغمر. فأمال ابن القرية رأسه و شق بصره و انثنى فأرسله القوم من أيديهم فوقع يضرب بيديه و رجليه حتى / فاضت نفسه. ثم أمر به ١٠/ب
فاحتمل فى نطع فرمى به، فقال الحجاج: ويلك يا ابن القرية لقد [كنت صاحب -[2]] كلام كثير و منطق بليغ، تركت للناس فضل منطقك لله درك و در أبيك!

---

(١) فى الأصل: شيطانا.

(٢) لا وجود للعبارة فى الأصل، و يستقيم بذكرها المعنى و السياق.

Marfat.com

ثم إن الحجاج أمر بضرب أعناق أسارى ابن الأشعث ، فصارت أعناقهم تضرب بين يديه . فقام رجل منهم لتضرب عنقـــه فقال : يا حجاج ! و الله لئن كنا أسأنا فى الذنب لما أحسنت فى العقوبة . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ! أما كان فيهم من يحسن أن يقول مثل هذا . خلّوا عن الباقين . قوله : أف ، كلمة تستعمل فى الاحتقار و الاستقذار و الإنكار ، و أصل أف وسخ الأظفار . قال بعضهم : أف لقلب لا يستدل بالصنعة على الصانع ، و لقلب لا يستدل بالدنيا على الآخرة ـ انتهى .

ذكر بلال بن أبى بردة[1]

و سأذكر الآن خبر بلال بن أبى بردة فى شرائـــه لنفسه الموت بماله . و ذلك أن بلال بن أبى بردة الأشعرى أقام فى سجن الحجاج مدة طويلة إلى أن عيل صبره و ضاق صدره . و كان سجن الحجاج لا يخلو قط من عشرين ألفا إذا زاد ، و إن نقص كان ثمانية عشر ألفا . فقال بلال للسجان : هذه عشرة آلاف درهم ، خذها و ارفع اسمى فى جريدة الأموات للحجاج . و كان السجان يرفع له فى كل يوم جريدة بأسمـاء من مات ، فيأمره بدفنهم ، فأذا أمر بدفنى خرجت سـائحا فى الأرض حتى أموت أو يموت الحجاج ، و لك علىّ عشرة آلاف درهم أخرى ، ففعل السجـان ذلك ، فقال الحجاج : أحضره إلىّ حتى أشاهده ميتا . فعاد السجان مسرعا فناداه : يا بلال ! فجاءه و قد فرح ، فقال : أوص ، فقال : ما الخبر ؟ قال ، إنى دفعت اسمك فى ديوان الموتى ، و قد طلبك

(١) هذا العنوان وارد فى الأصل بالهامش .

الحجاج ليراك ميتا ، و إن لم أحضرك ميتا قتلنى . فخنقه السجان حتى مات ، و قدمه للحجاج ميتا ، فاشترى بلال بن أبى بردة الموت لنفسه بعشرة آلاف درهم .

حكاية عن الحجاج[1]

١١/الف ٥ / و ذكروا أن الحجاج خرج من العراق يريد الحج إلى بيت الله الحرام . قال : فبينما هو سائر اذ سمع صوت أعرابى بدوى و هو يلبى و يقول : لبيك ! اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! ان الحمد و النعمة لك و الملك ، لا شريك لك . هذه التلبية المشهورة و معنى 'لبيك' إجابة . ثم إن الأعرابى زاد على التلبية المشهورة : اللهم لك من قال مخلوق هلك ، و فى الجحيم سلك ، و الليل إذا حلك ، و الجاريات فى الفلك ، قد صدقنا رسلك ، و اتبعنا كتبك ، اللهم منك و لك ، ما خاب عبد املك . قال فقال الحجاج : تلبية ملحد و رب الكعبة ! ائتونى بالأعرابى . قال : فأتوه به فأوقفوه بين يديه . فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى نزار . قال : من أى بلد ؟ قال : من ناحية البصرة . قال : حياك الله يا أخا نزار ! من أين و إلى أين ؟ قال الأعرابى : من الفج العميق إلى البيت العتيق . قال : و أيها[2] الفج العميق يا أعرابى ؟ قال : المراق . قال : فما حال أميركم الحجاج ؟ قال : أطوعهم لمخلوق و أعصاهم لخالق . قال ذلك و هو لا يعلم أنه الحجاج . قال : أراحل هو عنكم يا أعرابى

(١ - ١) العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) فى الأصل : و أيهم - كذا .

أم

Marfat.com

أم مقيم ؟ قال له الأعرابى : رجل يريد بيت الله الحرام ، فلا قبل الله له حجا و لا زكى له عملا ، قال : و لم يا أعرابى ؟ قال : لأنه قتل أربعين بدريا شهدوا وقعة بدر مع النبى صلى الله عليه و سلم . قال : فهل استخلف عليكم أحدا ؟ قال : نعم : استخلف علينا أخاه محمد بن يوسف . قال : فكيف حاله فيكم ؟ قال : رجل ظلوم غشوم . قال له : تواجهنى بهذه المقالة و أنا الحجاج و ذاك أخى ! أما علمت عزتى بالله ؟ ثم قال له : بأى شىء عرفت ربك يا أعرابى ؟ قال : عرفته بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ليس كمثله شىء ، واحد أحد فرد صمد ، عجزت العقول عن صفته و عن وحدانيته ، و انبعثت فى فردانيته ، لا إله إلا هو ، / جل عن ١١/ ب صفات المخلوقين ، و تعزز ببقائه و سلطانه ، و استغنى عن خلقه بملكه . لا إله سواه و لا نعبد إلا إياه .

قال : فما تقول فى هذا المبعوث – يعنى محمدا صلى الله عليه و سلم ؟ قال : نبيا بعثه الله على فترة من الرسل ، و طموس من العلوم و الأمم ، جاهلية جهلاء ، و ضلالة عمياء ، و الناس لا يدينون لله دينا ، و لا يعرفون كتابا مبينا ، يعبدون الأصنام ، و يستقسمون بالأزلام ، و يقتلون أولادهم خشية إملاق ، و يدفنون بناتهم أحياء فى التراب ، فأخرجه الله من جبال تهامة ، ماله مبذول ، و سيفه مسلول ، و قوله حكم ، إن قال صدق ، و إن تكلم فبالحق نطق ، خير خلق الله محمد بن عبد الله . قال الحجاج : فما تقول فى صاحبه ؟ قال : و من هو صاحبه ؟ قال : أبو بكر . قال : و ما عسى أن أقول فى أبى بكر ، هو صدّيق فى السماء ، و صديق فى

Marfat.com

الأرض ، صدقه حين كذبوه و زوجه عائشة ابنته ، و مات النبى صلى الله عليه و سلم و هو عنه راض غير غضبان ، فرحم الله أبا بكر ! أنفق على رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعين ألف دينار من ماله سرا و اربعين ألف دينار علانية . قال : فما تقول فى صاحبه عمر ؟ قال : و ما عسى أن أقول فى أبى حفص و هو فاروق فى السماء و فاروق فى الأرض ، يفرق بين الحق و الباطل ، و من سل سيفه و قال : و الله لا عُبد الله سرا بعد هذا اليوم ! فعمر حصن حصين ، ثقة أمين . قال : فما تقول فى عثمان ؟ قال : رحم الله أبا سعيد ! و ما[1] عسى أن أقول فيه ، صاحب الهجرة الأولى[2] ، و حافر بئر رومة[3] ، و مجهز جيش العسرة . و مشترى النخلة ، و من سبح الحصى[4] فى كفه ، و من أعتق يوم الدار خمسمائة مملوك ، و قال : من أغمد سيفه منكم فهو حر لوجه الله . قال : فما تقول فى صاحبه على ابن أبى طالب ؟ قال : رحم الله أبا الحسن ! و ما عسى أن أقول فيه و له من رسول الله صلى الله عليه و سلم أسوة عظيمة ، و درجة رفيعة ، لقرابته القديمة ، زوج فاطمة الزهراء / سيدة النسوان ، و أبو الحسن و الحسين ١٢/الف سبطى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أولئك أصحاب العقول الراجحة و الوجوه النضرة ، ما فى قلوبهم كدر ، و لا فى زندهم قصر ، و لدتهما

(١) فى الأصل : اما .

(٢) فى الأصل : الأولة . و ربما كان غرضه من ذلك هو السجع .

(٣) أغلب الظن أنه أحد آبار المدينة المنورة .

(٤) فى الأصل : الحصا .

Marfat.com

البتول فاطمة بنت الرسول، و سماهما الرسول، و كناهما الجليل، و ناغاهما جبريل، فليس لهما من عديل . قال : فما تقول فى معاوية بن أبى سفيان ؟ قال : و ما عسى أن أقول فى معاوية كاتب وحى رب العالمين، و خال المؤمنين، كانت أخته [أم] حبيبة بنت أبى سفيان تحت سيد المرسلين، و هى و زوجاته أمهات المؤمنين، فكان معاوية خالهم ـ ٥ رضى الله عنه، و دعا له النبى صلى الله عليه و سلم، قال له : ملأ الله قلبك حلما و علما . قال : فما تقول فى أهل صفين ؟ قال : فى نفسى شغل عن ذكرهم . قال : فما تقول فى أصحاب الجمل ؟ قال : " تلك امة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسئلون عما كانوا يعملون[1] ". قال : فما تقول فى أميرك عبد الملك بن مروان ؟ قال : أخطأ خطيئة ١٠ ملأت ما بين الخافقين ؛ قال : و ما هى ؟ قال : بتوليتك على المسلمين . قال : فما تقول فىّ ؟ قال : أنت أعلم . قال : تكلم . قال : أسومك و لا أسرك . قال : تقول لى هذه المقالة ! لأقطعن يديك و رجليك و لأقتلنك أشر قتلة، فارفع رأسك و انظر إلى . قال الأعرابى : أخاف إن أنظر اليك لا ينظر الله إلىّ غدا فى عرصة القيامة . قال الحجاج : ١٥ يا غلام ! علىّ بالنطع و السيف . قال له الأعرابى ! على رسلك حتى أصلى ركعتين، و قال له : اصنع ما بدا لك . قال : فركع الأعرابى ركعتين و قال : يا مسبب الأسباب، و يا مفتح الأبواب، و يا هازم الأحزاب، و يا من لا يغلق له باب، اكفنى أمر الحجاج ان شئت و كيف شئت، إنك على

(٥) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٣٤ .

Marfat.com

كل شيء قدير . قال: فلم يتمالك السياف أن خر مغشيا عليه و وقع السيف من يده ، و سقط الحجاج مغشيا على وجهه ، ثم أفاق فقال:

١٢ / ب / ما حملك على هذا الدعاء يا أعرابى ؟ قال: لئلا ألقى الله و أنا زنديق مثلـــك . قال : فأطلق الحجاج له السبيل بعد أن عرض عليه مالا ، فلم يأخذه منه ، ثم مضى الأعرابى إلى مكة و طاف بالبيت و سعى ، و دعا على الحجاج عند الكعبـــة و المسعى . فهلك الحجاج فى تلك السنـة - و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع[1] من أخبار الحجاج إن شاء الله .

[2]ذكر بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر
و خبر الكاهن و الراهب و محاربة الإسكندر
لدارا ملك الفرس و خبر سكندس[3] مع أمه

فلنذكر الآن بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر و خبر الكاهن و الراهب و محاربة الإسكندر لدارا ملك الفرس و خبر سكندروس مع أمه إن شاء الله تعـالى . قال المؤرخون : كان فى ملوك اليونانيين ملك يقال له نيقوماخس[4] ، ولد له ولد من زوجته روقيا سماه أرسطاطاليس ،

---

(١) فى الأصل : لمعا .

(٢) هذا العنوان بهامش المخطوط .

(٣) فى الأصل : سكندروس ، وورد « سكندس » بأول الفصل و ربما كان ذلك هو الأصح .

(٤) نيقوماخس Nicomachus والد أرسطاطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .) كان طبيبا للملك امنتاس الثانى Amyntas II وهو والد الملك فيليب وجد الإسكندر الأكبر المقدونى . و من الواضح أن بعبارة النويرى خلطا فى صفة نيقوماخس.

Marfat.com

فلما نشأ أرسطاطاليس أحضر له والده معلما حكيما يعلمه الحكمة ، فأقام يتعلم منه تسع سنين ، فعلمه علم المنطق و اللغات ، ثم قال فى نفسه إن هذه العلوم كلها ما تقبل لأن الحكمة أشرف العلوم الأخلاقيـــة و السياسية و الطبيعية ، فانقطع أرسطاطاليس إلى أفلاطون [1] . و صار تلميذا له و متعلما منه ، و له يومئذ [2]سبع عشرة[2] سنة فى مدينة أثينا[3] مدينة الحكماء ، و أقام يتعلم من أفلاطون عشرين سنة ، و كان أفلاطون إذا جلس ليستدعى منه الكلام فيقول : حتى يحضر أرسطاطاليس ! فاذا جاء أرسطاطاليس ، قال تكلموا فقد حضر الناس ، و ربما قال : حتى يحضر العقل ، فاذا حضر أرسطاطاليس فاذّا تكلموا فقد حضر العقل . فمضى أفلاطون إلى صقلية و غاب زمانا ، و استخلف أرسطاطاليس على دار العلم . فلما مات أفلاطون خرج أرسطاطاليس من مدينة أثينا[3] ، وكان قد أرسل إليه فيلبس[4] الملك ، فسار إليه إلى مدينة مقدونيا و هى مصر[5] . فأقام فيها يعلم ولده الإسكندر و غيره من أولاد الملوك ، و كان أرسطاطاليس ذات يوم جالسا و أبناء / الملوك المتعلمون منه قياما بين يديه ، فقال لفتى منهم : ١٣ / ا

(١) ولد حوالى ٤٢٧ و مات سنة ٣٤٧ ق . م .

(٢-٢) فى الأصل : سبعة عشر .

(٣) فى الأصل : انتيه . و هى عاصمة اليونان Athens .

(٤) فيلبس الثانى (٣٨٢ - ٣٣٦ ق . م) ملك مقدونيا و والد الإسكندر الأكبر الثالث (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) .

(٥) ربما كان المقصود بالكلمة « المكان » أو « الدولة » .

إن صار الملك إليك ما ذا تصنـــع بى؟ قال : أشركك فى ملكى ، فقال لآخر منهم : و أنت أيضا إن صار الملك لك ماذا تصنع بى ؟ قال : أفوض إليك أمرى . فقال للاسكندر : و أنت ما تصنع بى إن أفضى الملك إليك؟ قال : أيها المعلم ! لاترهنى اليوم لغد ، و لا تسألنى إلا عما أنا عليه ، فان صار لى ما ذكرت أنا أفعل بك الذى أرى فى ذلك الوقت أنه يصلح و ينبغى أن يفعله مثلى إلى مثلك فى ذلك الحال . فقال أرسطاطاليس حقـا إنك فيلسوف ، و إنك ستصير ملـكا عظيما ، و بذلك يدل طبعك و الفراسة فى أمرك .

ذكر الكاهن و الراهب[1]

فلنـذكر الآن خبر الـكاهن و الراهب و نعود إلى ذكر الإسـكندر ان شاء الله تعالى ـ قيل إنه كان فيما مضى من الزمان ملك جبار صاحب سحر و نجوم و كهانة . و كان له شيخ ساحر كاهن يصدر الملك عن رأيه . فقال الشيخ : أيها الملك ! قد كبر سنى و دق عظمى ، فأرى أن تنظر لى غلاما أديبا أعلمه العلم ، فيكون خلفا منى ، فأرسل الملك غلاما كان عنده ، فصار يختلف إلى الـكاهن ، فمر الغلام ذات يوم فسمـع بكاهن تحت الأرض ، فنظر فاذا هو بسرب تحت الأرض فدخله ، و إذا هو برجل راهب عليه ثوبان من الشعر ، فقال : من أدخلك على ؟ فأخبره رغبته فى الخير ، فأقام معه يومه إلى الليل ، فقال الراهب : أعطنى موثقا لا تدل علىَّ أحدا و إن قتلت أو حرقت بالنار . فأعطاه موثقه ثم انصرف إلى الملك

(١) هذا العنوان بهامش المخطوط .

Marfat.com

فسأله عن حاله و غيبته ، فكره أن يفشى سر الراهب ، و كره أن يكذب ، فضرب و وجّه إلى الكاهن ، فدخل على الراهب و أخبره بخبره ، فساءه ما لقى ، فقال له : إذا صرت إلى الملك و سألك : أين كنت؟ / فقل : ١٣/د
كنت عند أهلى ، و إذا صرت إلى الكاهن و سألك : أين كنت؟ فقل : كنت عند الملك . فمكث كذلك زمانا حتى استفاد علم الراهب كله و فاق فيه ، فمر يوما ببعض وزراء الملك و كان قد عمى ، فقال له الصبى : إذا رد الله عليك بصرك أ تؤمن[1] به . قال : نعم ، فمر يده على عينيه [2]فعادتا كما كانتا[2] أولا ، فآمن بالله تعالى . ثم دخل على الملك فقال : من أبرأك ؟ قال : مولاى و مولاك . قال : و من مولاى ؟ و من مولاك ؟ قال : الله تعالى . فاغتاظ ذلك الجبار لذلك ، و عرض عليه أن يرجع لدينه فأبى . فقال : من دلك على هذا ؟ قال : الشاب . فأمر به فقال عند ما رآه : ويحك ! ما يقول هذا الوزير ؟ قال : يقول الحق ، الله تعالى هو الذى أبرأه و هو على كل شىء قدير . فأمر بصلب الشاب و طعنه بالرماح فلم تعدو عليه ، فامر أن يحرق بخشبته التى صلب عليها فلم تحترق ، فأمر الرماة أن يرموه بالسهام فلم تصل إليه ، فمكث كذلك سبعة أيام ، ثم قال : أيها الملك ! إنك لا تقتلنى حتى تأخذ سهما من كنانتك ثم تقول : اللهم رب هذا الغلام ! اقتله . فأخذ الملك سهما و الناس ينظرون إليه ، ثم قال : اللهم رب هذا الغلام ! اقتله - و ضرب نحوه ، فسال دمه و مات .

(١) فى الأصل : لتؤمن .
(٢ - ٢) فى الأصل : فعادت كما كانت .

Marfat.com

فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فخدّ فى الارض أخدودا و أضرم النار ، ثم دعا بالناس ، فكل من آمن بالله أحرقه ، و من رجع إلى دينه تركه . فهذا الملك و قومه أصحاب الأخدود المذكورون فى سورة البروج . قال الله تعالى[1] : "والسماء ذات البروج" يعنى السماء ذات القصور و هى منازل الشمس و القمر تجرى فيها[2] النجوم السيارة اثنا عشر برجا ، "و اليوم الموعود" و هو يوم القيامة يجتمعون فيه يبتغون الثواب ، و يحذرون العقاب ، "و شاهد" و هو يوم الجمعة "و مشهود" و هو يوم عرفة ، فأقسم الله تعالى / بهم أن أصحاب الأخدود ملعونون محروقون بالنار - انتهى . ١٤/ الف

و نعود إلى ذكر خبر أرسطاطاليس - و ذلك أنه انعزل عن الاتصال بأمور الملوك ، فهيّأ موضعا للتعليم و أقبل على العناية بمصالح الناس و رفد الضعفاء و تزويج الأيتام و مساعدة الطالبين للعلم . و كان جليل القدر فى الناس ، و كانت له كرامات ثابته من الملوك و منزلة رفيعة ، فلما مات جعلوا جسده فى تابوت من نحاس و دفنوه فى الموضع المعروف بالأرسطاطاليس ، و صيروه مجمعا يجتمعون عنده للمشاورة فى جلائل الأمور ، و يستريحون إلى قبره ، و كان كل من يقصد مسألة أو حكمة فيأتى إلى ذلك الموضع الذى فيه أرسطاطاليس تنجلى عقولهم و تلطف أذهانهم ، و أيضا تعظيما له بعد موته ، و أسفا على فراقه لما فقدوه من ينابيع حكمته . و كان أرسطاطاليس أبيض حسن القامة صغير

(١) قرآن كريم سورة ٨٥ آية ١ .
(٢) فى الأصل : فيه .

العينين

Marfat.com

العينين صغير الفم عريض الصدر ، يسرع فى مشيه ' إذا خلا ' بنفسه ، و يبطئ إذا كان مع أصحابه . و كان إذا سئل تأنى فى الجواب . و كان يحب الاجتماع بأهل الرياضات و سماع الألحـــان ، منصف من نفسه إذا خوصم ، معترف بموضع الإصابة و الخطأ ، معتزل الملابس و المآكل و المشارب ، لم يزل بيـــده آلة النجوم و الساعات ، و مات و له ثمان و ستون سنة .

و من كلامه : إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فان [من] لم يكن له قناعة ليس المال يغنيه و إن كثر . و قال : العدل ميزان جعله الله تعالى فى أرضه ، و بـــه يؤخذ حق الضعيف من القوى ، و يظهر الحق من الباطل ، فمن أزال ميزان الله عما وضعه لعباده فقد جهل أعظم الجهالة . و قوله : العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا ، و الجاهل لا يعرف العالم و لا يعلمه لأنه لم يكن عالما .

كان[٢] بعض العلماء له ولد جاهل ، فكان الولد كلما دخل / على ١٤/د
أبيه رآه مشغولا بتصنيف العلوم ، فعـاتبه عـــلى ذلك ، فأنشد والده يخاطبه و يقول :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت تعلم ما تقول عذلتك
لـكن جهلت مقالـــتى فعذلتنى و عرفت أنك جاهل فعذرتك

(١-١) فى الأصل : داخلا ـ كذا .
(٢) فى هامش الصفحة بالمخطوط : مطلب .

و اعلم أن الأولاد متعبة للآباء، قال الشاعر :

أرى ولد الفتى كلّا عليه فطوبى للذى أضحى عقيما
فاما أن يربيه عدوا و إما أن يخلفه يتيما
و إما أن تداركه المنايا فيؤلم قلبه ألما عظيما

قال بعض الحكماء لولده : يا بنى ! علم الله ما أنا لك فأوصاك بى ، و علم ما أنت لى فحذرنى منك بقوله : "[1]ان من ازواجكم[1] و اولادكم عدوا لكم فاحذروهم[2]" - انتهى .

نعود[3] إلى حكم أرسطاطاليس و قوله : لا خير فيما يزول ، و لا غنى فيما لا يثبت . و قال : كل شىء يتهيأ للمرء فيه تدبير و حيلة إلا القضاء . و قال : من عرف الحكمة لاحظته العيون بالوقار . و قال : خذوا اللؤلؤ من صدف البحر ، و الذهب من التراب ، و الحكمة ممن قالها . و قال : لا تلقوا اللؤلؤ إلى الخنازير ، فانها لا تصنع به شيئا ، و لا تعطوا الحكمة لمن لا يريدها ، فان الحكمة أفضل من اللؤلؤ ، و من لا يريدها شر الخنازير . و قال : إذا كانت الشهوة فوق المقدرة ، كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة ، و لله در القائل حيث يقول :

و إذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

(١-١) فى الأصل : انما اموالكم - راجع القرآن الكريم سورة ٦٤ آية ١٤ .
(٢) و تمامها : " و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم * انما اموالكم و اولادكم فتنة و الله عنده اجر عظيم " .
(٣) فى هامش المخطوط : حكم أرسطاطاليس .

Marfat.com

و قال أرسطاطاليس : أسوأ الناس حالا من بعدت همتـــه ، و ضاقت مقدرته ، و كثرت أمنيته . و قال : عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم ، و إن غبتم بالخـــير ذكروكم . و تفسير « أرسطاطاليس » بلغة اليونانيين : المكمل الفاضل - انتهى .

خبر الإسكندر فى بداية أمره[1] ٥

نعود إلى خبر الإسكندر فى بداية أمره - و ذلك أن والده / الملك ١٥/ الف فيلبس لمـا حضرته الوفاة أحضر ابنه الإسكندر قدام أهـــل الرتب و الوزراء ، فوضع إكليل الملك عـلى رأسه ، و أجلسه مجلس الملك ، فدخل عليه القواد و الجيوش ، فسلموا عليـــه سلام الملوك ، و وقفوا فى خدمته .

ثم استدعى فيلبس الملك أرسطاطاليس الحكيم معلم ولده الإسكندر ، و عاهـده عهدا بحضرة الجميع أن يكون داعيا له و معزيا فيه لولده بعد فراقه للدنيا ، فأجابه الحـكيم إلى ذلك ، و كتب فيلبس لولده الإسكندر العهد ، و بعد ذلك اشتدت علته[2] ، ثم قضى نحبـــه ، فقام الإسكندر قدام جميع الناس الحاضرين و قال : أيها الناس ! إن ملـككم فيلبس قد مات ، و لست[3] أنا ملكا عليكم ، و لا لى عليكم أمر و لا ولاية ، فأيما رجل منكم رضيتم بـــه أن تصيروه ملكا عليكم فصيروه ، و أنا داخل

(١) العنوان مذكور بهامش المخطوط .
(٢) ف الأصل : عليه .
(٣) ف الأصل : و ليس .

Marfat.com

تحت طاعته، و أنا واحد منكم، و لا أخالفكم فى شىء من أموركم، فاسمعوا قولى و مشورتى، و أنزلونى بمنزلة الناصح لكم، الشفيق عليكم، المكلف بأموركم، و قد عرفتم ذلك منى فى حياة والدى، و إنى آمركم بتقوى الله و التمسك بطاعته، فملكوا عليكم إنسانا طائعا لربه، [1]رفيقا شفيقا[1] على الرعية، يعتنى بأموركم، و يرحم مساكينكم، عادلا[2] يحكم للقوى و المسكين بالعدل و الإنصاف، و من يبذل نفسه فى إصلاحكم و لا تشغله الشهوات عنكم، و تأمنون على أنفسكم من شره، و ترجون خيره، يباشر قتال[3] عدوكم، لتطمئنوا بمساكنكم.

فلما [أتم] قوله، تعجبوا منه و من رأيه و مشورته، و هو أمر لم تفعله قبله الملوك و لا نظرت فيـــه، و كان عمر الإسكندر إذ ذاك تسع سنين. فقالوا بأجمعهم: قد سمعنامشورتك، و قبلناها و فهمنا نصحك لعامتنا، و قلدناك أمورنا، فأنت الملك علينا، تعيش إلى الأبد سلطانا علينا، فانه ليس أحـد[4] من أهل الدنيـا أحق بالملك منك. ثم قاموا إليه و بايعوه و وضعوا التاج على رأسه و الإكليل / على مفرقه، و دعوا ١٥/ب له بالبركة و النصر على أعدائه. و قد تقدم ذكر صفة الإكليل، فأغنى عن إعادته.

(١-١) فى الأصل: رفوق شفوق.

(٢) فى الأصل: عادل.

(٣) فى الأصل: قتل.

(٤) فى الأصل: لأحد.

Marfat.com

ثم إن الإسكندر لما سمع من خاصته و عامته ذلك ، قال لهم : قد سمعت دعاءكم ، و فهمت محبتكم ، و أنكم قد ملكتمونى عليكم ، و أنا أسأل الله عز و جل الذى وهب لى منكم المحبة ، و أثبت فى قلوبكم طاعتى ، أن يلهمنى إلى العمل بطاعته و العدل باصلاح شأنكم .

[إرسال دارا و طلبه المال و جواب الإسكندر] ٥

فلما ملك الإسكندر و قوى و استقرت له الأمور ، بعث إليه دارا [٢] ابن دارا ملك فارس يطالبه بالمال الذى جرت عادة والده أن يعطيه له . و كان ذلك بيضا [٣] من ذهب ، [٤]عددا معروفا و وزنا معروفا [٤] . فكتب إليه الإسكندر يقول : إن الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض ذبحتها و أكلتها . و كان اليونانيون فى ذلك الزمان طوائف كثيرة لا يجمعهم ملك واحد بل ملوك متفرقة ، لكل طائفة ملك ، فجعل الإسكندر [يجمع - ٥] ملوك قومه حتى جمعهم كلهم و ملك عليهم . و هو أول الملوك الذى ملك على جميع اليونانيين ، و صاروا مملكة واحدة لملك واحد ، ثم خطر بباله أن يغزو ملوك المغرب ، فمضى إليهم و غزاهم فظفر بهم ، و ملك المغرب بأسره ، ثم مضى [إلى مصر] و ملكها

(١-١) هذا العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) دارا الثالث حكم من ٣٣٦ إلى ٣٣٠ ق . م .

(٣) فى الأصل : بيض .

(٤ - ٤) فى الأصل : عدد معروف و وزن معروف .

(٥) الكلمة ساقطة من الأصل ، و ازومها واضح من السياق .

Marfat.com

و بنى مدينة الإسكندرية فى السنة السابعة من ملكه [١]، بناها على البحر الأخضر [٢]، و سماها باسمه. ثم سار إلى الشام فملكه، و سار منه إلى أرمينية [٣] ببلاد الفرس.

فبلغ دارا ذلك، فكتب كتابا إلى أهل مدينة طيرس [٤] قائلا:

٥ أما بعد، فقد بلغنى خروج هذا اللص - يعنى به الإسكندر - فاذا وصل إليكم، فخذوا أصحابه، فاقذفوا بهم فى البحر بخيلهم و سلاحهم، و أمسكوا لى اللص رئيسهم و أنفذوه إلى و إلا نهبت أموالكم، و سلخت [٥] جلودكم، و أخرجت [٦] كبودكم من بطونكم. و لا تستهيبوه فانه صبى صغير حقير. فما عذركم عندى إن خالفتم أمرى.

ثم إن / الإسكندر نزل بنهر اسطوخوس [٧]: فبلغ ذلك دارا، ١٦/ الف ١٠ فكتب إليه: من دارا ملك ملوك أهل الدنيا إلى الإسكندر - أما بعد،

---

(١) أى فى سنة ٣٣١ ق. م.

(٢) أى البحر الأبيض المتوسط.

(٣) كانت أرمينية وقتئذ تمتد بين حدود فارس و اليونان فى الأناضول فوقعت فريسة لكلا الامبراطوريتين و كانت فارس قد اجتاحتها فى ذلك الوقت.

(٤) لعل المقصود مدينة صور المعروفة فى التاريخ القديم باسم Tyrus.

(٥) فى الأصل: و أسلخ.

(٦) فى الأصل: و أخرج.

(٧) لم نستطع تحقيق هذا الاسم من المراجع المعروفة، و لكن مكانه واضح حول منطقة نهر الفرات أو فروعه العليا.

Marfat.com

فقد عرفت أنت و علمت أن ملك السماء جعلنى ملك الأرض ، و أعطانى الرفعة و العز و الشرف و القوة ، و قـــد بلغنى أنك جمعت لصوصا ، و جزت بهم نهر اسطوخوس لتفسد فى أرضنا ، فاذا نظرت كتابى فارجع من حيث أتيت ، و لا تسلك بلادى ، لأنك عبد حقير ، فأشفق على نفسك و ارجع ، و لا تكن مشؤما على نفسك و لا على كل من معك ، و قد بعثت لك تابوتا مملوءا ذهبا لتعلم كيف كثرة المال عندنا و قوتنا به ، و أكرة لتعلم أن مثلها مساو ما فى يـــدى ، و عدل سمسم لتعلم أن عندى عددا كبيرا من الرجال الأبطال ، و درة من الجلود أصفعك بها ، لأنك صبى .

و وجه بالكتاب مع رسله ، فلما وقف عليـــه الإسكندر ، أمر بالرسل فكتفوا ، و دعا بالسيف كأنه يريد قتلهم ، فقالوا : أيها الملك ! من رأيت من الملوك قتل الرسل حتى تقتلنا . فقال لهم : إن صاحبكم قد زعم أنى لص ، و أنا أفعل بكم فعل اللصوص ، فلا تلومونى و لوموا صاحبكم الذى عرضكم للقتل و أرسلكم إلى إلص . فقالوا له : أيها الملك ! إن صاحبنا لم يعرفك ، و نحن قد رأيناك ، و نظرنا ما أنت عليه من الملك فى فضلك و كرم نفسك ، فاردد علينا أنفسنا ، و تفضل علينا ، فانا نخبر دارا بما رأينا من عظيم ملكك ، و شدة قوتك ، و نكون شهودا لك ، فقال لهم : من أجل أنكم خضعتم و اتضعتم و سألتم فقد عفوت عنكم و أحييتكم لتعلموا رحمتى و تعاطفى ، و إنى قريب الرجوع عنـــد الخضوع . فعند ذلك أمر بحل أكتافهم ، و تسكين روعهم .

و كتب : من الإسكندر ذى القرنين الملك ابن الملك إلى دارا الذى زعم أنه ملك الملوك ، و يظن أن عنده المال و الرجال ، و ها أنا سائر إليك لقتالك ، / و أرجو النصر من الله تعالى أن يظهرنى عليك ١٦/ب لأنى أعبده و أوحده ، و أنت تشرك به . و قد أعلمتنى فى كتابك من كثرة ما أوتيت من الذهب و الكنوز ، و ما بنا إليه حاجة . و سيرت لى بدرة و أكرة [1] و تابوت مملوء [1] ذهبا ، فأما الدرة فانها سوط عذابى ، يعيننى الله بـــه عليكم لأذيقكم بأسه ، و أكون عليكم مؤدبا بها . و أما الأكرة فانى آمل أن يجمع الله لى ملك الأرض باجتماع الأكرة بيدى ، و أما التابوت فأنه طائر [2] عجيب فى نصر الله إياى عليك ، لأن التابوت خزانة من خزائنك مملوءة ذهبا ، فهذه علامة تحول خزائنك إلى . و أما عدل [3] السمسم فعدده كثير . و لكنه لين المجسة مأكول للبشر بغير كلفـــة ، و قد وجهت اليك [بعدل - [4]] من خردل فذق طعمه ، و اعـــلم أنك عولت فى نفسك و سطوتك بقوة سلطانك ، و ظننت أنك أرهبتنا بما ذكرت من عددك ، و أنا أرجو أن الله يضعفك ، و يضعك [5] بقدر ما رفعت به نفسك ، حتى تتسامع بك أهل الأرض بأنى قد قهرتك ، و استظهرت عليك بقوة إلهى ، فثقتى بـــه و توكلى عليه - و السلام .

(١-١) فى الأصل : تابوتا مملوءا .
(٢) بمعنى الطيرة .
(٣) فى الأصل : العدل .
(٤) الكلمة ساقطة من الأصل ، و مكانها واضح من السياق .
(٥) فى الأصل : يوضعك .

و طوى

Marfat.com

و طوى الكتاب و دفعه إلى الرسل، و وهب لهم التابوت من الذهب الذى بعثه دارا إليه . فتقدم الإسكندر و تجهز لقتال دارا . فقيل له إن فى عسكر دارا ثلاثمائة ألف مقاتل . فقال : إن الأسد الحاذق لا يهوله كثرة الغنم، و إن الحطب الكثير تحرقه الشرارة . و تقدم الإسكندر ، و واقع نائب دارا بمدينة طيرس فهزمه ، فقدم على دارا منهزما و قد قتل أكثر رجاله . ثم ارتحل الإسكندر يطلب دارا ، فالتقت العساكر بعضهم ببعض ، فكان لهم وقعة عظيمة سالت فيها الدماء مثل سيل الأودية من أساورة الفرس / و اشتغل أهل دارا بالغنائم . و ثبت ١٧ / ا عسكر الإسكندر . فنظر دارا إلى جماعته و رؤساء أصحابه و خيار أعوانه و قد بادوا و هلكوا، و الأحياء منهم مثخنون[1] بالجراحات ، تحقق فى نفسه أنه مغلوب[2] ، فولى هاربا ، و احتوى الإسكندر على خزائن دارا و ما تركه ، و أسر من الفرس كثيرا ، و من جملة المأسورين أم الملك دارا و ابنته و زوجته ، و مضى دارا هاربا إلى أن وصل إلى نهر كبير و قد صار أعلاه جليدا من الثلج ، فعبر على الجليد الذى ركد على الماء و تبعه أصحابه ، فانخسف بهم الجليد من كثرة تتابع الخيل فغرق أكثرهم ، و سلم دارا فمضى حتى دخل بيت أصنامه يستغيث بهم ، و عاذ من الإسكندر و قال : قد و الله ذبح الإسكندر الدجاجة التى كانت تبيض لى بيض الذهب الذى كان يرسله لى والده ، و أكلها و أكلنى معها . ثم دبر أمره

(١) فى الأصل : مثخنين ـ كذا .
(٢) فى الأصل : مغلوبا .

و قال: أقوم أمضى إلى الإسكندر لأنه قد صار ملكا عظيما بعد احتقارى له، ثم أقرر له العهد .

فكتب له كتابا يستعطفه فيه، و يتضرع له و يسأله أن يرحمه، و أن ينفذ إليه والدته و زوجته و ابنته، و يعطيه عوضهن ما عنده من كنوز ملوك فارس و خزائن آبائه . فلما قرأ الإسكندر كتابه علم أنه فى الحياة، فنهض بأصحابه نحوه، و بلغ دارا إقبال الإسكندر، فخرج هاربا مع بعض من بقى معه إلى فور[1] ملك الهند، فلحقه الإسكندر، فلما نظر الفريقان إلى بعضهم بعض، علم من مع دارا أنهم ليس لهم قدرة بعسكر الإسكندر، فوثب إلى دارا وزيران له ليقتلاه ليحصل لهما بذلك حظوة عند الإسكندر، فعاتبهما دارا و ذكرهما جميله و إحسانه إليهما ألا يسفكا دمه لخيرهما / فان الإسكندر ملك و إن تقربتما اليه بقتلى ١٧ / ب لم تسلما منه، فان الملوك تأخذ بثأر الملوك، فلم يسمعا كلامه و ضرباه بسيفهما حتى وقع عن فرسه، فأدركه الإسكندر قبل أن يموت، فنزل عن فرسه و أخذه إليه، و جعل رأسه فى حجره، و نفض التراب عن وجهه، ثم قال له و عيناه تدمعان: يا دارا قم من مصرعك، و كن

(١) « فور ملك الهند » و لعله « بور » أو « بوروس » Porus من ملوك شمال غرب الهند غالبا على حدود إمبراطورية فارس و حدود أفغانستان: و ظاهر أن هزيمته النهائية جاءت على يد الإسكندر فيما بعد سنة ٣٢٧ ق . م . وجاء فى « نهاية الأرب » للنويرى (ج ١٤ ص ٣٢١) « فور و هو الذى قتله الإسكندر بن فيلبس اليونانى مبارزة، و كان ملكه إلى أن قتل أربعين و مائة سنة » .

Marfat.com

ملكا على أرضك، و أقسم لك بالله السماوات و الأرض لأملكنّك و أرد عليك ما أخذت منك، و أكون عونا لك على عدوك، فقم فانى غير مؤاخذك بما سلف منك، و لا تجزع و لا تخف عند حلول البلاء بك، فان الملوك أولى بالصبر على البلايا من غيرهم، و أعلمنى من فعل بك هذا لأنتقم لك منه .

فقال دارا و عيناه تدمعان و وضع يد الإسكندر على و جهه و جعل يقبلها و يقول: يا ذا القرنين! لا تتكبر و لا تتجبر و لا ترفع رأسك فوق قدرك، و لا تركن إلى الدنيا، فان الدنيا ليست بدار مقام، و لا تدوم بحال، فقد رأيت ما أصابنى، و هو يكون لك عبرة أنت مكتف بها، فاحذر مصرعى، و انظر ما صيرتنى إليه المقادير، و أنا أوصيك أن تحتفظ بأمى و تجعلها أمك و زوجتى تكون عندك بمنزلة أختك، و قد زوجتك ابنتى روشان[1]، فخذها لك امرأة، ثم وضع يده فى فيه فمات .

فامر الإسكندر بدارا أن يغسل و يطيب بالمسك و العنبر، و كفنه بالثياب المنسوجة بالذهب، و نادى المنادى فى الروم و الفرس، فاجتمعوا مشتملين السلاح، فجعلهم صفوفا، ثم أمر عشرة آلاف رجل منهم أن تمشى قدام سريره، و قد استلوا سيوفهم، و عشرة آلاف خلفه، و عشرة آلاف عن يمينه، و عشرة/ آلاف عن يساره . و مشى ١٨/الف الإسكندر قدام سريره و معه عظماء فارس و ساداتها، و صارت الرجال على رتبها حتى انتهوا الى قبره، و جلسوا و جلس الإسكندر عنده .

(١) و هى روكسان Roxane .

Marfat.com

و أمر بدفنه . ثم أمر بالقبض على وزيرى دارا ، فاحضرا إلى قبر دارا فصلبا ، فلما رأى ذلك رجال فارس ازدادوا للاسكندر حبا ، و أمر أجناده أجمعين أن يمشوا بين المصلوبين رجلا رجلا ، ففعلوا كما أمرهم ، ثم بعث إلى روشان بنت دارا فأعلمها بما كان من وصية أبيها له عند موته ، و مسألته إياه أن يتزوجها ، و عرض عليها ذلك فأجابته ، فأمر لها بمال جزيل ، فجهزت به ، و حملت إليه .

ثم خلف على فارس أخا دارا ، و صيره مكان أخيه ، و ملّك على فارس سبعين ملكا ، و هم ملوك الطوائف ، و أحرق كتب المجوسية ، و هدم بيوت النيران التى كانت تعبد بها[1] المجوس . و كان أردشير[2] أحد ملوك الطوائف الذين كانوا بين الفرس الأول و الفرس الأخر . وكان ينزل مدينة اصطخر[3] ، و كان بينه و بين[4] الهجرة النبوية أربعمائة سنة . و كانت ملوك الطوائف قد تغلّب كل ملك على جهته ، و أراد الملك لنفسه . و كان سبب ذلك أن الإسكندر لما غلب على دارا بن دارا ، و فرق ملك

---

(١) فى الأصل : تعبدها .

(٢) ربما كان المقصود أرد شير الأول Artaxerxes أو Ardeshir مؤسس الأسرة الساسانية من ملوك الطوائف كما ورد فى النص فى سنة ٢٢٦ م . (راجع Sir Percy Sykes, History of Persia, Vol. I, p. 391 ff.) .

(٣) اصطخر من مدن فارس القديمة بالقرب من Persepolis على بعد ثلاثين ميلا شمال شرق شيراز انتقل إليها ملوك الأسرة الساسانية فيما بعد عند ما خرب الإسكندر الأكبر برسابوليس المذكورة فى سنة ٣٣٠ ق . م .

Marfat.com

الفرس، كتب لمعلمه أرسطاطاليس يستشيره فى أمر الفرس فقال له: ولّ كل واحد من أكابرهم على جهته، فانهم يتنافسون الملك، فلا يجتمعون على ملك واحد منهم، فمتى خالفك واحد منهم، كانت مؤنته عليك قريبة. فلم يزالوا كذلك أربعمائة سنة لم يجمعهم ملك واحد. فلما قام أردشير بأمرهم بعد أن كابد منهم مشقة كبيرة، قال إن كلمة / فرقتنا أربعمائة سنة لكلمة مشؤمة - يعنى كلمة أرسطاطاليس. ١٨/ و كان الإسكندر يقبل من معلمه أرسطاطاليس كل ما يقول له لما كان يرى فى قوله الصواب، فركن إلى ذلك كما قال الإسكندر و قد سئل: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ فقال: بل معلمى، لأنه سبب حياتى الباقية، و والدى سبب حياتى الفانية.

و اعلم أن اقتناء الفضائل و الحكم خير من قبح الجهل و دناءته، كما حكى[1] أن حكيما دخل على رجل داره، فرأى دارا مشيدة، و فرشا مبسوطة، و رأى صاحبها خلوا من الفضائل، فبصق الحكيم فى وجهه. فقال: ما هذا السفه أيها الحكيم؟ قال: بل هذا الذى فعلته حكمة. قال: كيف ذلك؟ قال: إن البصاق ليرمى إلى أخس مكان فى الدار، ولم أر فى دارك أخس منك. فنبه بذلك على دناءة الجهل و أن قبحه لا يزول بادخار ما يقتنى - انتهى.

---

(٢) بهامش المخطوط: حكاية. - و الغالب أن الحكاية مأخوذة عن ديوجينيس Diogenes.

Marfat.com

أخبار الإسكندر[1]

نعود إلى أخبار الإسكندر - ثم إن الإسكندر غزا فور ملك الهند ، فظفر به و قتله ، و سار إلى أرض الصين[2] ، وجرى له مع ملك الصين ما تقدم ذكره[3] مفصلا فى هذا الكتاب . و دخل الظلمات فى طلب عين الحياة ، و ظفر بها الخضر[4] إذ كان على مقدمته ، فشرب منها فطالت حياته ، و حرم الشرب منها الإسكندر لإخفائها عنه . وجرى للاسكندر أمور يطول شرحها ، و قد تقدم ذكر سبب تسميته بذى القرنين ، فأغنى عن إعادته . و كان مدة ملكه (سبع عشرة) سنة ، أقام منها تسع سنين محاربا ، و ثمان سنين مطمئنا بغير حرب ، و غلب اثنتين و عشرين أمة و ثلاث عشرة من عشائره . و يقال إنه فى ذهابه إلى المشرق و المغرب طاف الدنيا فى سنتين ، و لم يلبث بعد غلبه دارا ملك الفرس إلا ست سنين و مات .

١٩/الف و كان عدة جيش الإسكندر ثلاثمائة ألف / و عشرين ألفا من المقاتلة سوى الأتباع .

---

(١) العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) أغلب الظن أن المقصود هنا منطقة أفغانستان حيث المعروف أن الإسكندر وصل مكان كابل عاصمتها .

(٣) لم يرد ذلك فيما سلف من نص المخطوط المعروف .

(٤) انظر فى « قصة الإسكندر و الخضر » عند العرب عن السريان و اليهود دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) جزء ٢ ص ٨٦١ - ٨٦٥ .

(٥-٥) فى الأصل : سبعة عشر .

Marfat.com

و كان الإسكندر[1] أشقر أزرق لطيف القامة . و كانت عيناه مختلفتين إحداهما شديدة الزرقـــة و الأخرى سوداء و إحداهما تنظر إلى فوق و الأخرى إلى أسفل . و كانت أسنانه دقاقا حادة . و كان وجهه كوجه الأسد . و كان شجاعا جريئا على الحروب منذ صباه . و مات و له ست و ثلاثون سنة . و كان لايشبه أباه و لا أمه بل خلقته كانت عجيبة ، و نظر المنجمون فى نهاية انقضاء ملك الإسكندر أن علامة ذلك أنه يموت على أرض من حديد تحت سماء من ذهب . فبينما هو ذات يوم إذ رعف رعافا كثيرا ، فأجهده الضعف حتى مال عن فرسه ، فنزل بعض قواده ، فنزع درعه الحديد و فرشه له و ظلل على رأسه بترس مذهب - فلما رأى ذلك الإسكندر قال : هذا أول منيتى و ما كانت المنجمون تذكره ، فوصى إذا هو مات أن تكفن جثته و تجعل فى تابوت من ذهب حفظا و إعظاما لها عند الدفن . فلما مات أخرج محمولا على مناكب العظماء و الأشراف و الملوك حتى وضع وسط مملكته بين الملوك و الحكماء و الأمراء و الوزراء . ثم قام زعيم القوم فقال : هذا يوم عظمت فيه العبر ، فمن كان باكيا فليبك على ملك جليل ، و من كان متعجبا فليتعجب . ثم قال : يا معشر الحكماء ! ليقل كل واحد منكم قولا يكون للخاصة معزيا و للعامة واعظا . فقام[2] أحدهم و قال : أيها المنطيق ! ما أخرسك ! أيها العزيز ما أذلك ! إذ وقعت فى هذا الموضع شبه الصل فى الشوك . و قام

(١) فى هامش المخطوط : مطلب - صفة صورة الإسكندر و شكله .
(٢) فى هامشه : أقوال الحكماء عند قبر الإسكندر .

Marfat.com

آخر و قال : كان الإسكندر يخزن الذهب ، فصار الذهب يخزنه . و قال آخر : كان الإسكندر يخافه من لا ينظر إليه ، فقد صار لا يخافه من ينظر إليه . و تكلم كل واحد من الحكماء / الحاضرين كلاما يعزى به ، ثم حمل ١٩ / ب تابوته إلى الإسكندرية ، فلما قرب منها أمرت أمه روقيا أهل المدينة أن يتلقوه بأحسن ملتقى ، ففعلوا ذلك ، فلما أدخلوا التابوت الذهب إليها قالت : إن هذا عجب لمن بلغت الأقطار حكمته و ملكه و حكمه و هيبته ، و طاف أقطار الأرض كيف هو اليوم نائم لا يستيقظ ! و ساكت لا يتكلم ! و ناحت عليه ، و أمرت بدفنه فى تابوت من حجارة ، و قالت : إن من يأتى بعدنا لا يتركونه فى هذا التابوت الذهب ، بل يخرجونه منه و يأخذونه . فدفن - رحمه الله ! و بنى على قبره بالصخور ، و صار ينتظر الرحمة من الرب الغفور . و كتب على قبره « هذا قبر الإسكندر الذى بلغ مشارق الأرض و مغاربها ، و أطاعه أهلها ، فصار دفينا ببطنها ، بعد أن ارتجت لعساكره ظهرها ، فسبحان الحى الذى لا يموت » .

قال بعضهم :

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة و فخرا ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم ... فما تدرى الغنى من الفقير
و لا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا و هذا ... فما فضل الغنى على الفقير

جنازته

Marfat.com

ولما انطلق الإسكندر يسير فى البلاد، مر بشيخ يقلب جماجم الموتى، قال: فوقف عليه فقال له: أخبرنى أيها الشيخ! لأى شىء تفعل ذلك؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع، و الصالح من الطالح، و المؤمن من الكافر، فما عرفتهم و إنى لأقلبهم منذ أربعين سنة.

قال بعضهم: ٥

كأنك قد رحلت عن المبانى ... و وارتك الجنادل و الصعيد
و ناداك الحبيب فلم تجبه ... و قربك منه فى الدنيا بعيد
و أصبح مالك المجموع نهبا ... و عطل منه ذا القصر المشيد
و عاد بنوك أيتاما صغارا ... و عانق بعدك العرس الجديد
/ وأقرب منك أنك لست تدرى ... شقيا أنت وحدك أم سعيد ١٠ ٢٠/الف

عن كعب الأحبار أنه قال: بينا الإسكندر يسير هو و جنوده إذ مر على شيخ يصلى، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته، ثم قال له الإسكندر: أخبرنى يا عبد الله! لم يروعك ما حضر من جنودى و عساكرى؟ قال: كنت أناجى من هو أكثر منك جنودا، و أعز سلطانا و أشد قوة، و لو صرفت بوجهى إليك، لم أدرك حاجتى. قال له ١٥ الإسكندر: يا عبد الله! هل لك أن تنطلق معى حتى أواسيك بنفسى، و أستعين بك على بعض أمورى؟ قال له: نعم، على شرط إن ضمنت لى أربع خصال، قال: و ما هى - يرحمك الله؟ قال: نعيم لا يزول، و صحة لا سقم فيها، و شباب لا كبر فيه، و حياة لا موت فيها. فقال له الإسكندر:

Marfat.com

و أى مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ قال الشيخ: فان معى من يقدر عليها و يملكها. قال: ثم ودعه و انصرف.

شعر

ألا فاسعفانى قبـــل أغبر مظلم بعيد من الخلان من هو نازله
رأيت الفتى إن مات يقسم ماله و تنكح أزواج له و حلائله
فدعنى أمتع فى الحياة شبيبتى وآكل مالى قبل من هو آكله

كان بعض الصالحين لا يرى الادخار، بل كان قوته كفافا يوما بيوم، و يقول: فضيحة علىّ بين الصوفية أن أترك من الدنيا شيئا بعد موتى. وكذلك قال الشيخ عبد الرزاق الصوفى شيخ رباط عنتاب[1]، و ذلك أنه قبل وفاته بساعة و له نحو مائة سنة و لم يترك كفنا، فقالت له امرأته: إنك ستفتضح اليوم لا يوجد لك كفن. فقال لها: لو تركت كفنا لافتضحت بين الصوفية، أما سمعت ما قيل: غم الأحياء خمسة أشياء: أولها غم الذنوب الماضية لأنه قد أذنب ذنوبا ولم يتبين له العفو، والثانية/ أنه قد عمل الحسنات ولم يتبين له القبول، و الثالثة أنه قد علم حياته فيما مضى كيف مضى و لا يدرى كيف يكون فى الباقى. و الرابعة أنه قد علم أن لله دارين الجنة و النار و لا يدرى [إلى[2]] أى دار يصير منهما، و الخامسة

(١) عنتاب أو عين تاب، قال ياقوت «قلعة حصينة و رستاق بين حلب وأنطاكية و كانت تعرف بدلوك (معجم البلدان ـ طبعة وستنفلد ـ ج ٣ ص ٧٥٩).
(٢) واردة بالتصحيح فى الهامش.

لا يدرى أن الله تعالى عنه راض أم ساخط ؛ فمن كان غمه فى هذه الخمسة فى حياته فانها تمنعه عن الضحك و طلب الدنيا ، و من لم يكن غمه فى هذه الخمسة فانه يستقبله بعد موته خمسة من الغموم : أولها حسرة ما خلف من التركة التى قد جمعها من الحلال و الحرام و تركها للورثة الأعداء ، الثانى ندامة تسويف الأعمال الصالحة فيرى فى كتابه عملا قليلا فيستأذن للرجوع ليعمل فلا يؤذن له ، و الثالث ندامة الذنوب فيرى فى كتابه ذنوبا كثيرة فيستأذن للرجوع ليتوب فلا يؤذن له ، و الرابع يرى لنفسه خصوما كثيرة و لا يتهيأ له أن يرضيهم إلا بأعماله ، و الخامس وجد الله عليه غضبان و لا يمكنه أن يرضيه .

و روى أبو ذر الغفارى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ، و لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى ربكم و تبكون - يعنى تتضرعون إلى ربكم - و لو تعلمون ما أعلم ما نشطتم إلى نسائكم ولا تقلبتم على فرشكم ، و لو ددت أن الله خلقنى يوم خلقنى شجرة تعضد .

وقال النبى صلى الله عليه و سلم : من مات فقيرا من فقراء الله عز و جل، ولم يترك دينارا و لا درهما ، لم يكن فى القيامة عبد أغنى منه ولا أشرف ، و من مات و ليس له كفن ، قال الله عز و جل : يا ملائكتى ! كفنوه من ثياب الفردوس ، و صلى عليه جبريل مع سبعين ألف ملك ، و من مات فقيرا راضيا بفقره بعث الله إليه بعدد كل خلق من ولد آدم ملكا يشيعون

Marfat.com

٢١/الف جنازته/ و لا أحد أكرم على الله عز و جل منه . فلما سمعت امرأة الشيخ عبد الرزاق منه ما ذكره و ما خاطبها به سكتت ، و توفى زوجها بعد كلامه ذلك - انتهى .

قصة سكندس مع والدته[1]

٥ نعود - و كان الإسكندر بأرا بوالدته لعلمه بأن برها واجب عليه ، فمات و هى راضية عنه بخلاف والدة سكندس الفيلسوف، فانها ماتت ساخطة عليه ، لحيلته عليها و مكره بها . و ذلك أن بعض الأوائل كان له ولد يسمى سكندس[2] ، و كان يحبه حبا شديدا . و لما نشأ الغلام أسلمه لمعلم مكتب الحكمة ، فلما بلغ اثنتى عشرة سنة من عمره أرسله أبوه إلى مدينة اتناس[3] ، ١٠ فبذل[4] الصبي مجهوده و حرصه فى تعليم الحكمة من الحكماء الفلاسفة ، و دفع نفسه إلى تعب عظيم حتى أنه فاق أهل زمانه بمعرفة الحكمة و الفلسفة ، فأقام بتلك المدينة عشرين سنة يقرأ و يعلم . فبينما هو يطالع فى كتب الحكمة و أخبار الفلاسفة ، إذ رأى فيها أن النساء جميعهن ليس فيهن حرة ، بل زوانى يشتهين[5] الرجال ، ما خلا من[6] تقيم نفسها عابدة لله . فقال فى ١٥ نفسه : ترى والدتى هى أيضا زانية ! لأنى أعلم أنها من حرائر النساء .

---

(١) العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) فى الأصل : سكندروس . وورد « سكندس » قبلئذ و بعدئذ - انظر حاشية سابقة .

(٣) أغلب الظن أن المقصود مدينة « اثينا » وقد سبق ورودها « اتيه » وصححناها .

(٤) فى الأصل : فابذل .

(٥) فى الأصل : يشتهون - كذا .

(٦) فى الأصل : ممن .

Marfat.com

و قد أطلق هذا الفيلسوف فى كتابه القول على جميعهن، ثم قرأ أيضا فى تلك الأخبار الفلسفية ، فوجد أن الحق يحتاج إلى امتحان و تجربة قبل التصديق . فقال سكندس : لا بد لى إن عشت و وصلت إلى بلدتى التى نشأت فيها أن أجرب والدتى و أمتحنها لأعرف صحة ما قالته الفلاسفة ، و إن لى غائبا عنها مدة عشرين سنة ، و كنت قبل مفارقتى لها بغير لحية و الآن فقد التحيت و أخذت حد الرجال ، فهى لا تعرفنى إذا سألتها عن هذا الأمر ، فان ظهر الحق لى تيقنت أن الفلاسفة و الحكماء غير مغلوبين فى إقامة الحق ، و اذا لم أجد لذلك صحة فأنا أرذل جميع الحكماء. وكان بلغه موت أبيه ، فعزم على السفر إلى مدينته ، فوقف/عند ورود الماء يتميز كل الذين ٢١/ يستسقون ، فجاءت جارية تملأ الماء ، فعرفها و هى لم تعرفه لتغير حليته عليها فى تلك المدة الطويلة ، فدعاها فاقتربت فقال لها : سيدك اليوم فى هذه المدينة ؟ فقالت : بل قد مات . فقال لها : فولده هنا؟ قالت : لا بل هو غائب عنا منذ عشرين سنة لم نره فيها . فقال لها : فزوجة سيدك عازبة أم متزوجة ؟ قالت : بل عازبة . فقال : إنى تاجر غريب عزمت على السفر ، و قد احتجت إلى مواقعة النساء لقوة ما حصل عندى من الشبق و الشهوة الغالبة لطول العزبة فى السفر ، و هذه الدنانير تدفعينها لها و هذا الدينار أيضا لك لسفارتك بيننا لتجمعى بينى و بينها لأزيل ضرورتى . فلما رأت الجارية الذهب ، حسن بيالها الكلام معها فى ذلك ، فتقدمت الجارية فأخذته منه ، و مضت لسيدتها و حدثتها الحديث و حسنتـــه لها و قالت : هو رجل غريب على سفر لا يعرفنا و لا نعرفه ، و قد بذل[1] لك هذه

(١) فى الأصل : ابذل .

ترتفق بها ، و لم تزل تحسّن بالها ذلك حتى رضيت . ثم إن الجارية عادت إليه و قالت له : إنى رغبتها فرغبت فتكون عندنا الليلة . فلما كان الليل أدخلته الجارية الدار ، فوجد والدته قد تزينت و تطيّبت و تهيأت له ، فأكل معها و شرب ، و تقدم إليها ، فصار يقبّل ثدييها تقبيلا كثيرا لا غير ذلك ، فسألته عن سبب فعله ذلك ، إذ ليس معهودا من الرجال إذا اختلوا بالنساء ، بل المعهود منهم طلب التقبيل فى الفم و الوجه و المواقعة و التمتع . فقال لها : أما تعرفينى ؟ قالت : لا و الله ! قال : أنا ولدك سكندس ، / و أنا لا أفعل شيئا غير تقبيلى لهذين الثديين اللذين أرضعانى . ٢ / الف فلما سمعت قوله ذلك خفق قلبها ، و طار عقلها ، و استحال لونها ، و نشف ريقها فى فمها ، و قامت توارت عنه فى بيت آخر ، و ربطت حبلا فى خشبة فى السقف ، و جعلت فى طرفه خيّة[1] ، و جعلتها فى عنقها بعد أن صعدت على كرسى ، و دفعته برجليها فوقع ، فاختنقت بالخيّة ، و عالجت ساعة و ماتت - هذا ما كان منها . و أما ما كان من ولدها فانه استبطأها ، فقام يطلبها ليزيل كلحتها ، فوجدها مشنوقة قد فارقت الحياة ، فندم على فعله ذلك و قال معاتبا لنفسه قائلا : أيها اللسان الردىء ! إنى أعاقبك بالسكوت حتى تموت . فأقام ساكتا لم يتكلم بحرف واحد إلى أن مات .

(١) فى لغة العامة بمصر يقصد بها عقدة .

Marfat.com

[1]ذكر وقود النار فى الليل على الأسوار وقت الحصار[1]

[2]ذكر وقود النار فى الليل على الأسوار وقت الحصار ، و الرمى على الفرنج الكفار ، بالنفط الطيار ، و كثرة الطعام للمحصورين من المسلمين و غير ذلك[2] .

إذا حاصرت الفرنج مدينة للمسلمين ، فينبغى لأهلها فى الليل أن يوقدوا[3] على أعلى سورها فوانيس من الزجاج ذوات البرانس الزجاج ليضىء السور بالنور لينظروا بذلك النور ما يفعله أهل الشرور ، فيحترزوا منهم . و قيل إن حصون الشام و العراق و خراسان يشعلون النيران فى الأصطال[4] النحاس ، و تعلق بسلاسل تجاه العدو خارج السور كى ينظر من هو بأعلى السور من الرماة و الحرس العدو ولا ينظر العدو إليهم ، و ذلك أحسن من فوانيس الزجاج التى توقد بين الشراريف فى الرمل وسط قصارى[5] الفخار القصيرة الحافات ، / لأن العدو ينظر بها ٢٢/ ب من هو بأعلى السور ، فيرمى عليهم فى ضوئها ، إلا أن يكون السور

(١-١) هذا العنوان من الهامش .

(٢-٢) العبارة بتمامها فى النص و هى مكررة فى هامش المخطوط .

(٣) فى الأصل : يقدوا .

(٤) جمع صطل أو سطل ، و هو إناء من نحاس .

(٥) جمع قصرية و هى إناء من الخزف أو الفخار .

مستترا بالأخشاب المانعة للنشاب ، و يكون الوقود فيها بحب القطن و الزيت و خرق الكتان و القطن . ثم يعتدون [1] للعدو بكل حيلة و مكيدة بالنار و غيرها [2] ، و أن يفعل بالعدو كفعل الملك العابد أبى يوسف المرينى بعدوه ، و ذلك أن الفنش [3] صاحب مدينة إشبيلية بجزيرة الأندلس خرج فى جيوش النصرانية قاصدا قتاله ، فأتت جواسيس الملك العابد صاحب غرناطة ، أخبرته بأن الفنش وصل بجيشه إلى مكان كذا على أميال يسيرة . و ذلك بعد أن جهز الملك العابد جيوشه لملاقاته ، فلما كان أول الليل قال لقائد جيوشه : تأمر كل من فى العسكر أن يحمّلوا كل [4] ما معهم من إبل حطبا ، فنودى فى العسكر بذلك ، فلم يبق جمل إلا و حمل حطبا ، فكانت ألوف جمال موسوقة به . ثم أمر بالرحيل فرحل العسكر تقدمه تلك الجمال ، فلما صار بين عسكر المسلمين [و بين العدو] نحو ميل ، مثل أمر السلطان بأن تطلق فى الأحطاب التى على الجمال النيران ، فقدح بالزند الشرار ، و أطلق فى الحطب ، و نغزت الجمال بأسنة الرماح ، فسارت كالسيل المنحدر من الجبال ، فلم تسر نحو ساعة و هى تتقد إلا و خيل النصارى النازلين بمعسكرهم قطعت

(١) فى الأصل : يعتدو .

(٢) فى الأصل : غيره .

(٣) راجع فيما سبق ذكر حروب الفنش و المسلمين فى الأندلس ج ٣ ص ١٧٧ - ٢٨٠ .

(٤) فى الأصل : لكل .

Marfat.com

مقاودها ، و هجّت فى أصحابها النصارى تركلهم بأرجلها و تكدمهم بأسنانها طالبة نجاة أنفسها ، فما هجت خيلهم إلا و جمال النار داستهم دوسا تعثر فيهم ، فوقعت الجمال وسط عسكرهم بأحمالها عليهم من شدة النار التى أكلت ظهورهم ، فأكلت تلك النار الجمال و الكفار مع ما أكلت من أثاثهم و خيامهم ، و احترق / سرادق الفنش بكل ما فيه ، و طلب كل ٥ ٢٣/ الف من لم تصبه النار الفرار إلى القفار ، فمن قدر منهم على فرس غائر ركبه و نجا بنفسه ، و من أدركه[1] المسلمون قتلوه ، فعند ذلك جمع[2] المسلمون الخيول الغائرة و الخيول النافرة ، و صار حريق النصارى مكتوبا[3] فى السير السائرة .

و إذ قد ذكرت الزند و النار ، فسأذكر ما قيل فيهما إن شاء الله ١٠ تعالى . ذكروا أن النار إذا قدحت من الزنـــد و الزندة يقال للأعلى الزند و للسفلى الزندة ، و يقال فى الشجر النار . قال الله تعالى[4] : " الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا " يعنى الأخضر إذا يبس يورى منها النار ، فأم هذه النار و أبوها الزند و الزندة من شجرة واحدة . و لذلك قال ابن دريد فى مقصورته التى مدح بها بنى ميكال : ١٥

و منتج أم أبيـــه أمـــه لم يتخوف جسمه مس الضوى

---

(١) فى الأصل : أدركته .
(٢) فى الأصل : جمعت .
(٣) فى الأصل : مكتوب .
(٤) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٨٠ .

Marfat.com

يعنى الزند و الزندة و لذلك[1] قال: أم أبيه أمه . و كما قال كعب بن زهير
فى قصيدته التى مدح بها النبى صلى الله عليه و سلم :

حرف أخوها أبوها من مهجنة . و عمها خالها قوداء شمليل

هذا جمل قرع ناقه فولدت سقبا أى ذكرا، فلما بلغ قرع هذه الناقة
فولدت بكرة هو أبوها و هو أخوها من الفحل الكبير خالها لأبيها لأنه
أخ لأم و أب، و الحرف من النوق تكون هزيلة و سمينة، و قيل:
سميت حرفا لأنها انحرفت من السمن إلى الهزال، و هذا حسن فاعرفه -
انتهى .

[2]ذكر ما قيل فى أربعة خرجوا لأربعة أشياء فوجدوا أربعة أشياء[2]

فلنذكر الآن ما قيل فى أربعة خرجوا لأربعة أشياء فوجدوا أربعة
أشياء: يوسف عليه السلام خرج مع إخوته للتنزه فوجد العبودية .
و بلقيس خرجت تنظر ملك سليمان عليه السلام فوجدت معرفة الرحمن،
و طالوت خرج يطلب الحمار فوجد النصر على الكفار، و موسى عليه
٢٣/ب ١٥ السلام / خرج ليقتبس النار فوجد كلام الملك الجبار، خرج للاصطلاء
فوجد الاصطفاء، و كان معه تلك الليلة زوجته بنت نبى الله شعيب
و هو سائر بها من مدين إلى مصر، فانسدلت الظلمة و أصاب زوجته

---

(١) فى الأصل : كذلك .
(٢-٢) هذا العنوان مذكور بالهامش مع وروده بالنص .

Marfat.com

الطلق و اشتد البرد و طلبت منه النار ، فضرب زناده بلهب فؤاده فشح الزند بناره ليظهر أثر فقر موسى و اضطراره ، فصار ينظر[1] به و قد اشتدت عليه الأمور ، فلاح له الإشراق من الطور ، و هو يرى اقتباسها غاية المنى ، فما وصل إلا و قد أدركه العنا ، فنودى : يا من قُصد به أمرنا[2] لنا ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا . فعند ما سمع كلام ربه كثر خفقان قلبه ، و لما بدت منه الغيبة ، شغل بذكر العصا من الهيبة ، "و ما تلك بيمينك" ، و لم يقل بيدك . قيل كان فى يسار موسى خاتم ، فلو قال : و ما تلك بيدك ، لأشكل عليه الجواب . قال وهب بن منبه : لما عمد موسى عليه السلام نحو النار التى رأى و انطلق يؤمها ، فلما وصل إليها رأى نارا عظيمة تخرج من جذع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العُليق لا تزداد النار إلا اضطراما و لا تزداد الشجرة مع كثرة الحريق إلا خضرة و تنعما ، فلما رأى ذلك من أمرها تعجب و لم يدر ما يضع عليه أمرها ، إلا أنه غلب عليه أن ما يمنعها من الاحتراق إلا شدة خضرتها و كثرة مائها ، فوقف يرجو أن يسقط منها شىء[3] يأخذه و يرجع إلى أهله ، فلم يسقط منها شىء ، فلما طال ذلك عليه أخذ ضغثا من الحطب الرقيق و أهوى ليقتبس منها ، فمالت عليه فهرب حتى أبعد ثم عاد إليها ، فمالت عليه كأنها تريده ، فما زال يفعل

(١) فى الهامش : لعله يتطير به .
(٢) بمعنى : يا من سيره أمرنا نحونا .
(٣) فى الأصل : شيئا .

Marfat.com

ذلك إلى أن خمدت و استترت فى الشجرة حتى كأنها لم تكن قبل ذلك ، فزاد تعجبا و صار يطوف بالشجرة يمينا و شمالا ، و قال: إن لهذا لشأنا[1] ، و وضع / أمرها على مأمورة و مصنوعة[2] إلا أنه لا يدرى ٢٤/ الف بما[3] أمرت و لا من أمرها ، فوقف متحيرا لا يدرى أيرجع أم يقيم ثم نظر فرعها و إذا بها خضرة ساطعة فى ديباجى الظلم ، ثم لم تزل الخضرة تستنير و تبيض حتى عادت نورا ساطعا ما بين السماء و الأرض ، لها شعاع كشعاع الشمس تكل دونها الأبصار ، كلما نظر إليها تكاد تخطف بصره . فغطى عينيه بثوبه و لصق بالأرض ، فاشتد رعبه ، و طار قلبه ، و سمع دويا لم يسمع السامعون مثله ، فلما اشتد عليه الأمر ، و كاد عقله أن يخالط نودى : يا موسى ! فأسرع الإجابة استئناسا بالكلام ، فجعل يقول : لبيك لبيك ! قد سمعت كلامك فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك و عن يمينك و عن شمالك و خلفك و أمامك و أقرب إليك من حبل الوريد ، يا موسى ! إنى أنا الله رب العالمين . و قيل : إن إبليس عرض له عند انصرافه و قال : يا موسى ! هذا الذى كلمك هو ربك أم غيره ؟ قال : هو ربى لا إله إلا هو . قال : و من أين تدرى ذلك ؟ قال : إن كلام البشر يسمع من جهة واحدة ، و هذا أسمعه عن اليمين و الشمال

---

(١) فى الأصل : لشأن .

(٢) بمعنى أنه جعل سبب اشتغالها محصورا فى أحد شيئين : إما الأمر و إما الصنعة .

(٣) فى الأصل : ما .

Marfat.com

و الأمام و الخلف ، و إن كلام البشر ليسمع بصوت له حرف ، و هذا لا ينقطع و لا حرف له ، و إن كلام الخلق لا يوجد له دهشة و لا طرب ، و هذا أدهشنى و أطربنى .

شعر :

الخيام الخيام وسط الوهاد لاحت النار فى ذرى الأطواد
هذه الدار فالتمس يا خليلى منزلا[1] بين نخل ذاك الوادى
و تجسس من ساكنى بيت ليلى هل أقاموا على صحيح الوداد
عند ما أسفرت تبدى ضياء دونه الشمس إذ تلوح بنادى
ودعتنى لها فصارت عظامى مسمعا[2] مصغيا يجيب المنادى
عجب العاذلون من فرط شوقى لحبيب قراره فى فؤادى
/ و أنا كالغريق فى لج بحر يكثر الشرب و هو ظمآن صادى ٢٤/ ب
يا أهيل[3] الحى[4] ملكتم فؤادى و سلبتم تصبّرى و رقادى
و تركتم صبابتى و ولوعى و نحيبى و عبرتى و سهادى
كل ما تفعلونه فهو سؤلى لا أبالى إذا يكون مرادى

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر مسير موسى إلى فرعون هو و هارون أخوه و ما جرى لهما معه إن شاء الله تعالى .

(١) كلمة « منزلا » بالأصل فى الشطر الأول نقلناها للثانى بحكم وزن البيت .
(٢) الكلمة بالنص مذكورة فى الشطر الأول و نقلناها للثانى لاستقامة الوزن .
(٣) فى الأصل : يا أهل . و لا يستقيم الوزن بها .
(٤) فى الأصل : الحمى .

Marfat.com

[1]ذكر الطعام الذى لا بد للمحصورين منه[1]

فلنرجع إلى ذكر الطعام الذى لا بد للحصورين منه فى المدن المسورة والحصون المعمرة، ليجد أهلها القوة على قتال العدو كما كانت ملوك مصر تفعله . و ذلك أنهم كانوا يخزنون الطعام بقلعتين من قلاع سور الإسكندرية بموضع منها يقال له الهدف ، فيكون بهما ألوف أرادب من القمح فى كل سنة بسبب [2]حصارين وقعا[2] من الإفرنج الواردين إليها فى البحر المالح ، فاذا انقضت السنة و لم يأت إليها عدو منهم بيعت[3] و عوض غيرها قمحا جديدا خشية السوس الواقع بها إن تركت سنة على سنة مخزونة ، و هما الآن فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[4] يعرفان[5] بقلاع القمح ، قد انقطع منهما الخزين من قبل ذلك بسنين ، وكان يكون فى إجرائها على عادتهما المتقدمة مصلحة كثيرة لملء بطون المجاهدين ، الذابين عن حوزة الدين ، لأن [المقاتلة] إذا جاعت تخلت عن القتال ، فيقوى العدو بسبب جوعهم ، فاذا امتلأت بطونهم بالخبز الخمير ، و اللحم الكثير ، و الماء النمير ، قويت أبدانهم ، و نشطت هممهم ، و قاتلوا عدوهم . فان قوى

(١-١) العنوان مذكور بهامش المخطوط .

(٢-٢) فى الأصل : حصاران وقع .

(٣) فى الأصل : ابيعت .

(٤) تبدأ هذه السنة الهجرية فى ٢٣ يونيه سنة ١٣٧٣ .

(٥) فى الأصل : يعرفا .

Marfat.com

الحصار و دام و جاع[1] أهل المدينة لعدم الخزين و قلة الواصل إليهم إذا احتيط بهم من جهة البر و البحر ، تحيلوا بالحيلة لينصرف عنهم العدو كما تحيل أمير مدينة بحيلة ، كانت تلك الحيلة سبب انصراف العدو و رحيله / و ذلك أن الفرنج حاصرت مدينة بالمغرب و طال الحصار بها ، إلى أن ٢٥/ف جاع[1] أهلها ، و ضجرت الفرنج من طول إقامتهم عليها ، و قطعهم الميرة عنها ، ليملكوها بجوع أهلها حين عجزوا عنها لحصانتها . فقال أمير المدينة : انظروا هل بقى عندكم و لو خروف واحد ، ففتشوا المدينة فوجدوا خروفا هزيلا و شاة هزيلة . فقال : انظروا مقدار قدحين من الدقيق ، فجمعوهما ، ثم قال لهم : هل تجدون[2] لبنا ؟ [3]فجمعوا له من أبزار النساء لبنا[3] ، فجعل الأمير فى ذلك اللبن الإنفحة ، و صنع منه قرص جبن . ثم عجن الدقيق و خبز ، و ذبح الخروف و الشاة ، و وضع كل ذلك فى غرارة و ربط فاها[4] ، و ألقيت على العدو بكفة المنجنيق ، فلما وقعت بمعسكرهم فتحوها فرأوا ما فيها [و] تعجبوا[5] من ذلك و قالوا : لنا مدة طويلة نحاصرهم و إلى الآن عندهم الضأن و المعز و الخبز الحار و الجبن الطرى ، و إلى متى نقيم ، انصرفوا إلى أوطانكم فانا ظننا أن نملك مدينتهم

(١) فى الأصل : جاعت .

(٢) فى الأصل : تجدوا .

(٣-٣) الجملة ساقطة من الأصل : و واردة بالهامش و فيه : ابزاز .

(٤) فى الأصل : فيها .

(٥) فى الأصل : تعجبوا - بدون واوالعطف و هى لازمة .

Marfat.com

بجوعهم [1]و إذ هم[1] شباع[2] . فضرفوا نفيرهم و انصرفرا راحلين خاسرين . فعند ذلك أتتهم أهل البلاد بالميرة . و أرسل لهم رب العباد خيره . فانظر إلى الحيل ، كيف ينفع معها العمل ، كما قيل فى المثل : رب حيلة أنفع من قبيلة ـ انتهى .

٥ [3]صفة خزن القمح[3]

نعود إلى ذكر صفة خزن القمح ، وكيفية ما يخزن فى الحصون هو و غيره من غير سوس و لا تغير . قيل ينبغى أن يكون القمح المخزون بالحصون أسمر اللون صلب الجسم قد أحكم جفافه فى سنبله ، و يكون مواضع خزنه ناشفة أرضها و حيطانها ، ليس بها نداوة ، و يجب أن يكون طيقانها و أبوابها للضوء إلى جهة المشرق ، لأنه مهب ريح الصبا ، و هى أقل الأرياح رطوبة وعفنا . وكذلك يفعل فى الشعير . و[4]إن خلط فى كل مائة إردب من القمح أو الشعير إردب[4] من الرماد الأبيض ، فانه يحفظه من السوس و غيره .

٢٥/ب و فى كتب الخواص : / انه متى دفن فى القمح عظم ساق ميت حفظ من التغير ، و متى خلط فى العجين المرتك بالزرنيخ و أكل الفأر منه هلك ، و متى نخل الدقيق و خلط معه من الملح المسحوق بقدر حاجته و خزن

(١-١) فى الأصل : وادابهم .

(٢) فى الأصل : شباعا .

(٣-٣) العنوان مذكور بالهامش .

(٤) فى الأصل : اردبا .

فى

Marfat.com

فى خوابى جدد لم يقربها الماء قط يبقى مدة أشهر ، و كذلك إذا خزن فى الأجربة فانه يبقى مدة لا يتغير ، و قد يضره الملح فى البلاد القريبة من البحر .

و خزن يوسف عليه السلام فى السنين المخصبة القمح فى السنبلة فلم يتغير ، و انتفعت أهل مصر و غيرهم به فى السنين المقحطة . و كانت مدة الخصب سبع سنين و مدة الجدب سبع سنين .

ادخار اللحم[1]

و أما اللحم إذا احتيج إلى ادخاره لأجل الأسفار أو الحصار و ما شاكل ذلك ، فيجب أن يشرح و ينقى من العروق و العظام ، و يجعل عليه ملح قليل ، ثم يعبّى على بلاطة و يوضع عليه لوح و يثقل بأحجار و يترك ست ساعات ، ثم يقطع و يغلى فى القدر على النار بالشحم المسلى الذى قد نزع سلاه و الزيت و الشيرج حتى ينضج . ثم يرفع فى أوانى مدهونة من غير أن يكون طرح فى الشحم الذى يقلى به ملح . و لا أبزار سوى القرفة فقط ، و يحكم تغطيته بعد جمده و برودته لئلا يزنخ اذا غطى سخنا ، فان ذلك اللحم يقيم مدة طويلة ، و لا يكون الزيت الذى يقلى به اللحم الا زيتا حلوا جربيا ، فان زيت مدينة جربة بأرض المغرب أحسن زيت يكون . و متى عمل فى اللحم الزيت الإفرنجى الحار أتلفه الشيرج الطرى .

(١ - ١) العنوان كسابقه مذكور بالهامش .

Marfat.com

[1]ادخار الحطب و التبن[1]

و أما الحطب و التبن وقت القرط لا غنى للحاصرين عنهما ، فهما[2] مما يجب الاعتناء بهما[3] و تحصيلهما[4] سيما إذا كانت الحاشية كثيرة و الخيول كثيرة ، فان ذلك من الأمور التى يصرف الاهتمام إليها ؛ و لا يغفل عنها . و قيل إن بعض الحصون حوصر فامتنع لكثرة الأقوات به ، فعدموا الحطب فأوقدوا سقوف بيوتهم و أبوابهم ، فلما نفدت سلموا الحصن للأعداء و ألقوا بأيديهم لعدم الحطب . و قيل مكتوب على باب مدينة قرطاجنة بأرض المغرب « الحطب القمح الحطب » فجعل الحطب

٢٦/الف آكد / من غيره ، فلذلك كرر ذكره مرتين .

و قد شبه[5] جسد الإنسان بالقصر المشيد و قلبه بالملك ، و أعضاؤه رعيته ، و خواطره جواسيس ، و حوكاته أجناده ، و صدره مدينته ، و قدمه مطيته ، و يداه حارسان يردان ما يرد على القصر من الأذى ، و أذناه رائدان ، و عيناه طلائع ، و فمه ترجمان ، و لسانه سامر ، و شهواته إفرنج تدور بالمدينة و تروم ملك السور ، فاذا كان السامر و هو اللسان ذاكرا الله تعالى حرس السور ، و حفظت المدينة ، و عاشت الرعية ، و بقى الملك ،

(١ ـ ١) العنوان مأخوذ من هامش المخطوط .

(٢) فى الأصل : فهى .

(٣) فى الأصل : بها .

(٤) فى الأصل : تحصيلها .

(٥) فى الهامش : مطلب .

Marfat.com

و خفر الأجناد ، و سافرت الجواسيس ، و جاءت الأخبار ، و أخبر الترجمان ، و أبدى الحارس ، و صحت المطية ، و بعدت[1] الفرنج عن المدينة . و إذا غفل الترجمان ، و سكت اللسان عن ذكر الله أدركته الغفلة ، و أصابه النوم ، فتمكنت فرنج الشهوة من السور ، و هلك الملك ، و تفرقت الأجناد ، و ضاعت الرعية . قال الشاعر :

لسانك سامر و الجسم سور و روم هواك ويك به تدور
فان ضيعته و غفلت عنه [2]فانك دون ما شك أسير[2]
و إن بالذكر كنت له حريسا تأمنت الرعيـــة و الأمير
إذا علل الذنوب بنا أحاطت قـــذكر الله درياق كبير

و اعلم أن ذكر الله تعالى يقى من الأهوال ، و هو مبارك فى كل حال . ألا ترى أن يعقوب عليه السلام حين وجه يوسف مع إخوته لم يزد على أن قال[3] : "انى ليحزننى ان تذهبوا به و اخاف ان ياكله الذئب و انتم عنه غافلون" . فعوقب على ذلك بطول البين ، و البعد من قرة العين ، و لما سأله أولاده توجيه أخيهم بنيامين إلى مصر ، سألهم الملك

(١) فى الأصل : بعدت . بسقوط الواو و هى لازمة .
(٢ - ٢) الشطر الثانى من البيت فى الأصل : فان دونه ما شئ أسير . و هو مكسور و لا يستقيم فيه المعنى و الوزن إلا بالتعديل اللفظى الذى أدخلناه عليه فى النص .
(٣) قرآن كريم سورة ١٢ آية ١٣ .

Marfat.com

إتيانهم بأخى بنيامين ليبصره ، و لم تعلم الإخوة أن ذلك الملك يوسف لتبرقعه دائما ببرقع لؤلؤ يراهم منه من حيث لا يرونه . قال يعقوب حين أرسله معهم : الله خير حافظا و هو ارحم الراحمين . فلما قدم ذكر مولاه أنعم عليه برجوع الاثنين و هما يوسف و بنيامين ، فالله تعالى كريم و نعمه
٢٦ / ب ٥ سابغة / على العباد ، و يرزق من يشاء بغير حساب .

قال إبراهيم اليمانى : خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم و نحن نذكر الله تعالى و نسبحه و نقدسه و نمجده و نوحده ، فانتهينا إلى غيضة فيها حطب كثير يابس ، و بالقرب من الغيضة حصن ، فقلنا لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ! لو أقمنا هذه الليلة هاهنا ، و أوقدنا من هذا الحطب ! فقال : افعلوا . قال : فطلبنا النار من الحصن فأوقدنا و كان معنا خبز فأخرجنا نأكل . فقال أحدنا : ما أحسن هذا الجمر لو كان عليه لحم نشويه ! فقال إبراهيم بن أدهم : إن الله قادر على أن يطعمكموه ، قال : فبينا نحن كذلك إذ جاء أسد يطرد بعيرا ، فلما قرب البعير منا وقع فاندقت عنقه . قال : فأمرهم إبراهيم بن أدهم بذبحه فقال : اذبحوه فقد أطعمكم الله اللحم . قال : فذبحناه و شويناه و أكلنا من لحمه ، و الأسد رابض ينظر إلينا .

[1]ذكر ما جاء عند لقاء العدو و غير ذلك[1]

روى أن النبى صلى الله عليه و سلم فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام فى الناس فقال : لا تمنوا لقاء العدو

(١ - ١) هذا العنوان وارد بهامش المخطوط (٢) فى الأصل : يطعمكموها .

Marfat.com

و اسألوا الله العافيـــة ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، إن الجنة تحت ظلال السيوف . و قال : اللهم ! منزل الكتاب ، و مجرى السحاب ، و هازم الأحزاب ! اهزمهم و انصرنا عليهم . قال أبو النصر : و بلغنا أنه دعا فى مثل ذلك : اللهم ! أنت ربنا و ربهم ، و هم عبيدك و نحن عبيدك ، نواصينا بيدك ، فاهزمهم و انصرنا عليهم .

و عن يحيى بن كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تتمنوا لقاء العدو ، فعسى أن تبتلوا بهم . و لكن قولوا : اللهم اكفنا و كف عنا بأسهم ، و إذا جاؤكم يعسفون و يرجفون و يصيحون ، فعليكم الأرض جلوسا ! ثم قولوا : اللهم ! أنت ربنا و ربهم ، و نواصينا و نواصيهم بيدك ، و إذا غشوكم فثوروا فى وجوههم .

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا اشتدت حلقة البلاء قال : تضيق تنفرجى ، اشتدى أزمة تنفرجى ، ثم يرفـــع يديه فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول و لا قوة / إلا بالله العلى العظيم ، اللهم ! الف / ٢٧
اياك نعبد و اياك نستعين ، اللهـــم ! كف بأس الذين كفروا ، إنك أشد بأسا و أشد تنكيلا . فما يخفض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

و روى عن بعض الصحابة أنه كان يقول : يا رب الأرباب ! و يا خالق الخلق ! انصر عبادك أهل طاعتك . أعنا على حزب الشيطان ، و ثبت أقدامنا ، و اجعل دائرة السوء عـــلى عدوك ، و اشف صدورنا يا أرحم الراحمين .

Marfat.com

و لما سارت الروم مع الدمستق[1] لحصار مدينة آمد[2]، و عليها غلام أبى الهيجاء بن حمدون، فكتب إلى أبى ثعلب يستصرخه، فبعث إليه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله، فاقتتلوا مع الروم قتالا شديدا، فعزمت الروم على الفرار فلم تقدر لضيق المكان و لإثارة المسلمين فى وجوههم، فقتلهم المسلمون، و أخذ الدمستق أسيرا، فسجن فلم يزل مسجونا إلى أن هلك.

ذكر نصرة المسلمين على صاحب قبرس اللعين بطرابلس الشام و بلد أياس[3]

و ما قيل فى ذلك من اختلاف الأقوال فى أمر الرجس الخناس ربير بطرس[4] صاحب قبرس إلى غير ذلك من الواردات المستطردات.

---

(١) لقب قائد الجيوش البيزنطية، أى Domestic من Domns أى المقر الملكى، و الكلمة وردت فى الأجزاء السابقة ـ انظر الفهارس.

(٢) ذكر ياقوت تفصيلا فى معجم البلدان ج ١ ص ٦٦ - ٦٨ و قال: إنها أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا و أشهرها ذكرا.

(٣-٣) ما بين الرقمين من العبارة بتمامها واردة بالهامش و النص على حد السواء وأياس من مدن أرمينية واقعة على الشاطئ الغربى من خليج إسكندرونه، و كان لها دور فى الحروب الصليبية.

(٤) « ربير » تعريب Rey Pierre، و المقصود هنا بطرس الأول لوسنيان ملك قبرس (١٣٥٩ - ١٣٦٩). ورد ذكره فى الأجزاء السابقة ـ انظر الفهارس.

Marfat.com

تقدم فى هـذا الكتاب[1] ذكر ظفر صاحب قبرس الملعون بالإسكندرية، و ابتهاجه بما غنم و أسر منها، و ذلك فى العشر الأخير من محرم[1] سنة سبع و ستين و سبعمائة[2]، فأعقبه ابتهاجه و فرحه بما غنمه منها الحزن الشديد، و النكد المديد، الذى ليس عليه مزيد، و ذلك بكسرته بطرابلس الشام و بلد أياس، فانه رجع إلى جزيرته من غزوته بالخيبة و الإياس. و سأذكر ما قيل فيهما من الأقوال المختلفة، و الكلمات المؤتلفة إن شاء الله تعالى، و ذلك أن القبرسى لعنه الله و غضب عليه و جعل دائرة السوء محيطة به و واصلة إليه لما عوق رسل السلطان الملك الأشرف شعبان[4] عنده كما تقدم ذكره، و هم ناصر الدين محمد بن قراجا الشريفى / ر رفيقه سيف الدين الجوبانى[5] و حاشيتهما، فورد الخبر إلى[6] ١٠ ٢٧/ب الإسكندريـة فى أوائل سنة ثمان و ستين و سبعمائة[7] بأن القبرسى جمع الجنود، و حشد الحشود، من كلاب النصرانية، و أوباش الرومانية، و قصد طرابلس الشام. و كان قبل ذلك يورى بالإسكندرية، فأرسل الله

---

(١) انظر فيما سبق الجزءين الأول و الثانى من هذا الكتاب بمراجعة الفهارس.
(٢) فى الأصل : المحرم.
(٣) أى أوائل اكتوبر سنة ١٣٦٥ م.
(٤) الأشرف ناصر الدين شعبان من سلاطين المماليك البحرية و حكمه ٧٦٤ - ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م.
(٥) فى الأصل : الجوبان.
(٦) فى الأصل : ان.
(٧) أى فى سبتمبر سنة ١٣٦٦ م.

Marfat.com

تعالى على أسطوله المخذول عند توجهه إليها الريح العاصف ، الشديد القاصف ، الذى فرقه ، و لبعضه شتته و مزقه و غرقه ، فرجع بعض الأسطول إلى جزيرة قبرس مخذولا[1] . فأقيمت بالجزيرة الجنائز على من غرق من رجالهن و يتم [من] أولادهن ، و طلبوا هلاك ربير بطرس صاحب قبرس من الله تعالى بالدعاء عليه . و قالوا : ما كفاه قتل الرجال الذين[2] استصحبهم معه إلى الإسكندرية و سرية العلايا[3] ، التى جعل لهم من المسلمين البلايا ، حتى تسبب فى غرق الباقين ، و أرمل النسوان و أيتم الأطفال المساكين ، و ذلك بعد إفساده لحالنا ، بأخذه لمالنا . فلم يعبأ بكلامهم ، و لا فكر[4] فى غرق رجالهم ، حتى تجهز ثانيا و قال : لا بد لى من غزو سواحل الشام ، و لو سقيت كأس الحمام . فاجتمع له أيضا من النصارى الأخدشية[5] ، أصحاب الخيول الأكديشية[6] ، بعد أن أنفق[7] فيهم النفقات الكثيرة ،

(١) فى الأصل : مخذول .

(٢) فى الأصل : الذى .

(٣) يقال لها الآن « علانيه » بر تركيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط على بعد ٧٥ ميلا من أنطاليا و هى عاصمة سنجق أضاليا بالأناضول .

(٤) فى الأصل : افكر .

(٥) المقصود هنا النصارى الذين هم من أصول مختلطة وأجناس متباينة ومنحطة .

(٦) مشتقة من أكديش و الجمع أكاديش أى الخيول غير الأصيلة من دواب حمل الأثقال فحسب دون العمل فى المواقع الحربية .

(٧) فى الأصل : نفق .

Marfat.com

فعجز عن النفقة لكثرتهم فاستلف أموال الكنائس و الديارات ، و قال للقسيسين: سأردها من غنيمتى لأموال المسلمين . فلما أنفقها فى بقية جيشه، حمى رأسه بطيشه، و قصد مدينة طرابلس فى أوائل سنة تسع و ستين و سبعمائة فى مائة و خمسين قلاعا ، فيها من الطرائد و الشوانى تسعون[1] ، و البقية زوارق الصيادين ، لتنخلع برؤيتها قلوب المسلمين ، كما انخلعت ٥ قلوب أهل بلدة قوصرة[2] / بالفزع و الجزع، من أسطول القصع . ٢٨/الف

ذكر خبر أسطول[3] القصع مع أهل قوصرة[4]

فان قيل كيف يكون أسطول[5] من القصع ، هذا أبدا فى الجهاد ليس يقع ! قيل قد وقعت تلك الحيلة المصورة لأهل قوصرة ، فاستخبر عن ذلك فيما مضى . فقيل جرى ذلك و انقضى، و صارت أهلها تتلظى، ١٠ لما جرى عليهم منه بنيران الغضا . فتشرقت الأسماع لتلك المجروية ، و قالوا: ما الذى اتفق بقصع حتى ابتلوا أهل قوصرة منها ببلية . فقيل صح

(١) فى الأصل : و تسعين .

(٢) قوصرة جزيرة بركانية صغيرة فى بحر الروم بين المهدية و جزيرة صقلية و وردت بالألف « قوصرا » فتحها المسلمون فى أيام معاوية (٤١ – ٦٠ هـ / ٦٦١ – ٦٨٠ م) و بقيت فى أيديهم إلى أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٥/٧٠٥ م) ثم خرجت من حكم المسلمين . واسمها الحديث Pantelleria و ردت كذلك فى امارى Amari, Bibliotheca Arabo-Sicula .

(٣) فى الأصل : اصطول .

(٤) و رد العنوان بهامش المخطوط .

(٥) فى الأصل : اسطولا .

ذلك الخبر، و كتب فى كتب السير . فقالوا : أوردوا ذلك الخبر إلينا و قصوه علينا ، فذكروه لهم فأزعجهم و أقلقهم . و هو ما ذكر أن جماعة من كراسلة[1] الإفرنج الأغراب ، لم يملكوا من الشوانى غير غراب . فقال علج منهم : لو كبسنا بلد قوصرة ، صارت لنا أموال متيسرة ! فقال[2] أصحابه : كيف يتجه لنا أن نعاند أهل بلد بغراب واحد و نأخذ منه الأموال ، هذا و الله عين المحال ! و المحال هو الذى لا يقع أبدا ، ولا يتصور على طول المدى . فقال : سأبين لكم ما ذكرته لكم . قالوا : فقل ، لعله أن نبلغ ذلك و منه نأكل . فقال : إن معنا فى هذا الغراب مائة قصعة كبيرة ، و معنا أيضا الفوانيس الكثيرة ، ذوات البرانس الزجاج ، نملأ كل قصعة منها رملا و نضع عليه فانوسا موقدا[3] ، و نجر تلك القصع فى الليل خلف الغراب بالحبال ، فنأخذ أموالها منها سريعا من غير حرب ولا قتال ، و ذلك أنهم إذا نظروا إلى مائة فانوس تتقد[4] متفرقة ظنوا أن مائة غراب أتتهم و هم يعلمون[5] أن محمل كل غراب مائتا نفر ، فيتركون[6] بلدهم لعدم قدرتهم على قتالهم لمثل هذا الأسطول القادم

(١) أى لصوص البحار و هو كلمة محرفة من الفرنجيه (Corsair) .

(٢) فى الأصل : فقالت .

(٣) فى الأصل : موقودا .

(٤) فى الأصل : اتقد ـ كذا .

(٥) فى الأصل : يعلموا .

(٦) فى الأصل : فيتركوا .

عليهم و الواصل إليهم ، قبل إتيانهم النجدة من ورائهم ، / فلا يقيمون[1] ٢٨/ب
بـالبلد، بل كل واحـــد منهم يترك داره ، و يصعد خوفا على نفسه ، و لا يلحق فى تلك الساعة أن يخفى أثاثـــه ، فما تمضى ساعة إلا و قد ملأتم غرابكم من أموالهم و أثاثهم و عدتم راجعين غانمين .

قالوا : هذه حيلة هينـة ، و مكيدة بينـة ، إن صحت لكم استغنيتم ، و للأبكار الحسان تزوجتم ، و استرحتم من مقاساة الغربـــة ، و قشف العزبة ، و ملؤكم للماء لتشربوه[2] فى الغراب بالقربة ، فقالوا له : أحسنت يا دلنج[3] ! يا من هو كلون الخلنج ، فى هذه الحيلة التى استخرجتهـا ، و المكيدة التى استنبطتها !

ثم إنهم عمدوا إلى تلك القصع الكبار ، ثقلوها بالرمل و الحجار ، و وضعوا فى كل قصعة فانوسا من الزجاج معمرا بالزيت و وقـدوه و غطوه ببرنسه[4] الزجاج أيضا من الهواء ، و أوثقوا حافات القصع بتسمير القنطاريات فى حافاتها ، لتتباعد كل قصعة عن أختها ، و لا يحصل[5] لها تصادم بل تصير كل قصعة عائمـة بمفردها ، ليظهر لأهل البلد أن

---

(١) فى الأصل : يقيموا .
(٢) فى الأصل : لتشربونه .
(٣) كذا فى الأصل ، و هى لفظة غريبة لم نعثر عليها فى المعاجم المعروفـة ، و ربما كانت اصطلاحا محليا من ذلك العصر ، و واضح أنها صفة تحقير .
(٤) فى الأصل : بتريسة .
(٥) فى الأصل : لا تحصل .

Marfat.com

كل غراب سائر إليهم فى ناحية الواحـــد خلف الآخر . ثم جذفوا بغرابهم بعد أن ربطوا طرف حبل القصع بمؤخره . و قصدوا البلد قبل نصف الليل ، و قد نام الناس ، فرأى الحرس مراكب[1] مشتعلة بالفوانيس . فقالوا: قد أتت و الله الكفرة الفجرة ، يملكون بلد قوصرة . فبوّق الحرس بالبوق ، فانتبه[2] أهل البلد و قد انتفضت منهم المفاصل و العروق ، فرأوا البحر بالنار قد اتقد ، و الأسطول إليهم قد قصد . فنادى مناديهم : أيها المسلمون ! الآن تخرجون قبل أن تؤسرون ، فأقل ما فى هذه المراكب عشرون ألف راكب بالرماح و القواضب . فأخذ كل منهم حريمه و أولاده و صعد الجبل ، و دمعه لضياع ماله على خده انهمل . هذا و أسطول / القصع قد وصل إلى الساحل ، فنزلوا من ٢٩/ الف ١٠ الغراب ، أشعلوا مشاعلهم داخل البلد ، لئـــلا ينظر من هو بالجبل لتلك القصع ، فينزلوا[3] لهم يأسرونهم ، فحملوا من الدور ما أوسقوا به الغراب فى ساعة ، و دخلوا البحر راجعين[4] . فعجب الذين بالجبل ، و قالوا : كيف دخل هذا الأسطول الساحل و لم يملكوا البلد و رجعوا سرعة عنه و لم يقيموا بـــه ! و من هو الذى كان يقاومهم و يناوشهم القتال ، و الحرب و النزال ! و تعجبوا من رجوع الأسطول بسرعة

---

(١) فى الأصل : مراكبا .
(٢) فى الأصل : فانتبهت .
(٣) فى الأصل : فينزلون .
(٤) فى الأصل : راجعون .

Marfat.com

و قالوا: كيف دخل هـــذا البلد و خرج منه سريعا! و متى أوسقوا هذه المراكب الـكثيرة!

فلمـا بعد عنهم الأسطول، فى ذلك الظلام المسدول، برؤيتهم الفوانيس الموقدة، رجعوا بلدهم فوجدوا بعض البيوت لم تنهب، فعجبوا من ذلك و قالوا: كيف تركوا بعض المتاع لم يأخذوه و قد عددنـا بتلك الفوانيس الموقدة[1] مائة غراب! إن هذا لهو العجب العجاب. و إذا بالخبر قد أتى إليهم بعد حين مع المسافرين أن الأسطول الذى أتاكم كان قصعا موقدة[2] بالفوانيس، و لم يـكن فيها إلا غراب واحد فيه الـكفرة المناحيس. فقالوا: ما هذا إلا مكيدة خفية، و حيلة منكية[3]، لو علمنا ذلك أسرناهم أجمع، و ملـكنا غرابهم و القصع، و عذبناهم أشد العذاب، و قتلناهم قتل الـكلاب! فانظر يا هـــذا إلى مكايد الإفرنج الكافرين، و احتيالهم على أذى المسلمين. قال بعضهم لغزا[4] فى غراب:

و ما ميت فى الأرض مدفون بعضه ● يدب دبيب المـاء فى الزرجون
إذا ما مشى يمشى بعشرة أرجل و عشرة آذان و ست عيون

/ يعنى بدفنه عروق الشجرة فى الأرض التى اتخذ منها خشب الغراب، و بالعشرة أرجل المجاذيف، و بالعشرة آذان عرى المجاذيف، و الست / ٢٩ ب

(١) فى الأصل: الموقودة.
(٢) فى الأصل: موقودة.
(٣) فى الأصل: متكيه.
(٤) فى الأصل: الغز.

Marfat.com

عيون هى الأكر الناتئة [1] التى بحوجؤ الغراب التى بمقدمه - انتهى .

[2] مطلب فى فعل القبرسى [2]

نعود إلى فعل القبرسى اللعين - و ذلك أنه لما قصد غزو طرابلس الشام ، أتى إليهم من الجزيرة ، فى مراكب كثيرة ، و غالبها قوارب الصيادين ، ليخيف برؤيتها المسلمين ، فأوهم بهـا أهل البلد فهربوا منه ، فدخل البلد ، و بها عربد . و قد [3] اختلفت الأقوال فى دخوله طرابلس ، و سأذكر تلك الأقوال الـــتى نقلتها ألسنة الرجال إن شاء الله تعالى . فمنهم من قال : لما أتى القبرسى اللعين إلى مينة طرابلس لقتال من بها من المسلمين ، نزلت فرسانه و رجاله من الأسطول إلى الساحل ، زحفوا إلى البلد ، دخلوه ، فصار أهل البلد يرمونهم بالحجار ، من أعلى الديار ، فرأوا فى أنفسهم العبر من كـــثرة رمى الحجار ، و قاطع عليهم جيش المسلمين من جهة الساحل ، ما بين فارس و راجل ، فسمعت الفـــرنج بقطع المسلمين عليهم الطريق ، فنشفت فى فم كل واحد منهم الريق ، و ضربهم [4] المسلمون بالسيوف ، صاروا صرعى على الأنوف - هذا ما بين الساحل و البـلد ، و أما من كان منهم داخل البلد فقاتلوا من قاتلهم من المسلمين إلى أن قتلت النصارى أجمعين ، و لم يقتل من

(١) فى الأصل : الناس . و بهامشه : لعله : الناتئة . و هو الأصح .
(٢-٢) العنوان وارد بهامش المخطوط .
(٣) بهامش المخطوط : مطلب فى اختلاف الأقوال فى دخول طرابلس .
(٤) فى الأصل : و ضربتهم .

Marfat.com

المسلمين سوى أحد[1] و عشرين، و منهم من قال: لم يقتل من المسلمين بطرابلس سوى أربعة أنفس، و هم مغربيان و تركماني و رجل من أهلها، و قتل خارج البلد من الإفرنج نحو ثمانمائة علج، فصارت أكاديشهم[2] على البر، غائرة بالكر و الفر، قائلة بلسان حالها: صرنا مراكب[3] للمسلمين، و استرحنا من حملنا للفرنج الكافرين.

و منهم من قال: قتل من الفرنج أربعمائة علج. و منهم من قال هدم[4] المسلمون / قنطرة طرابلس و البحر، كان[5] المسلمون يمرون[6] ٣٠/الف عليها و يروحون[7]، فلما هدمها[8] المسلمون، تخلف[9] الفرنج عن الممر لهدمها، فقتلهم[10] المسلمون عن آخرهم.

و منهم من قال: تحصنت جماعة من الفرنج بدار بطرابلس معهم

---

(١) في الأصل: احدى. (٢) انظر حاشية سابقة (ص ٧٨ رقم ٦)، جمع أكديش أي الحصان المختلط الأصل - راجع الفهارس.

(٣) في الأصل: مراكبا.

(٤) في الأصل: هدمت.

(٥) في الأصل: كانت.

(٦) في الأصل: تمر.

(٧) في الأصل: تروح.

(٨) في الأصل: هدمتها.

(٩) في الأصل: تخلفت.

(١٠) في الأصل: فقتلتهم.

Marfat.com

أسلحتهم ، لما تيقنوا نصرة المسلمين عليهم ، فما جسر أحد من المسلمين العبور إليهم ، فرمى[1] المسلمون النار بالدار ، فاحترقت الدار و الكفار .

و منهم من قال : إن أهل طرابلس طافوا حول الدار بالنار ، و رمى[2] الفرنج عليهم من أعلاها الحجار ، فصار الدخان صاعدا إليهم ، فلما أضر بهم الدخان سلموا أنفسهم ، [3]فقبض المسلمون[3] عليهم ، و أتوا بهم إلى نائب السلطان ، فقال : يكونون[4] عندنا أسارى . فصرخ[5] المسلمون و قالوا : لا و الله لا نريد إلا قتلهم ! فقال : اتركوا لى منهم اثنين ، و دونكم البقية فاقتلوهم . فقتلوهم و تركوا له اثنين ، ليستخبرهما عن حال القبرسى ، فقال لأحدهما : أخبرنى كم أتى معكم من جيش . فقال العلج الغير مسؤل للذى هو مسؤل : اسكت و لا تخبر بشىء ، [ما] هو إلا الموت . فقال المسؤل : بل أخبره و أسلم بعد إخبارى له . فقال له صاحبه : أترضى لنفسك بلعن أهل ملتك ؟ مت على دين آبائك و أجدادك . فقال له[6] : مت أنت على دينهم ، و أنا قد طابت نفسى للاسلام . ثم أشار إلى نائب السلطان و قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، و أشهد أن محمدا رسول الله . ثم قال : أخبرك أيها الأمير الكبير أن

(١) فى الأصل : فرمت .

(٢) فى الأصل : و رمت .

(٣-٣) فى الأصل : فقبضت المسلمين .

(٤) فى الأصل : يكونوا .

(٥) فى الأصل : فصرمت .

(٦) فى الأصل : لو .

Marfat.com

طوائف الفرنج الذين[1] أتوا مع القبرسى جنوية و بندقية و خرايطة[2] و رواداسة و فرنسيسية و هنكر[3] و أغراب ، و جملتهم ستة عشر ألف علج ، منهم ألف فارس و البقية [غير ـ[4]] فرسان ، فأتت البنادقة فى ثلاثين غرابا ، و الجنوية فى عشرين ، و الرواداسة فى عشرة ، و الأغراب فى خمسة عشر ، و البقية من قبرس . فحينئذ أحسن إليه نائب السلطان بسبب إسلامه و إخباره بما أخبر ، و جعله من جملة أجناده . و أما العلج الآخر فعرض عليه الإسلام فأباه فأمر بقتله فقتل . ثم إن طرابلس أنتنت من قتلى الإفرنج ، فأحرقوا بالنار لزوال رائحتهم . / ٣٠ / ب

و منهم من قال : كان وصول الإفرنج إلى طرابلس يوم الأحد فى خمسة و خمسين غرابا و طريدة واحدة و عشر قراقر . فلما عاينهم المسلمون ، حبسوا ستة من الإفرنج كانوا تجارا بطرابلس ، أحدهم شاب جميل الصورة محتشم ، قيل إنه كان ابن صاحب جنوه ، و قيل إنه كان ابن أخت القبرسى ، و إن أحد نصارى الذميين دس له سيفا ، فقتل به ستة من المسلمين المسجونين ، فلما علم[5] المسلمون ما فعل ذلك العلج بالمسلمين المسجونين هجموا عليه ، ذبحوه و ذبحوا من كان معه من العلوج . فلما دخل جند القبرسى البلد ، تسارعوا إلى السجن ليخلصوه .

---

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) أى سكان جزيرة كريت (Crete) .

(٣) كذا فى الأصل و لعلها « المجر » (Hungarians) .

(٤) ساقطة من الأصل ، و وجودها لازم من السياق .

(٥) فى الأصل : علمت .

فوجدوه مذبوحا هو و رفقته الأعلاج ، فصرخوا صرخة واحدة . و قيل إن المسلمين قتلوا الذى دس للعلج السيف حتى قتل به المسلمين المسجونين .

و منهم من قال : إن القبرسى لما قدم إلى طرابلس ، أتى فى أحد [1] و سبعين و مائة مركب ، فأنزل منها يوم الأحد سبعة [2] صفوف بالأتراس و السيوف ، و خلفهم الرماة بالقسى ، فزحفوا إلى أن دخلوا البلد ، و ذلك بعد هرب أهلها منها إلى قنّة الجبل . فنهب [3] الفرنج منها تسع حارات ، أخذوا منها ما قدروا عليه من المال و الأثاث . فأتى القاضى شمس الدين قاضى بلدة غزنة [4] راكبا على فرس أصيل ، قد تبعه نحو سبعين فارسا من التركمان . فقال لهم القاضى : معشر الإخوان ! من أراد سكنى الجنة و النقلة من دار المحنة و الفتنة ، فليطلق على الكفار الأعنة . و يقوّم نحوهم أطراف الأسنة . فقالوا بأجمعهم : كلنا نريد سكناها ، و نختار مأواها ، و نروم مأواها ، لنستريح من التعب فى الدنيا ، بسكنى جنة المأوى . فقال : إذا سمعتم تكبيرى ، فاحملوا أيها الإخوان ! لنبيت الليلة فى فردوس الجنان ، و نصير غدا من جملة الشهداء القاطنين فى الجنة ، كذا جاء فى السّنة .

---

(١) فى الأصل : احدى .

(٢) فى الأصل : سبع .

(٣) فى الأصل : فنهبت .

(٤) وردت فى « معجم البلدان » لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٨) و وصفها بأنها «مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان وهى الحد بين خراسان والهند».

Marfat.com

و قد أيد الله أهل السنة ، بحجج أمضى من الأسنة . فقالوا : أنت دليلنا عليها ، فسر بنا إليها ، /فكبر حينئذ القاضى و كبرت القوم ، فى ذلك اليوم ، ٣١/الف و حملوا على الفرنج بالسيوف ، أذاقوهم الحتوف ، فانهزم بقيتهم طالبين البحر ، و أوداج القتلى تشخب من النحر ، فكان عدة من قتل منهم القاضى و أصحابه مائتين و ثلاثين علجا ، فكوّمهم [1] المسلمون كيمانا ، و ألقوا عليهم خشبا و عيدانا ، و أحرقوهم شيوخا و كهولا و شبانا ، فصعد دخانهم إلى الجو ألوانا ، و كل من بالمراكب من الكفار ينظرون لإحراقهم بالنار ، فرجعوا من حيث أتوا خاسرين ، و على أصحابهم المقتولين المحروقين نادمين ، و صار [2] المسلمون يفتشون على من بقى منهم بالساحل واحل [3] ، فبينما هم كذلك و إذا بجماعة منهم فى ساقية قصب ، هلكى من الخوف و العطب ، و لم يجدوا منهم حيا غير علج واحد ، فجعل حين رأى المسلمين [4] قصدوه يقرأ آية الكرسى ، فأتوا به إلى الأمير صارم الدين ابن الهدبانى ، قالوا له : إنا وجدنا هذا العلج بساقية القصب و هو يتلو آية الكرسى . و صار يتلوها و هو واقف بين يديه . فقال : لو كانت الختمة على رأسك لقتلتك [5] ، فانك لو كنت مسلما ما أتيت مع الكافرين

(١) فى الأصل : فكومتهم و تكويم التراب : جمعه و جعله كوما .
(٢) فى الأصل : وصارت .
(٣) كذا فى الأصل ، وواحل اسم فاعل من الوحل : الطين المتراكم عند الشاطئ .
(٤) فى الأصل : المسلمون .
(٥) فى الأصل : قتلتك .

Marfat.com

تقاتل المسلمين . و ضربه بطبر كان بيده ، قتله و قال : هذا زنديق يُسِرّ الكفر و يظهر الإيمان ، فالنار أولى به الآن . ثم تراجعت الناس من الجبال فقتلوا [1] من الفرنج المسجونين نحو العشرين ، فيهم ابن أخت صاحب قبرس . و قتلت امرأة من على سطح دارها علجين برميها الحجارة عليهما . و قاتل الأمير جرجى [2] و ولده قتالا شديدا فى تلك الوقعة . و حصل للقاضى شمس الدين قاضى غزنة [3] و أصحابه التركمان [4] الأجر و بياض الوجه بما أنكوه فى الفرنج . قال بعض أسارى الفرنج : لما أتى القاضى و أصحابه التركمان لقتالنا ، رأينا الأرض كلها امتلأت خلقا [5] معهم أسلحتهم [5] تقتل فينا [6] . و قيل إن القاضى جُعل قاضى قضاة طرابلس لإبانته عن شجاعته و حمايته ، فكان فعله ذلك كفعل الشيخ الصالح وجيه الدين

٣١ / ب عبد / الرحمن النويرى الشهير بالناطف قاضى باب النويرة بالصعيد الأدنى من مصر لما تجهز لقتال الفرنج حين أتوا فى سنة ست عشرة و ستمائة [7]

---

(١) فى الأصل : فقتلت .

(٢) ورد هذا الاسم بين أمراء العصر المملوكى ـ انظر كتاب السلوك للمقريزى (نشر زياده) ص ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٧٨ .

(٣) فى الأصل : عرقة .

(٤) فى الأصل : التركمانى .

(٥-٥) فى الأصل : معها أسلحتها .

(٦) فى الأصل : فتيا .

(٧) تبدأ فى ١٩ مارس سنة ١٢١٩ م .

إلى أرض مصر كما تقدم ذكر الوقعة المذكورة و كيفيتها فى هذا الكتاب.
فقال القاضى عبد الرحمن المذكور حين التوجه إلى الجهاد :

بنو عمنا شدوا الجنائب و اركبوا على كل فحل أسود اللون عابس
إذا ما قضينا نوبا[1] من عدونا رجعنا إلى بغلاتنا و الطيالس

و قاتل الشيخ القاضى عبد الرحمن المذكور[2] فى تلك الوقعة إلى أن استشهد ٥ فرآه بعض أكابر الفرنج قتيلا عليه آثار الفقهاء، فوكزه بسيفه و قال: يا قسيس المسلمين ! أنتم تزعمون أنكم[3] أحياء عند ربكم ترزقون . قال: نعم ، نعم ، فتحير النصرانى من نطقه بعد موته ، و حمله معه فى تابوت إلى عكا بعد أن صبّره[4] ، فدفنه فى قبر بسرداب بداره و أسلم سرا و سماه الناطق ، فسافر من بلد النويرة بعض أهلها بكستان يبيعونه بعكا ، فاشتراه ١٠ النصرانى منهم بعد أن قال لهم : من أى بلد أنتم ؟ قالوا : من بلدة النويرة . فأدخلهم داره و أوقفهم على قبره ، و حدثهم حديثه ، و أراهم ختمته التى كان متقلدا بها ، مكتوب على ظهرها : هذه ختمة الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن النويرى . فعرف النصرانى اسمه و اسم بلده بتلك الكتابة ، فلذلك أدخلهم داره لما ذكروا له بلدهم ، و أوقفهم[5] على ١٥ قبره ، ثم إنه دفع لهم ختمته يعودون بها إلى ذريته : فأتوا إلى بلد النويرة ، أخبروا أهلها بذلك ، فسمى الشيخ عبد الرحمن الناطق إلى الآن . و جاء

(١) من مخطوطة مكتبة بانكى فور ، و فى الأصل : نونا .
(٢) فى الهامش : مطلب ـ القاضى عبد الرحمن النويرى .
(٣) زيد فى الأصل : اموات ـ كذا .
(٤) صبر الميت : جعل الصبر فى جوفه لئلا تسرع النتانة إليه .
(٥) فى الأصل : واقفهم .

من نسله العلماء و الصالحون ، و لهم مدرسة بشرقى بلد النويرة ، لها أرض تزرع فى كل سنة وقف عليها ، و من تصدى لهم بأذية قوبل بفعله و لو بعد حين ، فهم محفوظون[1] بحفظ الله . و للشيخ عبد الرحمن المذكور مناقب عديدة ذكرها الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى كتاب د طبقات الأولياء - انتهى .

ذكر ما جاء فى فضل الشهادة و ما أعده الله تعالى لأوليائه فى الجنة[2]

فلنذكر الآن ما جاء فى فضل الشهادة و الشهداء إن شاء الله تعالى .

٣ / الف كانت / الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون الكفار على الخيل و النجب ، فمن استشهد منهم استقرت روحه بالجنة كما جاء فى الخبر : إن الشهداء يزورون ربهم عز و جل على نجائب من نور ، رؤسها من ذهب ، عيونها من ياقوت ، خدودها كخدود النساء ، ألواحها زمرد أخضر ، أعناقها كالقباب ، ذوائبها كذوائب الحور ، نواصيها كالأشجار المثمرة ، أعرافها كأجنحة النسور ، قوائمها من فضة ، و أجسادها من لؤلؤ ، و آذانها كآذان البقر ، جلالها[3] من السندس الأخضر ، يركب عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أولياء الله عز و جل و الملائكة معهم إلى

(١) فى الأصل : محفوظين .

(٢) العنوان وارد بهامش الورقة .

(٣) فى الأصل : جلاها - كذا .

أن يأتوا[1] إلى الرب تبارك و تعالى ، فيسلمون عليـــه ليتحفهم بالتحف الجزيلة ، و يكرمهم بالكرامـات الجليلة ، و يرجعون إلى منازلهم ، و كل واحد منهم قد أكرمه الله بسبعين وصيفة ، لكل وصيفة سبعون ذؤابة و سبعون إكليلا[2] و سبعون حلة ، و فى كفها إبريق من الجوهر عليه منديل من السندس الأخضر ، و قد جلس على سرير من الذهب الأحمر ، قوائمه من الجوهر ، تحته فراش السندس و الإستبرق ، نوره ساطع ، لو أن الرجل منهم أطلع على الدنيا أضاء من نوره المشرق و المغرب ، و لو بصق فى البحر المالح لصار عذبا ، و لو أن الرجل منهم نشر ذوائبه لحجب بها ضوء الشمس و القمر ، لكل واحد منهم سبعون حورية ، و أن كل واحدة منهن إذا قامت بازاء القمر لانكسف من حسنها و نور وجهها . فأولياء الله تعالى هم أهل الجنة ، على وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، جالسين على منابر من الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض ، فيها بسط من العبقرى الأخضر ، متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر و العسل و الماء و اللبن ، محفوفة بالغلمان و الولدان ، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان ، / كأنهن الياقوت و المرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ٣٢/ب و لا جان ، يمشين فى درجات الجنان ، إذا اختالت إحداهن فى مشيتها ، حمل أعطافها سبعون من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض

(١) فى الأصل : ياتون .
(٢) فى الأصل : اكليل .

Marfat.com

ما يتحير فيه البصر ، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ و المرجان ، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم و البؤس و الضر ، مقصورات فى قصور من الياقوت ، تنبت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثم يطاف عليهم و عليهن بأكواب و أباريق و كأس من معين ، و يطوف عليهم خدام و غلمان و ولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، و مقام أمين فى جنات و عيون و نهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجهه الكريم ، و قد أشرقت وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قتر و لا ذلة [1]فى جنات[1] مكرمون ، و بأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم [2]فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها و لا يحزنون ، و هم من ريب المنون آمنون[2] ، فهم فيها يتنعمون و يأكلون من أطعمتها و يشربون من أنهارها لبنا و خمرا و عسلا ، أرض أنهارها فضة و حصباؤها مرجان ، و على أرض ترابها مسك أذفر و نباتها زعفران ، و يمطرون من سحاب فيها من النسرين على كثبان الكافور و يؤتون بأكواب مرصعة بالدر و الياقوت و المرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم الممزوج بماء السلسبيل العذب يشربون ، نوره من صفو جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته و حمرته لم يصبغه آدمى ، فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقه ، و لكن أين

(١-١) ما بين الرقمين كان بياضا بالأصل ، و الاقتباس من القرآن الكريم سورة ٧٠ آية ٣٥ .

(٢-٢) الجملة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش بخط مختلف .

Marfat.com

للشمس مثل حلاوة صورته ، و حسن أصداغه ، و ملاحة وجه أحداقه ! فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ، و يوقن بأنه لا يموت أهلها ، و لا تحل الفجائع بمن نزل / بفنائها ، كيف يركن للدنيا التى قد أذن الله فى خرابها ، ٣٣/الف و ينتهى العيش دونها . و الله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت و الجوع و العطش و سائر أصناف الحدثان ، لكان جديرا بهجر الدنيا بسببها ، و أن لا يؤثر عليها ما التصرم و التنغيص من مرودتها[1] ، كيف و أهل الجنة ملوك آمنون ، و فى أنواع السرور متنعمون ، لهم فيها كل ما يشتهون ، و فى كل يوم بفناء العرش يحضرون ، و الى و جه الله الكريم ينظرون ، و ينالون [2]من لذة النظر[2] ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان و لا يلتفتون ، و هم على الدوام بين أصناف هذا النعيم يترددون ، و من زوال هذا النعيم آمنون .

قال أبوهريرة : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ينادى مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، و إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، و إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، و إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا . فذلك قوله تعالى[3] " و نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون " .

و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قوله تعالى[4] : " و مساكن طيبة فى جنّت عدن " قال : قصر من لؤلؤة ، فى ذلك القصر سبعون

(١) فى الأصل : مرورتها .
(٢-٢) فى الأصل : النظر من اللذة .
(٣) قرآن كريم سورة ٧ آية ٤٣ .
(٤) قرآن كريم سورة ٩ آية ٧٢ .

Marfat.com

دارا من ياقوتـــة حمراء، فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر، فى كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، فى كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام، فى كل بيت سبعون وصيفة، و يعطى المؤمن فى كل غداة من القوة ما يأتى على ذلك أجمع.

و قال أبو هريرة: قال النبى صلى الله عليه و سلم: إن حائط الجنة لبنة من ذهب و لبنة من فضة، ترابها زعفران / و طيبها مسك. ٣٢/ب

و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن تربة الجنة، فقال: درمكة بيضاء مسك خالص.

و قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا. و أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك، و لو كان أدنى أهل الجنة حلية. لعدلت حلية أهل الدنيا جميعا.

و سأل أعرابى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يا رسول الله! قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية، و ما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما هى؟ قال: السدر فان لها شوكا. فقال قال الله عز و جل[1]: "و سدر مخضود". فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: خضد الله شوكها، فيجعل الله مكان كل شوكة ثمرة، ثم تشق الثمرة عنها اثنين و سبعين لونا من

(١) قرآن كريم سورة ٥٦ آية ٢٨.

طعام ما منها لون يشبه الآخر ، و إن النخل و الشجر أصولها اللؤلؤ و الذهب و أعلاها الثمر .

و روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من يدخل الجنة ينعم لا يبأس [1] ، لا تبلى ثيابه ، و لا يفنى شبابه ، و إن فى الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر .

و قال رجل : يا رسول الله ! أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أ خلق تخلق ، أم نسيج تنسج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بل تنشق عنها ثمر الجنة ، صورتهم عـــلى صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، و لا يمتخطون و لا يتغوطون فيها ، آنيتهم و أمشاطهم من الذهب و الفضة ، و رشحهم المسك ، و لكل منهم زوجتان ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم و لا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة و عشيا .

و قال صلى الله عليـــه و سلم : ما من مؤمن و لا مؤمنة إلا و له وكيل فى الجنة ، فاذا قرأ القرآن بنى له الدور و القصور ، / و إذا سبح غرس له الأشجار . ٣٤/ الف

و قال رسول الله صلى الله عليـه و سلم فى قوله [2] تعالى " يحلون فيها من اسـاور من ذهب " قال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة فيها يغنى منها المشرق و المغرب ، و لهم فيها خيام ، كل خيمة من درة

(١) من البؤس ، و فى الأصل : لا ييأس .
(٢) قرآن كريم سورة ٢٢ آية ٢٣ .

Marfat.com

مجوفة ، طولها فى السماء سبعون ميلا ، فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون . و قال ابن عباس : الخيمة درة مجوفة ، فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

و قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ قوله "و فرش مرفوعة" قال : ما بين الفراشين مثل ما بين السماء و الأرض . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن ساكن الجنة لينظر إلى الطير فيها فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا[1] .

و قال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى[2] "و يطاف عليهم بصحاف من ذهب" كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى .

١٠ و قال عبد الله بن مسعود "و مزاجه من تسنيم[3]" قال : يمزج لأصحاب اليمين و يشربها المقربون صِرفًا .

و قال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه فى قوله تعالى[4] "كأنهن الياقوت و المرجان" قال : ينظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة ، و إن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق و المغرب ١٥ و أن يكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك .

٣٤/ب / و قال أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

---

(١) وقع فى الأصل : مستويا .
(٢) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٧١ .
(٣) قرآن كريم سورة ٨٣ آية ٢٧ .
(٤) قرآن كريم ٥٥ : ٥٨ .

Marfat.com

لما أسرى بى دخلت الجنة فرأيت موضعا يسمى السرح عليه خيام اللؤلؤ و الزبرجد الأخضر و الياقوت الأحمر ، فقلن : السلام عليك يا رسول الله ! فقلت يا جبريل ! ما هذا النداء ؟ قال : هؤلاء المقصورات فى الخيام يستأذن ربهن فى السلام عليك فأذن لهن ، فطفقن يقلن : نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، و نحن الخالدات فلا نظعن أبدا . و قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم " حور مقصورات فى الخيام [1] " .

و قول مجاهد فى قوله تعالى [2] " ازواج مطهرة " قال : من الحيض و الغائط و البول و البصاق و النخامة و المنى و الولد .

و قال الأوزاعى فى قوله تعالى [3] " ان اصحب الجنة اليوم فى شغل فكهون " أى شغلهم افتضاض الأبكار .

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء و أربعة آلاف بكر و ثمانية آلاف ثيب ، يعانق كل واحد منهم مقدار عمره فى الدنيا .

و قال انس : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الحور العين يتغنين يقلن :

نحن الجوارى الحسان خبئنا لأزواج كرام

و روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه قال لأصحابه: ألا مشمر للجنة ! إن الجنة لا خطر لها ، هى و رب الكعبة نور يتلألأ ،

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٢ .

(٢) قرآن كريم سورة ٣ آية ١٥ و الآية بتمامها "و ازواج مطهرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد" .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٥٥ .

Marfat.com

و ريحانة تهتز ، و قصر مشيد ، و نهر مطرد ، و فاكهة كثيرة نضيجة ، و زوجة حسناء جميلة ، فى خير و نعمة ، فى مقام أبدا و نضرة ، فى دار عالية بهية سليمة . قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله ! قال : قولوا : إن شاء الله تعالى . و اعلم أن الجنة يعجز البشر عن وصف ما أعد الله فيها .

[1]ذكر ما قيل فى إرم ذات العماد[1]

فلنذكر الآن ما قيل فى إرم ذات العماد ، الذى بناها شداد بن عمليق[2] ابن عويج بن عاد . و ذلك أنه لما وصف له الجنة / و ما أعد الله فيها من ٣٥/ الف
قصور الذهب و الفضة و الدر و الياقوت ، و المساكن التى تجرى من تحتها الأنهار ، قال لعظماء قومه : إنى متخذ فى الأرض مدينة على هذه الصفة . فوكل مائة رجل من قهارمته[3] ، تحت يد كل قهرمان ألف رجل من الأعوان ، و أمرهم أن يطلبوا أفضل فلاة من أرض اليمن و أطيبها تربة ، يبنون[4] فيها مدينة من ذهب و فضة مفصلة بالدر و الجوهر و الياقوت ، معمدة بأساطين من الجوهر . ثم مثل لهم كل ما يعملون . فأمروا أن

(١ - ١) العنوان مأخوذ عن الوارد بهامش المخطوط . و إرم ذات العماد على حد قول ياقوت (معجم البلدان ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٦) " لم يخلق مثلها فى البلاد " باليمن بين حضر موت و صنعاء .

(٢) فى الأصل : عايق .

(٣) جمع قهرمان أى أمين الدخل و الخرج فى مرتبة الوزارة .

(٤) فى الأصل : يبنوا .

Marfat.com

يجمعوا جميع ما فى بلدانهم من الذهب و الفضة و الدر و الياقوت و المسك و العنبر و الزعفران و يوجهوها إليها ، و وجهوا الغواصين[1] إلى البحار فاستخرجوا من الدر ما لا يحصى ، و وجهوا الحفارين[2] إلى معادن الجوهر و استخرجوا منها ما لا يحصى ، و حمل ذلك إليه ، فأمر بالذهب و الفضة فضرب كاللبن العظيم القالب ، و بنى تلك المدينة ، و أمر بالدر و الياقوت و الزبرجد و الجزع و الفيروزج أن ترصع فيها بالذهب المذاب ، و جعلها غرفا من فوقها غرف معمدة بأساطين الجواهر ، و أجرى فى وسط المدينة نهرا ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخا كهيئة القناة العظيمة حتى أخرجه فى وسطها كهيئة الوادى العظيم ، و أمر فأجرى من ذلك الوادى سواقى فى تلك السكك و الأزقة تجرى بالماء الزلال ، و أمر بجانبى ذلك الوادى و تلك الأنهار فبلط بالذهب كهيئة الصهروج[3] ، و جعل حصباءها الياقوت الأبيض و الأحمر و الأصفر و الأخضر ، و نصب على الحافات شجرا من ذهب مثمرا بالجواهر ، و جعل طول المدينة اثنى عشر فرسخا فى عرض مثلها ، و جعل سورها عاليا ، و جعل فيها ثلاثمائة قصر مفصل باطنها و ظاهرها بأصناف / الجواهر ، و بنى لنفسه فى وسط المدينة على ١٥ ٣٥ / ب

(١) فى الأصل : الغواصون .

(٢) فى الأصل : الحفارون .

(٣) مشتقة من «صهرج الحوض طلاه بالصاروج ، يقال حوض مصهرج و بركة مصهرجة» (انظر البستانى ج ١ ص ١٣٦٩) و الصهريج كلمة دخيلة من الفارسية بمعنى مصنعة يجتمع فيها الماء و هى غير الصاروج .

شاطئ ، ذلك الوادى قصرا منيفا عاليا على تلك "قصور ، و جعل بابه مما يلى ذلك الوادى بمكان رحيب واسع ، و نصب عليه مصراعين من ذهب مفصصا بأنواع الجواهر تتلألأ و تتقد كالنيران ، و إذا أنهار فى تلك الشوارع و السكك تطرد بالماء الزلال ، و على حافاتها أشجار من ذهب مثمرة بصنوف الياقوت و الجوهر .

قال عبد الله بن قلابة[1] : فبينما أنا سائر على راحلتى [2]أطلب إبلا ضلت لى[2] ، إذ وقعت بتلك المدينة ، فعقلت راحلتى على بابها ، و دخلتها و تمشيت فيها ، إلى أن وصلت إلى نهر الشارع ، فمضيت على النهر فى ذلك الشارع هونا من النهار حتى انتهيت إلى واد يطفح بالماء الزلال بأحد تلك الأنهار و السواقى مبلط بالذهب و حصباؤه سائر الجواهر . و إذا على ذلك [النهر] قصر منيف عال على تلك القصور كلها من لبن الذهب مفصص[3] حيطانه كما تدور بفصوص أنواع الجواهر كأن السرج تتقد فيه ، ففزعت منه و كاد يختلط عـــلى عقلى ، إذ لم أر فيها آدميا ، فخفت أضل فى تلك الشوارع و الأزقة و السكك ، فلا أهتدى

---

(١) فى الأصل « فلان » و صححته فى جملة بهامش الورقة هذا نصها : « قوله عبد الله ابن فلان غلط ، بل هو عبد الله بن قلابة صاحب القصة بلغة محمد (كذا) صلى الله عليه و سلم » .

(٢-٢) الجملة ساقطة من الأصل و وردت بهامش الصفحة .

(٣) فى الأصل : مفضض .

للرجوع

Marfat.com

للرجوع إلى الباب الذى دخلت منه ، فانصرفت راجعا لذلك الشارع الذى أقبلت منه ، و رمت قلع شيء من ذلك الدر و الياقوت و الجواهر المركبة[1] فى تلك الحيطان و تلك الأبواب . فلم أقدر لأنه محكم التركيب، وثيق الصنعة ، فتناولت شيئا من تلك البنادق من المسك و الزعفران ، ثم خرجت إلى راحلتى ، فركبتها و قلت فى نفسى : لا شيء هو أجدى على من المسير إلى أمير المؤمنين معاوية ، فأدله على هذه المدينة ، فانه سيجعل لى فيها أوفر الحظ . فتركت ما كنت فيه من طلب الإبل التى ضلت لى ، و سرت نحو الشام حتى وافيت مدينة / دمشق ، و دخلت على معاوية فقلت : يا أمير ٣٦/ا المؤمنين ! إنى قد أتيتك بما لم تره العيون و لم يخطر على قلب بشر . قال : و ما ذاك ؟ قلت : مدينة من ذهب و فضة و در و ياقوت و زبرجد و مرجان ، ثم قصصت عليه القصة ، و وصفت له ما عاينت فى تلك المدينة ، و أريته تلك البنادق ، فلم يجد لها رائحة المسك و الزعفران . فأرسل إلى كعب الأحبار ، فحضر فقال : يا كعب ! هل بلغك أن فى الأرض مدينة من ذهب و فضة و در و ياقوت و زبرجد و مرجان ؟ فقال كعب : نعم يا أمير المؤمنين ! هى إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد التى ذكرها الله فى كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، فقال : من بناها ؟ فقال : بناها شداد بن عملیق بن عويج بن عاد بن إرم بن سام بن نوح ، ثم بدأ بحديث شداد فقال معاوية : فهل إليها من سبيل ؟ فقال : أى سبيل إلى مدينة محجوبة عن الخلق إلا رجلا واحدا من العرب

---

(١) فى الأصل : المركب .

Marfat.com

صفته كذا و كذا ، ثم وصف صفتى ، و التفت فنظر إلى فقال : هوذا فسيدخلها أو قد دخلها ، و الذى بعث محمدا بالحق نبيا ! ما خلق الله تعالى شيئا فى الأرض إلا و قد فسره فى التوراة لنبيه موسى عليه السلام . ثم قال لى معاوية : يا أخا اليمن ! لقد[1] أتيتنا ناصحا ، و قد حمدناك على ذلك ، و ليس إلى تلك المدينة من سبيل ، غير أنا لا ندع صلتك . ثم أمر له بألف دينار ، فقبضها و انصرف - انتهى .

[عود إلى وقعة طرابلس[2]]

نعود إلى ما قيل من الأقوال فى وقعة طرابلس الشام كما تقدم ذكر ذلك[3] . و منهم من قال : إن القبرسى لما أتى بمراكبه إلى مدينة طرابلس الشام يريد غزو المسلمين بها ، فلما أرسى بأفروطته[4] و رأى جيوش المسلمين قد أقبلت / بعد أن أنزل منها بعض رجاله دخلوها و غنموا منها بعض الغنائم ، فظفر[5] بهم المسلمون فقتلوهم ، فأرسل الملعون يقول : إنما أنزلت من مراكبى بعض رجالى لأجسكم[6] ، و لو أتيتكم بنفسى و جميع

٢ / ب

---

(١) فى الأصل : فقد .

(٢) هذا العنوان غير وارد فى النص أو الهامش .

(٣) أنظر ما تقدم الصفحة رقم ٨٧ و ما يتلوها .

(٤) عن الأفروطة أنظر فيما سبق الحاشية رقم ٤ ص ١١٢ الجزء الأول من هذا الكتاب أيضا راجع الفهارس .

(٥) فى الأصل : نظفرت .

(٦) فى الأصل : لاحسكم .

رجالى لصارت طرابلس فى ساعة واحدة كوما من الكيمان . فجاوبه بعض مقدمى جيوش المسلمين فقال : أنزل الآن بجيشك و قاتل و خذ البلاد لأنك تزعم أنك سلطان و نحن مماليك و السلطان بالضرورة يغلب المماليك . فلم يجد الملعون له جوابا يجيبهم به . فلو أتى بجيشه لصار هو و جيشه على الصعيد كالحصيد . ثم إن المسلمين سبوه[1] سبا قبيحا و قالوا له : إن أهل جزيرتك قزازون[2] و أنت معلم القزازين الأرذلين ، و لو كنت سلطانا لنزلت من مراكبك و قاتلت المسلمين ، و لكنك حين ظفرت بالإسكندرية [3]ما أقمت بها و هربت[3] ، فلو أقمت فيها يا كلب النصارى لرأيت العجب من سوء المنقلب ، و لكن ما فى وسعك إلا الهرب ، كاللصوص إذا سرقوا هربوا قبل أن يعثر عليهم ، فيقطعوا و يصلبوا . فلم يجد له جوابا يذكره ، فرجع إلى جزيرته بحسرته .

و منهم من قال : لم ينزل من مراكب الفرنج إلى الساحل سوى ألف و خمسمائة رجل بين فارس و راجل ، فهربت جماعة من أجناد البلد إلى الجبل ، فحينئذ صادفت الفرنج ثلاثة من المسلمين بالساحل ، فقبضوهم و استخبروهم عن البلد و من فيه من الجند ، فقالوا : إنهم خرجوا للقاء الأمير منجك ، لكن الآن تحضر النجدة ، فقال بعضهم :

---

(١) فى الأصل : سبته .

(٢) فى الأصل : قزازين .

(٣-٣) فى الأصل : أقمت بها و لاهربت . ـ و خطأها واضح من السياق ومجرى الحوادث .

Marfat.com

اذبحوهم لأنهم لم يخبروا بالصدق . فقالوا : ليس فى ذبحكم لنا فائدة لكم ، فانا و الله صادقون[1] فى مقالنا لكم . فتركوهم و زحفوا دخلوا البلد ، و إذ بابن مالك مقدم التركمان ظهرت غبرة خيله ، قد أتى / فى جماعة التركمان . ٣ / الف ثم ظهرت أيضا غبرة خيل ابن صنجر و قد أتى فى العشير ، فلما رأتهم العلوج الكلاب من المراكب ، رجعوا بها إلى داخل البحر ، و ضرب النفير بالمراكب ، فسمعت الفرنج التى بالبلد حسن النفير ، فرمى كل واحد ما نهبه و طلب النجاة لنفسه ، فقتلهم[2] المسلمون عن آخرهم . و وجد[3] المسلمون بطرابلس العتيقة الخراب نحو مائة من الفرنج مختفين بها ، فذبحوهم عن آخرهم . و تتابعت جيوش المسلمين من كل ناحية و مكان ، أتت تطلب الجهاد ، لتغازى أهل الكفر و العناد . فلما رأى القمرسى الجيوش قد أقبلته إليه من كل جهة و مكان ، ارتحل الملعون بأسطوله إلى جزيرة رواد[4] المقابلة لطرابلس ، فبينما الناس كذلك و إذا بثلاثة مراكب قدمت إلى ساحل السويدية[5] من أرض الشام

---

(١) فى الأصل : صادقين .

(٢) فى الأصل : فقتلتهم .

(٣) فى الأصل : و وجدت .

(٤) أو أرواد و اسمها القديم Aradus كما يتضح من النص قريبة من الساحل السورى تبعد ٣ ميلا شمال طرابلس قبالة انطرطوس بمقاطعة اللاذقية من سوريا .

(٥) ذكرها ياقوت فى معجم البلدان « السويداء » (ج ٣ ص ١٩٠) قال عنها « بلدة مشهورة بديار مضر ـ بالضاد المعجمه ـ قرب حران بينها و بين بلاد =

Marfat.com

بريح العدة لم يظهر بها أحد من الفرنج ، فمضى[1] المسلمون إليها فى القوارب ، فوجدوا بها الأسلحة و الزاد و القتلى و الجرحى من الفرنج ، فسألوا الجرحى عن أمرهم فقالوا : إن الجنوية قاتلت القبرسى بسبب ابن صاحب جنوه الذى قتله[2] المسلمون بسجن طرابلس . كما تقدم ذكر قتلهم له ، و بسبب قتل المسلمين أيضا لجماعة الجنوية الذين[3] أنزلهم القبرسى من أسطوله حتى قتلوا بسيوف المسلمين ، فقتل الجنوية من كان فى هذه المراكب من أصحاب القبرسى ، و هؤلاء القتلى و نحن الجرحى ، فصارت المراكب خالية ممن يرأسها ، فقطعت سرياقات[4] مراسيها حتى رمى بها الريح إليكم ، فعند ذلك غنمها[5] المسلمون[6] .

=الروم فيها خيرات كثيرة و أهلها نصارى أزمن فى الغالب . والسويداء أيضا قرية بحوران من نواحى دمشق » .

(١) فى الأصل : نهضت .

(٢) فى الأصل : قتله .

(٣) فى الأصل : الذى .

(٤) جمع سرياقة وهى الحبل الغليظ ، وردت فى « السلوك » للمقريزى (ص ٤٥١) و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى (ج ٩ ، ص ١٢٨) .

(٥) فى الأصل : غنمتها .

(٦) انظر فيما بعد (الصفحة رقم ١٢٣) لمواصلة الحديث عن حملة طرابلس الشام .

Marfat.com

[1] حكاية المرأة [الإسرائيلية -2]

فلنذكر الآن خبر المرأة الإسرائيلية التى سارت بالمركب من غير
١/ب رأس يرأسها حتى أرست / بها إلى بعض الجزائر بعد أن جرى عليها من المحن التى تلقت[3] بها المراثر .

• عن وهب بن منبه قال : قرأت فى الكتب السالفة أنه كان فى بنى إسرائيل رجل موسوم[4] بالعفاف ، مشهور[5] بالغنى ، و كانت له امرأة جميلة فائقة فى الحسن و الجمال و البهاء و الكمال ، فتحدث الناس بأمرها فى الآفاق و الرفاق حتى كانت تسمى حسناء بنى اسرائيل ، فأصابتها العين ، فابتليت بمحنتين و فتنتين ، كما قال فى مثلها الشاعر :

١٠ و للحسان عيون الناس صائبة [6] و العين أسرع ما تأتى إلى الحسن

و كانت قد رزقت جمالا و عفافا و صيانة و ديانة ، و فضلت على أهل زمانها بذلك ، و كان اسمها أروانية و يقال لها حسناء بنى اسرائيل .

قال : و كان لزوجها أخ حدث السن ، فبدا لزوجها السفر فى وجه

(١ - ١) العنوان كذا بالهامش .

(٢) زدنا الكلمة من النص .

(٣) فى الأصل : تلقنت .

(٤) فى الأصل : رجلا موسوما .

(٥) فى الأصل : مشهورا .

Marfat.com

من الوجوه، فلما أن أراد السفر و أزف منه الخروج أوصى إلى أخيه بزوجته، و قال له: يا أخى! تكون لها كالأخ الشقيق. قال: ثم توجه فى وجهه الذى قصده، وقام أخوه بأمر المرأة يتعاهدها فى كل يوم، يخدمها حق الخدمة، و يقضى حوائجها، و هى تكلمه من وراء حجاب. فأقبل عليها يوما فقال: أيتها المرأة! اسمعى قولى و اعقلى ما أقول لك. فقالت: ما هو؟ فقال: إنى مشغوف بحبك مند عشر سنين و أكثر منها، و كنت أكتم ذلك استحياء من أخى، و الساعة فقد خرج أخى و صار فى سفره، و قد عيل صبرى، و أخاف على نفسى التلف، فسبيلك أن تنظرى فى أمرى، و تتابعينى على هواى، و توافقينى على ذلك، فان أخى قد غاب، و أمرك اليوم بيدى، و ليس أحد اليوم أولى بك منى و لا أقرب إليك منى. فقالت له: يا هذا إن كان زوجى غائبا فان ربى ليس بغائب، و إن كان زوجى لا يرانى / فان الله يرانى، و إن بصره قد هتك الحجب، فلا يحتجب منه محتجب فى خير و شر، فاتق الله و احذر المقت من الله، فانى لا أتابعك على هواك. ويحك! أما ترعى حق أخيك، و لا تحدث نفسك بالخيانة فى أمره! فانى و الله لا أخونه أبدا، و لا أعصى ربى، فان سرور هذه المعصية قليل و شرها كثير، و هو إثم عظيم. فان أنا تابعتك فقد أعنتك على هلاكك و هلاك نفسى. ٣٨/ الف

قال: فلما سمع الفتى ذلك من قولها، خرج من عندها كالآيس. قال: فاستقبله عدو الله إبليس ـ لعنه الله تعالى، فقال: ارجع ويحك! هل رأيت مثلها حسنا و جمالا و عقلا و كمالا! هل سمعت نغمة أحلى من نغمتها!

Marfat.com

و ما كانت أقرب منك ، و إذا عاودتها رضيت لأنها فى أول مرة خجلت و سترضى ، فارجع إليها ، أما سمعت قول الشاعر فى نظيرتها ؟ قال له : و ما الذى قال الشاعر ؟ قال : قال - شعر :

يا قوتة منظومة فى درر وزهرة بارزة للنظر
و مسكة فى حقة مذهبة قد طرحت فوق فتيت العنبر
و خوخة فى غصن ناعمة مزهرة بلونها المعصفر
و بهجة التفاح فى أغصانه يرضى العيون أبيض و أحمر
و النحل فى أحباجه[1] يبنى به أقراص شهد أبيض كالسكر
يوما بأحلى من جمال غادة كالزهرة البيضا يليها المشترى
فوجهها كالشمس حسنا و بها[2] و قدها يحكى قوام السمهرى
وكحل عينيها و لون خدها[3] كمقلة الظبى و ورد أحمر
رخيمة الصوت بحسن نغمة كنغمة العود و حسن الوتر
تورد لفظا فائقا منمقا شابه حسنا كصحاح الجوهر
من نكهة مسكية عاطرة كنشر كافور و نفح العنبر
سمعت ذاك اللفظ منها فجرى دمعى على خدى شبيه المطر
و هام قلبى بجمال وجهها فأطربت سمعى و قر بصرى

(١) فى الأصل : احباجه - بجيمين، و أغلب الظن أنها من الحبج بفتح الحاء و كسرها و هو مجتمع الحمى عند العرب فاستعارها الشاعر للتعبير عن خلايا النحل .
(٢) فى الأصل : و بهى .

Marfat.com

/ فما نظرت فى حيـاتى مثلها وما سمعت نغمة فى عمرى ٣٨ | ب

مثل كلام رائـق تخرجـه من غنة كـطعم ماء الـكوثر

ثم قال لسان حال إبليس بوسوسته له : ارجع إليها و راودها عن نفسها فهى ترغب فيك . فقال لسان حاله : لقد هيمتنى و شوقتنى إليها بما و سوست لى بهذا الشعر المنظوم ، الذى هو كالرقم المرقوم . ٥

قال : فرجع إليها الفتى و قال لها : أيتها المرأة ! إنك إن امتنعت منى و لم تقضى حاجتى ، ألقيتك فى شر لا تخرجين[1] منه ، و منعتك كل خير ، و ضيقت عليك المؤنة ، و منعتك مال زوجك أشد المنع ، فانى عاشق فيك و محب لك ، و عدم وصلك يحملنى على أذاك . قالت : و مـا تصنع بى إذا لم أطاوعك على المعصية ؟ قال : أقيم عليك من شيوخ بنى ١٠ إسرائيل أربعة يشهدون عليك بالزنى فترجمين[2] إلى أن تموتى ، و أستريح منك ، و يرجع إلى عقلى . قالت : كيف يشهدون بالزور و يبارزون الله عز و جل بالحرب ؟ قال : يحملهم على ذلك الدنانير المضروبة بدار الضرب . قالت : و ما عسى أن يكون هذا فى حق الله ، ثم فى حق زوجى ، إذا أنا تعففت عن المعاصى ، فافعل مـا شئت ، فانى لا أتابعك على المعاصى ١٥ أبدا ، و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال : فلما كلمنه بهذا الكلام ، أيس منها ، و مضى إلى المشايخ السوء ، دفع لهم الدنـانير ، فصاروا بقبضهم لها كالخنازير ، و مضوا إلى القاضى

---

(١) فى الأصل : لا تخرجى .

(٢) فى الأصل : فترجمى ،

Marfat.com

شهدوا عليها بالزنى و رؤية الفرج فى الفرج كالمرود فى المكحلة فى وقت واحد مجتمعين غير مفترقين . فلما سمع القاضى شهادتهم قبلها و حكم برجمها .

قال وهب بن منبه : فأخرجت المرأة حينئذ إلى المقبرة ، و صيرت د فى حفرة إلى نصفها ، و قيل للشهود : ابتدئوها بالرجم لأنكم شهدتم عليها ٢/ الف / بذلك . فتبادروا و رجموها[1] الأربعة ، كل واحد منهم رماها بالحجر . ثم تبادرت الناس بعدهم بالرمى عليها حتى نظروا إلى الدماء سائلة من رأسها على وجهها ، فلم يشكوا فى موتها ، فتركوها و مضوا إلى حال سبيلهم . و كانت السنة فى بنى إسرائيل أنه لا تدفن المرجومة ، و تترك على حالها لينال منها الطير و الكلاب ، و تصير موعظة للنساء ليتقين[2] الزنى .

قال : فلم تزل مطروحة فى المقبرة حتى الغداة ، فمر بها أعرابى بدوى يرعى إبلا له ، فسمع أنينا فى المقبرة ، فذهب ينظر ما هو ، فأذا بها امرأة وضيئة الوجه كأنها الشمس حسنا و جمالا مضمخة بالدماء . قال : فأشارت المرأة إلى فمها تشكو العطش . قال : فسقاها الأعرابى من أدواته ، و حملها على بعير من أبعرته ، و مضى بها إلى منزله عند زوجته ، و داواها حتى برئت . و صارت من الحسن و الجمال إلى أكثر مما كانت . قال : فأحبها الأعرابى و زادها برا و لطفا ، و راودها عن نفسها ، فقالت : يا أعرابى ! اتق الله و احذر الشيطان و مكايده ، فانك قد عملت معى خيرا كثيرا ، أحييت نفسا . فوجب لك الأجر على المثلى الوفى ، فلا تفسده بالمعصية ،

(١) فى الأصل : رجموها . (٢) فى الأصل : ليتقو .

Marfat.com

فان لى زوجا ، و لو لم يكن لى زوج لزوجتك نفسى لعظيم منتك على و إحسانك إلى ، و لكنى لا أخون زوجى ، قرب منى أم بعد ، و لا أعصى ربى أبدا . قال: فأدرك الأعرابى الندامة ، و خاف من الله تعالى ، و قبل موعظتها .

قال: و كان للأعرابى عبد[1] قبيح الوجه ، وحش الخلقة ، ذو[2] قوة و بطش . قال: فلم يصبر حتى راودها عن نفسها ، فقالت له : اخسأ[3] يا كلب ، عليك لعنة الله . قال: / فلما أيس العبد منها ، انصرف مفكرا ٣٩/ب فى فضيحتها و هلاكها . قال : و كان للأعرابى [4]ابن صغير[4] فى المهد ، و لم يكن له ولد غيره ، فعمد إليه العبد فذبحه ، و عمد بالسكين ملطخة بالدماء فجعلها تحت رأسها . فلما انتبهت زوجة الأعرابى ، أتت لترضع ولدها ، فوجدت المهد مملوءا دما و الصبى مذبوح ، فصاحت و دعت بالويل و الثبور . فقال لها زوجها : ما الذى نزل بك ؟ فقالت : ذبح ولدى . قال: فنظر فوجد أثر الدم عند رأس المرأة ، و السكين تحت رأسها . قال فقال لها الأعرابى: أيتها المرأة ! ما كان هذا مكافأتى منك ،

---

(١) فى الأصل : عبدا .

(٢) فى الأصل : ذا .

(٣) فى الأصل : اخس .

(٤-٤) فى الأصل : ابنا صغيرا .

Marfat.com

ويلك ! قتلت ولدى و ثمرة كبدى ، و أنا نجيتك من الموت ، سقيتك و داويتك و أحسنت إليك . فقالت : يا أعرابى ! تبين و انظر فى هـذا الأمر ، و إنه لم يكن جزاؤك منى أن أقتل ولدك ، و أنت قد راودتنى عن نفسى ، و دعوتنى إلى ذنب هو أصغر من القتل ، فلم أوافقك عليه ، و لم أجبك إليه ، فكيف أفعل هـذا الذنب الذى هو أكبر الذنوب ! فأطرق الأعرابى لما سمع كلامها و قال : اخرجى عنى حيث لا أراك و لا أسمع بك ، لأنى أخشى أن يوسوس لى الشيطان فى قتلك . ثم إنه أعطاها أربعمائة درهم و قال لها : أنفقيها فى طريقك ، و امضى إلى حال سبيلك .

قال : فخرجت من منزل الأعرابى لا تدرى أين تتوجه ، فسارت إلى أن مرت بقرية من قرى بنى إسرائيل ، فأبصرت رجلا مصلوبا ، و هو حى يستغيث و يبكى . فقالت : ما قصة هذا الرجل ؟ و كيف صار مصلوبا ؟ و لم صلبتموه بالحياة ؟ قالوا : إن سنة بلادنا أن من كان عليه خراج فلم يؤده يصلب بالحياة ، و لم يزل مصلوبا حتى يؤديه أو يؤدى عنه . فقالت : و كم عليه ؟ قالوا : أربعمائة درهم . قال : فدفعت الدراهم لهم و أنزلوه . قال : فجزاها المصلوب خيرا / و قال لأمه : افعلى معها الخير ٤٠/ الف كما فعلته معنا . فأخذتها أمه و أسكنتها (١) فى بيت بدارها . فجعلت المرأة

(١) فى الأصل : سكنتها - بسقوط الألف .

تعبد

تعبد ربها ، و أقامت أمه تخدمها ، فلما كان فى بعض الأيام راودها الفتى عن نفسها ، فقالت : لا ، ويحك ! لا تفعل و احذر سخط الله و لا تعصه ، ويحك ! هذا جزائى منك ، أوفيت عنك خراجك ، و أنجيتك من هم الصلب ، و أنت تريد أن توردنى جهنم ، ما أنصفتنى . ثم خرجت هاربة على وجهها مخافة أن يعاودها بذكر المعصية حتى أتت إلى ساحل البحر ، فلم تدر إلا و هو معها قد تبع أثرها ، فجعل يراودها عن نفسها و يدعوها إلى المعصية و هى تأبى . قال : فلما أيس منها صعد إلى نشز من الأرض ، فأبصر سفينة تجرى فى البحر ، فما زال يرقبها حتى أرست ، و خرج من كان فيها إلى البر لقضاء الحاجة . فقال لهم : إن معى جارية جميلة تشترونها منى و هى تكره بيعى لها ؟ قال : فأقبل إليها رجل من كبارهم ، فنظر منها إلى جمال و حسن بديع ، فاشتراها منه بألف دينار ، و هى لا تعلم بذلك . قال : فأخذ الفتى ثمنها و رجع إلى قريته .

قال : فأخذها الذى اشتراها ، و حملها فى السفينة كرها منها ، و جرت السفينة و صارت بوسط البحر . قال : فقام التاجر الذى اشتراها يريد أن يمسها ، فامتنعت ، قال : لم تمنعينى نفسك و قد اشتريتك من سيدك بألف دينار قبضها منى و مضى ؟ قالت : ليس لى سيد إلا الله تعالى ، و إنى امرأة حرة ذات زوج غاب عنى فى سفر . فاستكذبها و قال : بل أنت جاريتى ، و هم بها ، فرفعت طرفها إلى السماء و دعت

Marfat.com

و قالت : و الله لا عصيتك أبدا يا رب العالمين ! فلم تفرغ من دعائها إلا و السماء قد أظلمت عليهم ، و عصفت الرياح و جاء الموج من كل مكان ، و أشرفوا على الغرق ، فدعوا ربهم و تضرعوا إليه و بكوا . فقالت : الحمد لله الذى / لم يخيب دعائى و رجائى ، اعلموا يا قوم أنكم قد ٤٠/ب اشتريتم حرة ذات زوج لم يكن فى شراها لله رضى ، فان خلصتمونى مما أنا فيه فان الله يفرج عنكم هذا الهول ، و ما أصابكم هذا إلا بذنب هذا التاجر ، أراد أن ينال منى حراما . قال : فلما سمعوا بقية التجار قولها ، جمعوا من بينهم ألف دينار أدوها إلى التاجر الذى اشتراها و أعتقوها مكانهم . قال : فانجلت عنهم الظلمة ، و سكن الريح ، و صاروا آمنين . قال : فلما كان بعد ذلك بيوم أو يومين تشاوروا فى أمرها و حسنها و جمالها ، و قالوا : لا بد لكل واحد منا أن يطأها و يتمتع بها ، فانا ما لنا صبر عنها لحسنها البديع و جمالها الفائق . و هموا بها ، قال : فدعت عليهم ، فعصف عليهم ريح صرصر كالنار الموقدة ذات الشرر ، فأخذت بأنفاسهم ، فهلكوا عن آخرهم ، و سلمت هى ، فصارت ترمى واحدا بعد واحد [فى] البحر حتى لم يبق فى المركب غيرها و البضائع التى بها . قال : و أقامت السفينة تجرى بها من غير رائس يرأسها حتى قربت من الشط ، قال : فلبست ثياب التجار ، و تزينت بزينة الرجال ، و استقرت السفينة فى البر ، فأحاطت بها رجال الملك ، و أحضروها بين

Marfat.com

بين يديه ، فظن الملك و من حوله أنها غلام أمرد ، فتقدمت إلى الملك و قالت : أيها الملك ! إنى أتيت فى سفينة كانت فيها جماعة من التجار ، فخرجت علينا ريح صرصر ، فهلك بها جميع من فى المركب ، و لم يسلم من الهلاك غيرى ، فصرت أنظر إليهم هالكين مطروحين ، فلحقنى الخوف و الجزع من ذلك ، فصرت أجر برجل الواحد منهم و أرميه فى [فى] البحر حتى رميتهم بأجمعهم لأنى خفت أن يجيفوا فتهلكنى[1] رائحة جيفهم ، و استعددت[2] للموت أنتظره ساعة بعد ساعة إلى أن أرست بى المركب إلى ساحلكم . و أنا غلام كما ترى . و أموالهم صارت بيدى ، و قد خفت على هذه الأموال الضياع ، فهى وديعة عندك فى خزانتك ، و تكتب إلى ورثة أربابها أن يقبلوا إليك يأخذون[3] حقوقهم / و إن لم يكن له ورثة تكون فى بيت مالك ، تفرق ثمنها على الجيوش المجاهدين . قال : فعجب من كلامها و أمانتها و حسنها و جمالها . و لم يشك إلا أنها غلام أمرد ابن أحد التجار الهالكين فى السفينة . ٤١/الف

قال : فقبض الملك تلك الأموال ، فوضعها فى خزانته . قال : ثم إنها عمدت إلى موضع فى آخر البلد ، فبنت لها كوخا[4] ، و جعلت تعبد الله عز و جل فيه ، و كانت مستجابة الدعوة ، و كانت الزمنى

(١) ف الأصل : فتهلكوه .
(٢) ف الأصل : و استعديت .
(٣) ف الأصل : ياخذوا .
(٤) ف الأصل : كوخ .

Marfat.com

و المرضى يستشفون بدعائها . قال : فلم تزل على ذلك حتى حضرت الملك الوفاة . فقال[1] أهل مملكته : استخلف علينا أيها الملك من يكون علينا ملكا بعدك . قال : لا أجد من أستخلف إلا الغلام الذى جاءنى بتلك الأموال ، و أدى الأمانة فيها . قال : فاستخلفها الملك عليهم ، و مات . قال : فجاء أهل المدينة ، فملكوها عليهم و هم لا يشكون إلا أنها رجل . قال : فلما استمكنت من الملك ، و استوثقت لها الأمور ، و اجتمع فى مجلسها أشرافهم و كبراؤهم ، قالت لهم : يا قوم ! اسمعوا ما أقول لكم ، ليذهب كل رجل منكم فيهيئ ابنته و أخته فى أحسن زى و أجمله حتى اختار لنفسى منهن واحدة . قال : فجعل كل رجل منهم يذهب إلى بيته فزين ابنته و أخته رغبة فى الملك ليكون صهره . قال : فلما دخلن عليها متزينات بأنواع الزينة ، قامت فدخلت بيتها و أرخت ذوائبها ، ثم خرجت إليهن ، فنظرن إلى امرأة لم ينظرن إلى مثلها قط حسنا و جمالا و بهاء و كمالا و عقلا وافرا . فقالت : اسمعن[2] ما أقول لكن . قلن لآبائكن : إنى لست أرضى أن تكون ملكتكم امرأة ، لأنه جاء فى بعض الأخبار : « لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة » و المرأة لا يجوز لها أن تخطب على منبر ، و لا تصلى بالرجال إماما . فذكرت البنات لآبائهن ذلك ، فلما بلغ الرجال أمرها قالوا : نحن نرغب

(١) فى الأصل : فقالوا .

(٢) فى الأصل : اسمعوا .

Marfat.com

فيها أكثر مما نرغب فى غـــيرها لحسنها و جمالهـا و أمانتها . فأرسلت الأكابر تخطبها بعد أن ملكوا عليهم ملكا رضوه لأنفسهم . فقالت: إنى امرأة متزوجة بزوج ، و لا يحـل لى أن أتزوج بأحد / حتى تثبت ٤١/ب لى وفاته أو طلاقه ، و رجعت إلى كوخها ، و أقبلت على عبادة ربهـا حتى شاع خبرها فى الناس أنها مستجابـــة الدعوة فى المرضى و الزمنى و غيرهم .

قال وهب بن منبـه : و بلغنى أن زوجها لما قدم من سفره بعد مدة طويلة ، سأل أخاه عنها . قال : و كان أخوه [1] قد ابتلاه الله تعالى عقوبة بما صنع بزوجة أخيه ، و كان قد شلت يده ، و عمى بصره . قال: يا أخى! إن زوجتـك زنت فرجمت و ماتت ، فبكى زوجها حزنا عليها ، و تعجب من عقلها و دينها ، كيف أقدمت [2] على الزنى حتى رجمت . ثم إنه لمـا بلغه خبر المرأة المستجابة الدعاء ، فقال: يا أخى ! بلغنى أن فى جزيرة من جزائر البحر امرأة مستجابة الدعوة ، فهل لك أن أحملك إليها ، فلعل الله تعالى أن يمن علينا بعافيتك و برئك بدعائها؟ قال: افعل يا أخى ! قال : فحمل أخاه و سار فـــنزل منزل الأعرابى ، فأخبره بخبر المرأة و أنـه ماض بأخيه إليها لتدعو له . فقال الأعرابى: ولى عبد قد ابتلى ، و قصدى حمله [3] معكم . فساروا إليها ، فنزلوا منزل

(١) فى الأصل : اخاه .
(٢) فى الأصل : قدمت .
(٣) فى الأصل : احمله .

أبى المصلوب ، ذكروا له أنهم سائرون [1] إلى امرأة مستجابة الدعوة تدعو لمرضاهم لعلهم أن يتعافوا . فقال أبو المصلوب : و إنى سائر معكم بولدى المبتلى تدعو له . فساروا حتى نزلوا بموضع كوخ المرأة . قال : فنظرت من كوخها ، و إذا هى بزوجها و أخيه [2] ، فخنقتها العبرة ، فتقدم إلى الكوخ و قال : أيتها المرأة الصالحة ! إن أخى قد ابتلى و أريد الدعاء له . فقالت و هى وراء حجاب : إن أخاك هذا قد ارتكب معصية عظيمة ، و قد ابتلاه الله بسوء عمله ، فليقر بما كان منه ، فان الله تعالى سيعافيه إن أقر و اعترف بذنبه . فقال زوجها لأخيه : أقر [3] يا أخى بما فعلت حتى يعافيك الله تعالى . فقال : اعلم يا أخى أن معصيتى التى تذكر هذه المرأة أن زوجتك أراوانية من خيار النساء عقلا و جمالا و عفة ، و إنى راودتها عن نفسها فأبت على ، فظلمتها و أقمت عليها شهود زور شهدوا عليها بالزنى فرجمت و ماتت . فقال : يا أخى ! بئس / ٤/الف
و الله ما صنعت ، ما [4] رعيت حق ، و لا حفظت وصيتى ، و لا راقبت الله فيما صنعت ، و أنت أخى لأبى و أمى ، و لكن عفا الله عما سلف ! ثم قال : أيتها المرأة المباركة ! ادعى له . قال : فدعت له فأبصر من العمى ، و صح من الشلل . ثم قام الأعرابى سيد العبد فقال : أيتها

(١) فى الأصل : سائرين .
(٢) فى الأصل : و أخاه .
(٣) فى الأصل : قرّ .
(٤) فى الاصل : اما .

Marfat.com

المرأة الصالحة ! انظرى فى أمر عبدى هذا فانه عمى . فقالت : يا أعرابى ! إن عبدك هذا قد ابتلاه الله بذنبه ، فان أقر بذنبه ، رجوت له من الله العافية . فقال له الأعرابى : ويحك ! [أيها] العبد ! اصدق لعلك[1] تبرأ ، فقال : يا مولاى ! إنى راودت تلك المرأة التى كانت فى منزلنا ، و طلبت أن أنال منها الفاحشة ، فأبت على ، فعمدت إلى ابنك فذبحته ، و جعلت السكين تحت رأسها ملطخة بالدماء ، و قلت : لعلك إن تقتلها بولدك فأستريح[2] منها ، فقال : يا عبد السوء ! و أنت الذى قتلت ولدى ، فالحمد لله الذى عفوت عن تلك المرأة البريئة ، و إلا كنت قتلتها ظلما ! فقال : يا سيدى ! اعف عنى يرحمك الله ! فقال الأعرابى : ادعى له أيتها المرأة الصالحة ! فقد عفوت عنه ، فقالت : اللهم ! رد عليه بصره كما أقر بذنبه ، فارتد بصيرا ، ثم أقبل أبو المصلوب على المرأة و قال : أيتها المرأة ! هذا ابنى قد أصابه العمى ، فارحميه و أعينيه بدعوة ، فقالت : نعم ، إن ابنك هذا قد جنى جناية منكرة ، و غدر غدرا فاحشا ، فان صدق الله و أقر بجنايته و غدره رجوت له العافية . فقال الابن : يا أبت ! إنها و الله صادقة فيما قالت ، و خياتى و غدرى أن المرأة التى أدت عنى أربعمائة درهم و أنزلتنى من الصلب و أنقذتنى من الهلاك بوزنها الخراج عنى ، عشقتها ، راودتها بكل مجهودى ، فأبت على ، و غاظنى ذلك من فعلها ، فبعتها من أهل السفينة ، فلما ساروا بها عميت و صارت / الدنانير التى ٤٢ / ب

(١) فى الأصل : لعل .

(٢) فى الأصل : استريح .

Marfat.com

قبضتها منهم فى ثمنها حجارة ، فهذه خيانتى و غدرى . فقالت : اللهم ! كما صدق و أظهر ذنبه فهب له بصره ، قال : فقام بصيرا . و كان ذلك بمحضر من ملك تلك الجزيرة التى ولوه أهلها عليهم بعد أن نزلت هى عن الملك بمحضر أرباب دولته . فتعجبوا من فعلها ، و أقروا بفضلها و قبول دعائها .

ثم إنها دعت[1] بزوجها ، و كشفت وجهها ، حتى[2] رآها الحاضرون[2] كلهم ، و قالت لزوجها : هل ترى منى شبها[3] لامرأتك ، تلك المظلومة المرجومة التى كان اسمها أروانية ؟ فقال الزوج : كأن و الله أنفك كأنفها و حاجبيك كحاجبيها ، و نغمتك كنغمتها ، و لو لا أنها رجمت و ماتت لأخذت بيدك ، و قلت : أنت هى زوجتى[4] . فقالت : و أنا و الله زوجتك أروانية ! ادن منى فانك بعلى و أنا زوجتك التى ظلمونى و رجمونى ، و قالوا : إنى مت ، و تركونى و فىّ رمق ، و هذا الأعرابى الذى أخرجنى من الحفرة ، و ذهب بى إلى منزله و داوانى و آوانى ، و قالت : قد سمعت براءتى ممن ظلمنى ، و إنى من حين سافرت لم أنسك[5] و لم أخنك ، و الله تعالى شاهد علىّ بذلك فله الحمد و المنّة ، و انقضى زمن المحنة . و أخبرته

(١) فى الأصل : ادعت .
(٢-٢) فى الأصل : راوها الحاضرين .
(٣) فى الأصل : شبه .
(٤) فى الأصل : زوجتك .
(٥) فى الأصل : لم انساك .

Marfat.com

الخبر جميعه بمحضر الملك و أرباب دولته ، فعظموا أمرها . و طلبوا منها الدعاء ، و أمر لها الملك بمال جزيل فقبضته ، و انصرف بها زوجها من ساعته إلى قريته ، و عاشا فى نعمة الله و فضله إلى أن ماتا رحمة الله عليهما ، آمين .

[عود إلى قصة القبرسى و حملة طرابلس -[1]] ٥

فلنرجع إلى ذكر ما قيل فى قدوم القبرسى لعنه الله بمراكبه إلى مينة طرابلس الشام بسبب الجهاد لأهلها و الغزاة فيهم ، فكثرت الأقوال فيما قيل فى أمرهم ، كما تقدم[2] ذكر بعض تلك الأقوال ، و سنذكر بقيتها إن شاء الله تعالى .

و منهم من قال : إن الأمير جرجى[3] وقف على ساحل طرابلس و معه الجيوش الإسلامية ، فأرسل القبرسى من مراكبه و هى بالمينة مرسية قارباً ، فغرز[4] من فيه / رمحا فى البحر فيه ورقة و رجع إلى المراكب ، ٤٣/ الف فخرج قارب المسلمين من الساحل أخذها و أتى بها إلى الأمير جرجى ، و إذا فيها : أما بعد ، فان مراسيمنا الشريفة برزت بعدم إحراق طرابلس ، و لو اقتضت مراسيمنا الشريفة ذلك فعلناه . و لكن البلاد بلادنا و القدس قدسنا ، فان مكنتمونا من بلادنا فنحن و إياكم على العهد

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .
(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٤ و ما يتلوها .
(٣) انظر حاشية بشأن هذا الاسم فيما سبق (راجع الفهارس) .
(٤) كذا فى الأصل ، و الكلمة بلغة العامة فى مصر و يقابلها « غرس » بمعنى أنه ألقى الرمح فى الماء .

و الصلح ، و إن لم تمكنونا فبيننا و بينكم السيف ، و مع ذلك يعطى الله النصر لمن يشاء من عباده .

فكتب له الأمير جرجى يقول فى الجواب : أما قولك : برزت مراسيمنا الشريفة ، فهذا الكلام لا يصدر إلا عن سلطان ذى[1] رأى ، و أما أنت فلص من لصوص النصارى و لست بسلطان ، فلو كنت سلطانا أقمت بالإسكندرية ، و ناضلت عنها حين ظفرت بها ، بل هربت بسرعة ، و الهروب من شأن اللصوص ، بل حوصلت و طرت . و أما قولك البلاد بلادنا ، فالأمر غير ذلك ، لأن البلاد بلاد الله يورثها من يشاء من عباده ، و العاقبة للمتقين . و أما قولك القدس قدسنا ، فحاشا لله أن يكون القدس لك ! لأنك رجس نجس ، و القدس طاهر مطهر ، و ما ينبغى للرجس النجس الكافر المشرك أن يكون مجاورا للطاهر المطهر . و أما قولك : السيف بيننا و بينكم ، فتفقد عسكرك كم خرج منه من قتيل و جريح و رهين ، و لم يكن بطرابلس الآن مقاتل[2] لك غيرى . و أنا أقل مماليك السلطان ، فانزل و قاتلنى بما معك و معى .

و طوى الكتاب ، و رد فى القارب إلى الرمح فربط فيه و رجع . فأتى قارب القبرسى أخذه ، فلما وقف الملعون على هذا الجواب المسكت ، حصل له الفرق ، و غص بريقه و انخنق ، و لم يجد لما سمعه جوابا ، و لا اتجه له عنه خطابا ، فالأجوبة المسكتة مبهتة يعجز عن رد جوابها

---

(١) فى الأصل : ذو .

(٢) فى الأصل : مقاتلا .

Marfat.com

المنطيق ، لعجزه عما لا يطيق . قال الله تعالى[1] : " فبهت الذى كفر " .

[من قصص موسى و فرعون - [2]]

و سأذكر لمعا منها إن شاء الله تعالى . قال أمير المؤمنين المأمون[3] :

/ ما أعيانى الا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم الرياشين[4] أعزيها عن ابنها ، ٣٤ / ب
فقلت : لا تأسى عليه ، و لا تحزنى لفقده ، فان الله عز و جل ٥
قد أخلف لك ولدا يقوم مقامه فما كنت تبسطين إليه فلا تنقبضى عنى به .
فبكت و قالت : يا أمير المؤمنين ! و كيف لا أحزن على ولد أكسبنى
ولدا مثلك ؟ ثم قال : و أتيت[5] برجل تنبأ فقلت له : من أنت من
الأنبياء ؟ قال : موسى بن عمران . فقلت : موسى ! ويحك ! كانت له
آيات و دلالات بان بها أمره ، منها أنه ألقى العصا فابتلعت كيد السحرة ، ١٠
و منها إخراجه[6] يده من جيبه و هى بيضاء - و جعلت أعدد عليه
ما أتى به موسى من دلائل النبوة ، و قلت له : إن أتيتنى بشىء من
علاماته أو آية من آياته ، كنت أول من آمن بك ، و إلا قتلتك ،
فقال : صدقت يا أمير المؤمنين إلا أنى أتيت بهذه العلامات فرعون

---

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٥٨ .

(٢) عنوان القصة المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش .

(٣) المأمون خلافته ١٩٨/٢١٨ هـ = ٨١٣/٨٣٣ م .

(٤) أغلب الظن أن المقصود بأم الرياشين زبيدة زوجة الرشيد وهى أم الأمين .

(٥) فى الأصل : و أوتيت .

(٦) الكلمة ساقطة من النص وواردة بالهامش .

Marfat.com

لما قال : أنا ربكم الأعلى ، فان قلت أنت مقالته أتيتك من العلامات و الآيات مثل ما أتيته به . قال المأمون : فقلت : هذا نبى يصلح للنادمة . و سأذكر الآن ما أتى به موسى من العلامات و الآيات لفرعون ، و أعود إلى ذكر الجواب الثالث إن شاء الله تعالى قوله تعالى[1] لموسى و هارون عليهما السلام : " اذهبا الى فرعون انه طغى " .

قال الكسائى : أى فى القول و الفعل[2] ، و لا يعجبنكما زينته و تكبره ، فانما[3] أزوى الدنيا عن أوليائى كما يزوى الراعى غنمه عن مواضع الهلكة ، " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " ، فقولا له " انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل و لا تعذبهم " أى بالبنيان و نقل الحجارة و استخدام البناء و غير ذلك . و كانت هذه المخاطبة لموسى وحده / الف / و الرسالة لأخيه ، و لذلك تباطأ فى المخاطبة للرسالة ، و إنما أحب أن يشرك أخاه هارون بقوله " هو افصح منى لسانا فارسله معى ردا يصدقنى انى اخاف ان يكذبون[4] " فأعطى الله موسى جميع ما طلب ، و كان سبب طلب موسى اشتراك هارون معه فى الرسالة أن موسى لما وضعته أمه خافت عليه من الذباحين الذين أمرهم فرعون بذبح الأبناء ، فخافت عليه الذبح ، و ما علمت أن العناية تحوطه من خلفه و من بين يديه ، فألقى فى قلبها

---

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٤٣ .

(٢) فى الأصل : العقل .

(٣) فى الأصل : فانه .

(٤) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٣٤ .

Marfat.com

رميه فى النيل ، فجعلته فى تابوت من خشب و ألقته[1] فى النيل ، فساقته المياه بأمر الله إلى منظرة آسية امرأة فرعون ، و كانت على الماء ، فأمرت برفع التابوت إليها ، فلما فتحته إذا بوجه دونه الهلال ، قد لبس حلّة الدّلال ، فألقى الله تعالى حبه فى قلبها ، و عرضته على المرضعات فلم يقبل لأن فاه قد ختم عليه بقفل ، " و حرمنا عليه المراضع من قبل " إلى أن سلّم ٥ إلى سليمة من فراقه ، و قيل هذا وعدنا السالف لك بتلاقه ، يا من يئست من ضمه و عناقه ، اسمعى خطاب الطرب ، " فرددناه الى امه " ، فلما فطمته أمه من الرضاع ساقته لآسية ، فسرت به و أدخلته إلى فرعون ، فأقبل عليه و أجلسه فى حجره ، فأغفله موسى و أدخل يده فى غصن من أغصان لحية فرعون و جبذ فخرج الغصن فى يده و سال الدم على ١٠ حجره ، فقال علىّ بالذباحين ! فهذا هو الذى خوّفت منه . فجعلت آسية تتطارح عليه و تقول : " قرت عين لى و لك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا " . ثم قالت له : هو رضيع لا عقل له ، و إن شئت أريتك البرهان ، اجعل بين يديه تمرة و جمرة ، فان أخذ الثمرة و ترك الجمرة /فاذبحه فهو عاقل ، و إن أخذ الجمرة و ترك الثمرة فاعذره . و كان ١٥ ٤٤ / ب فرعون لا يأخذ أحدا إلا ببرهان ، فلما جعل الثمرة و الجمرة فى الأرض ، فبادر موسى للثمرة ، فضجت الملائكة إلى الله تعالى ، فارسل الله تعالى جبرائيل عليه السلام فحجب الثمرة بجناحه ، فأخذ الجمرة و أهوى بها إلى فيه ، فاحترق لسانه ، فبكى فسكن غيظ فرعون – انتهى .

و سأذكر الآن إشارة ، و هى عجب[2] و أى عجب لجعل النار بردا ٢٠

---

(١) فى الأصل : ألقت (٢) فى الأصل : عجبا .

Marfat.com

و سلاما على إبراهيم الخليل و يحترق بالجمرة لسان موسى الكليم ! قيل إن الخليل أعرض عن الأشياء كلها حتى عن جبرائيل و إسرافيل و ميكائيل ، و نادى ربه بلا واسطة . و الكليم كان صغيرا عند فرعون ، فربما جرى على لسانه مرة ذكر فرعون ، فسلط عليه النار لذكره من سواه . ألا ترى أن يده لم تحترق لأنها كانت فى مقام المجاهدة لأنه أخذ بها لحية فرعون ، و ضرب وجهه فحُمّ من تلك الضربة ثلاثة أيام ، و جرى قصة الثمرة و الجمرة . و قيل يا موسى ! إزالة الفطنة تزيل عنك المحنة ، قد عصمت يدك من النار لأنها جاهدت العدو "و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[1]" و جوزى اللسان باحراقه لأنه ذكر من جرى القدر بانحرافه لم لم تحترق[2] شفتاه ؟ لأن ملك الكلام هو اللسان ، و كانت العقوبة له لا للشفتين[3] بمنزلة البوابين ليس عليها عقاب - شعر :

و فى العقوبة تهذيب تطهره من كل وجه دنى جل أو صغرا
و المندل الرطب لو لا النار تحرقه ما استنشق الناس عرفا منه مستترا[4]

فكان طلب موسى اشتراك هارون فى الرسالة بسبب إحراق لسانه بالجمرة بقوله "هو افصح منى لسانا" / ثم إن موسى سار بزوجته بنت نبى الله شعيب إلى أخيه هارون بمصر . فالتقاه و تعانقا و تباشرا فى الشركة فى

٤٥ / الف ١٥

---

(١) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٦٩ .
(٢) فى الأصل : لم تحرق .
(٣) فى الأصل : الشفتين .
(٤) الكلمة ساقطة من الأصل وواردة بالهامش .

Marfat.com

الرسالة . ثم أقبلا يريدان أمهما ، فذكر لها موسى كيف خرج من مدين مع زوجته بنت نبى الله شعيب ، و كيف صيره الله رسولاً ، و كيف سأل ربه أن يشرك بينه و بين أخيه هارون فى النبوة و الرسالة ، فخرت أمهما ساجدة . ثم خرج موسى يطلب دار فرعون ، فلما صار إلى بابه و الحجاب و الجنود كلهم وقوف ، فتقدم موسى فقرع باب فرعون ٥ بعصاته ، فانفتح و دخل موسى إلى القصر ، و كان له تسعة أبواب . و لم يزل كذلك حتى أتى قبة فرعون و لها أربعة أبواب مصفحة بصفائح الذهب فقرع موسى الباب فانفتح ، و كان موسى يقرع الباب بعصاته و يقول : باسم الله الفتاح ! فينفتح الباب . فلما فتح موسى القبة رأى فرعون نائما على كرسيه ، و كان جبريل حمل هارون إلى عند ١٠ فرعون قبل إتيان موسى . فلما رأى هارون موسى قام إليه و قال : يا أخى ! قد عجلت فانصرف الآن حتى ندبر كيف نلتقى به فى غير هذا الوقت . فانصرف موسى ، و انغلقت الأبواب . فلما كان من الغد سار موسى إلى باب فرعون و القوم ينظرون إليه ، فمنهم من عرفه ، و منهم من أنكره لأنه غاب فى مدين عشر[1] سنين يرعى غنم شعيب ، فدخل وزير من ١٥ وزراء فرعون فقال : أيها الملك ! رأيت على بابك رجلا فأنكرته فسألت عنه ، فقيل هذا موسى بن عمران . فلما سمع فرعون به تغير لونه و ارتعدت فرائصه ، ثم قال : و ما صفته ؟ فقال : هو رجل طويل حسن الوجه حديد النظر / كبير اللحية عليه جبة من الصوف و فى يده عصا حمراء طويلة ٤٥ / ب

(١) فى الأصل : عشرة .

و فى رجليه نعلان مخصوفتان . فأقبل فرعون إلى هامان و قال له : اخرج و انظر إليه و اسأله عن اسمه . فخرج هامان فنظر إليه فعرفه فقال : خذوا هذا الرجل حتى يأتى أمر الملك . ثم أمر بحبسه ، و أقبل إلى فرعون و قال له : هو موسى و قد حبسته . فالتفت فرعون الى هارون و كان بجالسه و قال له : كيف قدم أخوك و لم تعلمنى به ؟ قال : أيها الملك ! خشيتك[1] ، و الآن فها هو بين يديك . فسأله لأى حال قدم من أرض مدين . قال : قدم إلى وطنه . قال : فأمر فرعون باظهار زينته ، و جلس على سريره ، و وقف الوزراء عن يمينه و شماله ، و وقف هارون عن يمينه و فى يده عمود من ذهب أحمر . ثم أرسل إلى موسى فأحضر بين يديه . و قد شاع خبره بمصر ، و فزع[2] إليه[3] بنو إسرائيل ، فلما سار موسى إلى قبة فرعون قال : اللهم ! إنى أعوذ بك من شره ، و أستعين بك عليه ، فاكفنى أمره ، إنك على كل شىء قدير . ثم وقف بين يديه ، فلما نظر إليه فرعون عرفه و قال له : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله و رسوله . قال فرعون : أنت عبدى و ابن عبدى و ابن أمتى . قال موسى : إن الله أعز من أن يكون له ند . قال فرعون : أنت رسول إلى من ربك ؟ قال موسى : نعم ، إليك و إلى جميع أهل مصر . قال فرعون : فما ذا أرسلك ؟ قال موسى : بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أن موسى عبده و رسوله . قال فرعون : فما بينك ؟

---

(١) فى الأصل : خشيته .

(٢) فى الأصل : و فزعت .

(٣) فى الأصل : عليه .

فان

فان لكل مدع بينة ، و لا أقبل قولك إلا ببينة يشهد لك بها قلبى ، و يعرفها كما أعرف هامان وزيرى . فقال موسى : إن[1] أتيتك ببينة تؤمن بى ؟/ قال : نعم . قال موسى : يا هارون ! بلغه الرسالة بالشهادة . ٤٦/ الف فقال هارون يا فرعون " انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسراءيل و لاتعذبهم " بالاستخدام ، و " قد جئناك بآية من ربك" . فتحير فرعون ٥ لأنه كان عنده أن هارون لا يشهد لأخيه موسى لاختصاصه به و مكانه منه . فقال فرعون : و من ربكما يا موسى؟ " قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى[2] " - الآية إلى آخرها ، و فى كل ذلك يقول هارون : صدقت يا أخى موسى ! فغضب فرعون و قال : يا هامان ! اخلع لباس هارون حتى يذوق الذل و الهوان ، و كان عليه لباس فاخر[3] ، ١٠ فسلبه هامان جميع ما كان عليه حتى بقى فى سراويله . فنزع موسى مدرعته فألبسه إياها . ثم أقبل فرعون على موسى و قال له: " ألم نربك فينا وليدا و لبثت فينا من عمرك سنين و فعلت فعلتك التى فعلت[4] " - يعنى قتلت القبطى؟ قال : بلى " فعلتها اذا و انا من الضالين ٥ " عن التوبة " ففررت

---

(١) فى الأصل : انى .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٥٠ .

(٣) فى الأصل : لباسا فاخرا .

(٤) أغلب هذه المستخرجات من « سورة الشعراء » (انظر القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ١٩ و ما قبلها و ما يليها .

Marfat.com

منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما و جعلنى من المرسلين ٭" - يعنى إليك يا فرعون . ثم قال موسى : "و تلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسراءيل ٭" و جعلتهم عبيدا لك تذبح أبناءهم و تستحيي نساءهم ، تريد تذكرنى إحسانك و تنسى إساءتك إلى بنى إسرائيل و هم عبيد رب العالمين .

٥ و كان متكئا فاستوى جالسا وقال : "و ما رب العلمين ٭ "؟" قال رب السمٰوٰت و الارض و ما بينها ان كنتم موقنين ٭" . قال : فالتفت فرعون إلى من حوله و قال : "الا تستمعون ٭[1]" - يعنى إلى ما يقول موسى . قال موسى : "ربكم و رب اٰبائكم الاولين ٭" . قال فرعون "ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ٭" / فقال موسى : "رب المشرق ٤ / ب
١٠ و المغرب و ما بينهما ان كنتم تعقلون ٭" . قال فرعون : يا موسى "لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ٭" . قال موسى : "او لو جئتك بشيء مبين ٭ قال فات به ان كنت من الصادقين ٭" قال : فاضطربت العصا فى كفه ، فقال جبريل : ألقها يا موسى ! فألقاها فاذا هى حية تسعى ثعبان عظيم ، و كانت على مثال الجمل ، و قامت على رجليها ، و صارت تبتلع
١٥ الصخر الذى فى دار فرعون بعد هدمها للدار بكلكلها ، ثم تنفست فى الخزائن و البيوت فالتهبت ، ثم عطفت على قبة فرعون . و فيها ثلاثمائة و ستون خوخة فضربتها بذنبها فطحطحتها ، و جعلت لا تمر بشيء إلا ابتلعته ، ثم جعلت تهيج كما يهيج الشارد من الإبل ؛ و لها صوت كصوت الرعد القاصف ، و الناس يهربون منها يمينا و شمالا . ثم أقبلت الحية إلى فرعون تريده ،

---

(١) فى الأصل : تسمعون .

Marfat.com

فلما رآها تقصده، وثب قائما على سريره، و رمى بنفسه عن السرير. و كان فرعون يومئذ أعرج، فجعل يعدو بعرجته، و الحية أخذت بذيله، فقال: يا موسى! بحق التربية، و بحق الرضاعة، و بحق آسية بنت مزاحم، و كانت ربت موسى، الا ما خلصتنى من هذه الحية. فصاح موسى بالحية يا صافور! فالتفتت و أقبلت نحوه كالكلب المستأنس بصاحبه، فأدخل موسى يده فى فيها، و قبض على لسانها: فاذا هى عصا كما كانت أول مرة باذن الله تعالى. فلما نظر فرعون إلى ذلك، رجع إلى سريره و قال: يا موسى! لقد تعلمت فى سفرك سحرا عظيما. فقال موسى: أ سحر هذا! "و لا يفلح السحر حيث اتى". قال فرعون: فهل عندك شىء غير هذا؟ قال موسى: نعم، و أدخل يده فى جيبه، ثم أخرجها و عليها شعاع كشعاع الشمس لقوله تعالى[1]: "فاذا هى بيضاء للنظرين" فأقبل فرعون على قومه و قال: "ان هذا لسحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره، فما ذا تامرون[2]". قال له قومه: "اتذر موسى و قومه ليفسدوا فى الارض و يذرك و الهتك"، يعنى انظر فى أهل مصر، قال فرعون: /فما الذى عندكم؟ أى من الرأى. قالوا: الرأى عندنا أن يرحل[3] بنو[4] إسرائيل عن أرض مصر و تقتل موسى لكيلا يفسد علينا ديننا. فذلك قوله تعالى

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٠٨.

(٢) قرآن كريم سورة ٧ آية ١١٠ و فى العبارة اقتباس مع التصرف من آى سورة الأعراف. ٤٧ / الف

(٣) فى الأصل: ترحل.

(٤) فى الأصل: بنى.

Marfat.com

" انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد "[1] . فلما عزم فرعون على قتل موسى، أقبل إليهم حمويل بن حامل، و كان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم أيمانه، و قال: " اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم " و هى العصا و اليد البيضاء، "و ان يك كاذبا فعليه كذبه و ان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " به من العذاب . ثم أقبل عليهم أيضا فقال: " يقوم! لكم الملك اليوم " يعنى فى الأرض، و رؤيتكم آية الله فيجب عليكم أن تشكروه و لا تكفروه . ففزع فرعون من قول المؤمن، فقال المؤمن: "ما اريكم الا ما ارى و ما اهديكم الا سبيل الرشاد " يعنى الحق . ثم خوفهم بعذاب قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم، و أن الله أهلكهم بأنواع العذاب حين كذبوا رسله . ثم قال: و" يقوم انى اخاف عليكم يوم التناد "، يعنى يوم القيامة "يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم "[2] يعنى من مانع . فلما سمع فرعون كلامه غضب عليه و قال له: كأنك يا حمويل ممن يؤمن بهذين و ما هما عليه! فارجع عن ذلك و إلا عاقبتك بأنواع العذاب . قال حمويل: "مالى ادعوكم الى النجوة و تدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله و اشرك به ما ليس لى به علم و انا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعوننى

(١) قرآن كريم سورة ٤٠ آية ٢٦ .

(٢) قرآن كريم سورة ٤٠ آية ٣٣ .

إليه

Marfat.com

إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الأخرة وان مردّنا الى الله و ان المسرفين هم اصحٰب النار ۞ فستذكرون ما اقول لكم و افوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد ۞ " يعنى عند معاينة العذاب تذكرون نصحى . ثم قام من عند فرعون ، فلحق موسى و هارون و تبعهم ، فأقبل الملأ من قوم فرعون عليه ، فقالوا : أيها الملك ! إن هذين الرجلين لساحران ، فأرجئهما و ابعث فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم .

/ قال : فأمر بذلك كل من فى البلاد ، فاجتمع له سبعون ألف ٤٧/ب ساحر ، فاختار منهم سبعين[1] ساحرا لم يكن فى عصرهم مثلهم فى علم السحر . ثم بعث إلى موسى فدعاه ، قال : اجعل " بيننا و بينك موعدا لا نخلفه نحن و لا انت مكانا سوى ۞ " فقال موسى : " موعدكم يوم الزينة " . فلما كان اليوم ، اجتمع الناس من أطراف أرض مصر ، و أتى السحرة فقالوا لفرعون : " ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۞ قال نعم و انكم لمن المقربين ۞ " يعنى عندى . و خرج فرعون إلى ذلك الوادى ، و قد فرش جميعه بالزينة و أنواع الفرش ، و نصبت له الأسرة و الكراسى ، و أرسل إلى موسى فأحضره ، فأقبل موسى و معه هارون ، فرأيا الوادى مملوءا بالرجال و النساء ، و رأيا وسط الوادى قد امتلأ من الحبال و العصى ، و كانوا قد جعلوا بين كل حبلين أبيضين عصوين[2] سوداوين ، و بين كل عصوين[2] سوداوين حبلين أبيضين . فوقف موسى و هارون بينهم ، و قال موسى : أيها السحرة ! " لا تفتروا على الله كذبا

(١) فى الأصل : سبعون .
(٢) فى الأصل : عصاوين .

فيسحتكم بعذاب "، معناه يهلككم. "و قد خاب من افترى ٭"، يعنى خسر من كذب.

و كان فى جملة السحرة ساحران عظيمان فى السحر، يقال لأحدهما درام و الآخر ربات، فتقدما و هما رأسا السحرة فقال: "يٰموسى اما ان تلقى و اما ان نكون اول من القى ٭ قال بل القوا". و أحب موسى أن يرى فرعون السحرة فى حبس العصا، و كانوا قد أداروا الأحبال، فهمّ موسى أن يلقى عصاه، فمنعه جبريل و ألقى على لسانه "بل القوا". فلما ألقوها سحروا أعين الناس. قال الله[1] تعالى: "فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ٭" يعنى تمشى. قال الله تعالى[2]: "و جاءوا بسحر عظيم ٭" و امتلأ الوادى من الحبال و العصى، و جعل بعضها يدور على بعض، ثم "قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغٰلبون ٭" "فأوجس فى نفسه خيفة موسى ٭ قلنا لا تخف انك انت الاعلى ٭ / و الق ما فى ٤/ الف يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر و لا يفلح السٰحر حيث أتى ٭". "قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٭". و ألقى موسى عصاه، فصارت ثعبانا[3] لها سبعة أرؤس كل رأس منها أعظم ما كان من قبل، و صار على

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٦٦.

(٢) فى هذا الموضع خلط بين أجزاء من سورة الشعراء (انظر سورة ٢٦ آية ٤٤) و سورة طه (انظر سورة ٢٠ آية ٦٩).

(٣) فى الأصل: ثعبان.

Marfat.com

ظهرها مثل الأسنة . ثم إنها أكبت على حبالهم و عصيهم ، فابتلعتها عن آخرها ، و ابتلعت جميع ما كان فى الوادى من زينة فرعون ، و مضى فرعون و وزراؤه [حتى] وقفوا على موضع عال ينظرون إلى ما تفعل الحية و هم خائفون على أنفسهم منها . ثم حملت الحية على سبعين رجلا من كبارهم ، فولوا هاربين ، و حملت على الساحرين رأسى[1] السحرة فلحقا جميعا حتى لحقا بغيرهم من السحرة ، فقال أحدهما و كان أعمى : هل كبر بطن الحية بما أكلته من الحبال و العصى و الزينة ؟ فقال : له صاحبه : ما زاد بطنها و لا نقص . فقال : ما هذا سحر . ثم خرت السحرة بأجمعهم ساجدين ، و " قالوا امنا برب العلمين رب موسى و هرون " فعند ذلك اغتم فرعون و قال : إن الغلبة لموسى علىّ . فقال للسحرة : " امنتم له قبل ان اذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم و ارجلكم من خلاف و لا وصلبنكم " . و أمر بصلب القوم أجمعين . فعندها قالت السحرة : " لن نؤثرك على ما جاءنا من البينت و الذى فطرنا فاقض ما انت قاض إنما تقضى هذه الحيوة الدنيا ۞ انا امنا بربنا ليغفرلنا خطيئنا و ما اكرهتنا عليه من السحر و الله خير و ابقى ۞ " ثم صلبوا على سبعين جذعا بعد قطع الأيدى و الأرجل من خلاف .

قال ابن عباس : كان هؤلاء السحرة فى أول النهار مع فرعون سحرة ، و فى آخر النهار فى الجنة بررة . ثم أمر فرعون هامان أن يبنى

(١) فى الأصل : رأسا .

Marfat.com

له صرحا - يعنى قصرا مشيدا ، قال : لعلى أبلـغ [1]أطراف السماء[1] ،
٤/ب / " فاطلع الى الـه موسى". قال : فجمع هامان ألف بناء و صانع ، و كانوا
قوما يطبخون الآجر و ينقلون الحصى ، و قوم ينقلون الخشب ،
و آخرون يضربون المسامير فى الأبواب ، فلما عزموا على البناء ، خرج
٥ إليهم فرعون على فرسه الكفاح و وزراؤه [2] عن يمينه و شماله ، و أمرهم
بالبناء ، و كانوا يبنون الليل و النهار لا يفترون حتى ارتفع البناء و علا
القصر فى الهواء ارتفاعا عاما ما انتهى إليه بناء أحد . فاشتد ذلك على
موسى و هارون لأن بنى إسرائيل كانوا معذبين فى بنائه . فأوحى الله
تعالى إلى موسى عليه السلام أنى سأهـدم ما بناه فرعون فلا تعجل .
١٠ فلما انتهى البناء أمر الله عز و جل جبريل بهدمه ، فجعل جبريل أسفله
أعلاه و أعلاه أسفله ، و مات كل من فيه من الصناع ممن كان على
دين فرعون . و جعل المؤمنون يزدادون و يجتمعون إلى موسى
حتى [3] كثروا .

ثم إن الله تعـالى أخذ قوم فرعون بالآيات التسع ، فحبس عنهم
١٥ الغيث و أجدبت الأرض و ماتت المواشى . قال كعب الأحبار : فلما
كان بعد خراب الصرح ، و هو أول ما جاءهم بعد الجـــدب الطوفان

(١ - ١) كذا فى الأصل ، و فى القرآن الكريم سورة ٤٠ آية ٣٦ و ٣٧
" الاسباب * اسباب السمٰوٰت " .

(٢) فى الأصل : و وزرائه .

(٣) فى الأصل : حين .

Marfat.com

قدام عليهم ثمانية أيام بلياليها ، لا يرون فيها شمسا حتى امتلأت الأسواق و الدور بماء المطر . فخافوا الغرق والتجأوا إلى فرعون فقال : انصرفوا فأنا أكشف عنكم ذلك . ثم دعا موسى فسأله أن يدعو ربه يكشف عنهم ما نزل بهم من الرجز لقوله تعالى : " لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك " يعنى الطوفان " و لنرسلن معك بنى اسراءيل ٥ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى اجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ٥[1] " فأرسل الله عليهم الجراد فأكل زرعهم و أشجارهم و ثمارهم و أكل ما فى بيوتهم من المتاع حتى الأبواب الحديد . و دام عليهم[2] ثمانية أيام ، فشكوا إلى فرعون فوعدهم بصرفه . فدعا موسى و ضمن له أن يؤمن ، فدعا موسى فصرفه عنهم ، فلم يؤمن ، فأرسل الله / سبحانه و تعالى ريحا باردا فقتل الجراد ١٠ ٤٩ / الف حتى لم يبق بأرض مصر جرادة واحدة ، فلم يؤمنوا . فأرسل الله عليهم القمل ، فأكل جميع ما على وجه الأرض ، و وقع فى ثيابهم ، و كان كبيرها يقرضهم و يقرض أبدانهم و شعور نسائهم فيقطعها ، أهلكت فرشهم بأسرها ، فضجوا إلى فرعون ، فصرفهم و دعا بموسى و وعده بالإيمان ، فصرف الله تعالى عنهم جميع ما كان عليهم من القمل ، ١٥ فلم يؤمنوا و ازدادوا كفرا . فبعث الله عليهم الضفادع ، فكانت[3] أشد عليهم من جميع ذلك ، لأنها تقع فى طعامهم و قدورهم و ثيابهم

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٣٤ و ١٣٥ .
(٢) فى الأصل : عليه .
(٣) فى الأصل : فكان .

Marfat.com

و فرشهم ، و للضفادع رائحة منتنة ، فبقوا فى ذلك ثمانية أيام ، فشكوا إلى فرعون ، فدعا بموسى و ضمن له أن يؤمن به ، فدعا موسى ربه ، فأمات الضفادع ، و أرسل عليهم مطرا ، فأخرجهم إلى البحر فازدادوا كفرا . فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك النيل ، فضربه فتحول دما عبيطا [1] حتى إذا أخذه الإسرائيلى كان ماء ، و إذا أخذه الفرعونى كان دما عبيطا ، و دام عليهم ذلك ثمانية أيام حتى اشتد بهم العطش و الجهد ، و خافوا على أنفسهم و أولادهم و أهاليهم . فجاؤا إلى فرعون و قالوا له : انظر ما حل بنا . فقال لهم : سيروا إلى غدا [2] ، سأكشف عنكم هذا . فدعا بموسى و قال له : اكشف هذا و أنا أومن . فدعا الله تعالى ، فما ازدادوا إلا كفرا . قال موسى : يا رب ! أنت "آتيت فرعون و ملاه زينة و اموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم" : و دعا موسى ، و أمّن هارون على دعائه ، فأوحى الله تعالى إليهما : قد أجبت دعاءكما فاستقيما - يعنى على الرسالة . فطمس الله تعالى على كثير منهم / حتى احتجب [3] الرجال و النساء ، و صار الذهب ٤٩/ب حجارة . ثم إن الزوجين يصبحان [4] متعانقين و قد مسخا حجرا واحدا ،

(١) أى صافيا .

(٢) فى الأصل : غد .

(٣) فى الأصل : احتجبوا .

(٤) فى الأصل : يصبها .

Marfat.com

و الخباز يخبز و قد صار مع التنور حجرا، كل ذلك بأمر رب العالمين. فلم يؤمنوا فقال الله تعالى[1]: " و لقد اتينا موسى تسع ايٰت بينٰت ".

قال عمر بن عبد العزيز فى تفسيره: العصا و اليد البيضاء و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم حتى[2] صاردما عبيطا و الطمس و انقطاع النيل، ثم أخرج عمر بن عبد العزيز خريطة فيها دنانير و دراهم و جواهر و حنطة و شعير و أرز و حمص و عدس و ماش و لوبيا و غير ذلك، و قد مسخها الله حجارة فى وقت الطمس. فلما طغى فرعون و بغى، أتى جبريل إلى موسى، قال له: إن الله يأمرك أن ترحل ببنى إسرائيل عن ديار فرعون. فنادى موسى فى بنى إسرائيل بالرحيل فارتحلوا، و سار معهم موسى و هم[3] يومئذ ستمائة ألف من ذرية يعقوب عليه السلام، فسمع فرعون برحيلهم، فنادى فى قومه و هم ألفا[4] ألف و ستمائة ألف، و سار بهم حتى قرب من بنى إسرائيل، فقالوا: يا موسى! قد لحقنا فرعون و جنوده، و البحر أمامنا و ذلك البحر يسمى القلزم[5]. فقال موسى: " ان معى ربى سيهدين "، و دعا ربه فأوحى الله تعالى[6]

(١) قرآن كريم سورة ١٧ آية ١٠١.

(٢) فى الأصل: حين.

(٣) فى الأصل: هو.

(٤) فى الأصل: الفى.

(٥) فى الأصل: القلزوم.

(٦) قرآن كريم سورة ٢٦ آية ٦٣.

Marfat.com

"ان اضرب بعصاك البحر" فضربه فانفرق اثنى عشر طريقا ، فنجا[1] بنو إسرائيل ، فتبعهم فى تلك الطرق فرعون و جنوده إلى أن صاروا كلهم فى البحر ، فانطبق عليهم البحر فغرقوا جميعهم . فلما نجى الله تعالى بنى إسرائيل من الغرق قالوا : يا موسى ! نريد [أن -[2]] ننظر فرعون غريقا ، فألقى البحر فرعون على الساحل ، فنظروا إليه كالثور عليه بشت[3] من الذهب و الأمواج تضرب فيه فأيقنوا بهلا كه ، فنزعوا عنه البشت الذهب و غيره من ملبوسه ، و تركوه ملقى و مضوا ، فمضى بهم موسى عليه السلام إلى الموضع / الذى بعثه الله فيه رسولا ، و هو جبل الطور كما تقدم ذكر ٥٠/ الف مضيه[4] يقتبس النار ، فكان ذلك سبب نبوته و رسالته ، فأغنى تفصيل ذلك عن إعادته ، فلما [سار -[5]] موسى ببنى إسرائيل ، رأوا فى ممرهم قوما عاكفين على أصنامهم ، فقالوا : يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ٥ ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون ٥[6]" ، كيف تعبدون الأصنام و إن ربكم الذى خلقكم نجاكم من فرعون و جنوده بفلق الله تعالى لكم البحر و إغراق عدوكم و تقولون "اجعل لنا الها

---

(١) فى الأصل : فنجت .

(٢) ليست بالنص و تكتمل بها العبارة .

(٣) البشت أى العباءة ، و الكلمة مستعملة فى قرى مصر بهذا المعنى .

(٤) فى الأصل : مضيئه .

(٥) الكلمة ساقطة من الأصل ، و ورد بهامشه « لعله سقط سار » .

(٦) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٣٨ و ١٣٩ .

كما لهم "الهة"! ثم إن الله تعالى وعد موسى ثلاثين ليلة و أتمها بعشر[1]، فاستخلف موسى أخاه[2] هارون و مضى إلى جبل الطور ليسمع كلام ربه، فصنع السامرى فى غيبته العجل لبنى إسرائيل من حلى القوم، فخار العجل و صار له خوار. فقال لهم: "هذا الهكم و اله موسى". فمال إليه قوم كثير و امتنع قوم آخرون[3]. فاغتم هارون لذلك، و لم يمكنه التغيير عليهم خوفا أن يقتلوه. فلما رجع موسى بعد أربعين بالألواح التى فيها التوراة، و كانت[4] تلك من الزمرد الأخضر، و رأى ما صنع[5] بنو[6] إسرائيل من عبادتهم للعجل، ألقى الألواح من يده فتكسرت، و أخذ بلحية أخيه هارون و قال له: انى دعوت بنى إسرائيل إلى عبادة الله أربعين سنة، و ضيعتهم أنت فى أربعين يوما! قال: يا ابن أم! ارفق بى فأنى أكبر منك سنا، و"ان القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننى"، فاستحيى موسى و ضمه إلى صدره. ثم أقبل على السامرى و أخرجه من عسكره، و كسر العجل قطعا و أحرقه بالنار. ثم أقبل على بنى إسرائيل فقال: "انكم ظلمتم انفسكم با تخاذكم العجل"/ بعد عبادة الله تعالى، و بعد ما نجاكم ٥٠ / ب

(١) فى الأصل: بعشرة.

(٢) فى الأصل: اخوه.

(٣) فى الأصل: آخرين.

(٤) فى الأصل: وكان.

(٥) فى الأصل: صنعت.

(٦) فى الأصل: بنى.

Marfat.com

من فرعون . فقالوا : نتوب و لو أمرتنا بقتل أنفسنا لفعلنا ذلك . فأوحى الله تعالى[1] إلى موسى : يا موسى ! قد رضيت بحكمكم فى أنفسكم ، فقل لهم يفعلون ذلك إن كانوا صادقين ، فبلغهم موسى رسالة ربهم ، فقالوا : كيف نقتل أنفسنا ؟ قال : يا قوم ! من لم يعبد العجل يقوم إلى من عبد العجل فيقتله . فقام من لم يعبد العجل و فى أيديهم الخناجر إلى الذين عبدوا العجل ليقتلوهم[2] ، و أرسل الله عليهم الظلمة حتى لم يبصر بعضهم بعضا ، فكان الرجل يأتى إلى أخيه و ابنه و ابن عمه و نسيبه و هو لا يعرفه من شدة الظلمة ، و لم يزل يعمل الخناجر فى الذين عبدوا العجل حتى خاض[3] القوم فى الدم ، فضج النساء و الصبيان إلى موسى و قالوا : العفو العفو يا موسى ! فدعا الله تعالى بالعفو عنهم ، فلم تعمل الخناجر فيهم . و قبل الله توبتهم . فرفعوا الخناجر ، فرفعت الظلمة عنهم .

قال ابن عباس : كان عدة الذين عبدوا العجل مائتى ألف ، فقتل منهم سبعون ألفا كلهم استشهدوا ، و الباقون مغفور لهم . ثم أقبل موسى على بنى إسرائيل بالتوراة و قال : هذا كتاب ربكم فيه الحلال و الحرام و الأحكام و الحدود و الفرائض و السنن و الرجم للزانى المحصن و القطع للسارق و القصاص فى كل ذنب . فضجوا من ذلك و قالوا : لا حاجة لنا فى هذه الأحكام ، و ما فيه من عبادة العجل كان أوفق لنا ، و لم يكن

---

(١) فى الأصل : فامر الله تعالى فأوحى الله تعالى .

(٢) فى الأصل : فيقتله .

(٣) فى الأصل : خاضوا .

فى عبادته علينا قطع و لا رجم و لا قصاص . فقال موسى : يا رب ! إنك قد علمت أنهم ردوا كتابك ، و كذبوا بآياتك . فأمر الله الملائكة فرفعوا جبل طورسيناء فى الهواء على جميع بنى إسرائيل حتى لم يروا السماء ، و نودوا من الهواء : / إن قبلتم الكتاب و إلا ألقى الله عليكم هذا الجبل ! فقالوا : ٥١/الف سمعنا و عصينا . فجعل الجبل يدنو منهم حتى ظنوا أنه يسقط عليهم ، فظنوا أنهم يموتون[1] ، فخروا سجدا و هم بين ساخط و راض ، و كان سجودهم على حواجبهم و هم يلحظون[2] الجبل خوفا أن يسقط عليهم ، فلأجل ذلك يكون سجود اليهود فى صلواتهم على حواجبهم . فلما قبلوا الكتاب رد عنهم الجبل . قال الله تعالى[3] : " و اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة و ظنوا انه واقع بهم " - الآية . و كان موسى يقرأ عليهم فى كل سبت و يشرع لهم الأحكام ، فصاروا إلى طلب العكس ، و كثرت أموالهم - و قصة موسى مع فرعون و بنى إسرائيل طويلة ، فلنقتصر منها على هذا القدر .

عود إلى حكاية المأمون[4]

و لنذكر الآن الجواب الثالث الذى أعيى المأمون كالجوابين المتقدمين . و ذلك أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا عليهم .

---

(١) فى الأصل : يموتوا .

(٢) فى الأصل : يلحظوا .

(٣) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٧١ .

(٤) العنوان المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش .

Marfat.com

قال المأمون: وكنت أحمد مذهبه وأرضى سيرته، فوجهت إليهم أنى على القعود لكم فى غداة غد، فاختاروا رجلا تولونه المناظرة عنكم، فانى عارف بكثرة كلامكم. فقالوا: ما فينا من نرتضيه إلا رجل أطروش، فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك، فوعدهم الصبر عليه، وحضروا من الغد، فأمرت بادخال الأطروش، فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس. ثم قلت له: ما الذى تشكونه من عاملكم؟ فقال: يا أمير المؤمنين! هو شر عامل فى الأرض، أما فى أول سنة وُلينا فانا بعنا أثاثنا وعقارنا، وأما فى السنة الثانية بعنا ذخائرنا ومتاعنا، وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلداننا واستغثنا بأمير[1] المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول بالأمر بصرفه. فقلت له: كذبت لا أم لك! بل هو رجل قد حمدت[2] مذهبه، ورضيت سيرته وطريقته، واخترته لكم معرفة منى بقديم سخطكم على عمالكم، فقال: يا أمير المؤمنين! صدقت أنت وكذبت أنا، ولكن هذا العامل الذى ذكرت أمانته وعفته وعدله وإنصافه للرعية كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد التى قد ألزمك الله من العناية بأمورها مثل ما ألزمك من العناية بأمرنا، فاستعمله على هذه البلاد حتى يشملهم من العناية وعدله مثل الذى شملنا. فقلت له: قم فى غير حفظ الله ولا ستره فقد عزلته عنكم - انتهى.

٥/٥١ ب ١٠

فلنذكر الآن خبر أبى دلف العجلى مع المامون إن شاء الله. قيل أراد المأمون أن يوقع بأبى دلف قاسم بن عيسى العجلى، فقال: يا أبا دلف!

(١) فى الأصل: يا أمير. (٢) فى الأصل: احمدت.

قال

Marfat.com

قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : أنت الذى يقول فيك الشاعر المعروف بالعكوّك[1] :

إنما الدنيا أبو دلف عند باديه و محتضر
فاذا ولّى أبو دلف ولّت الدنيا على أثر

قال : لا تسمع هذا يا أمير المؤمنين ! فان ذلك شهادة زور ، و قول غرور ، و ملق محتاج ، و أصدق منه ابن أخت لى إذ يقول لى :

دعينى أجوب الأرض فى فلواتها فما الكرج الدنيا و لا الناس قاسم

قال : فطابت نفس المأمون بجوابه المسكت ، و « عجل » بطن من بكر بن وائل ، ثم من ربيعة أخى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فيقال لمن كان من قبيلة عجل : العجلى ، و كان أبو الحسين الشاعر الخراسانى المعروف بالعكوك هو الذى مدح أبا[2] دلف قاسم العجلى بالبيتين المتقدمين ، و عليهما زيادة بيتين آخرين و هما :

كل من فى الأرض من عرب بين باديه إلى حضره
مستعار منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فبلغ ذلك المأمون فغضب غضبا شديدا ، و تطلب العكوك المذكور ، فلما صار بين يديه قال له : يا ابن اللخناء ! أنت القائل فى مدحك / لأبى دلف العجلى « كل من فى الأرض من عرب » و أنشد البيتين ، ٥٢ / الف جعلتنا يا ابن اللخناء ممن يستعير المكارم من أبى دلف و الافتخار به .

(١) فى الأصل : بالكعوك ، و هذه صحتها و وردت كذلك فيما بعد .
(٢) فى الأصل : أبو .

Marfat.com

قال : يا أمير المؤمنين ! أنتم أهل بيت لا يقاس بكم ، لأن الله تعالى اختصكم لنفسه ، و آتاكم الكتاب و الحكم ، و آتاكم ملكا عظيما ، و إنما ذهبت فى قولى إلى أقرب أبى دلف من هذا الناس . فقال : و الله ما أبقيت أحدا ! و لقد أدخلتنا فى الكل ، و ما أستحل دمك بكلمتك هذه ، و لكن أستحله بكفرك فى شعرك حيث قلت فى عبد ذليل مهين ، فأشركت بالله و جعلته مالكا قادرا ، و هو قولك فى مدحك له تقول :

أنت الذى تنزل الأيام منزلها و تنقل الدهر من حال إلى حال
و ما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق و آجال

ذاك الله عز و جل يفعله ، سلوا لسانه من قفاه . فأخرجوا لسانه من قفاه فمات .

و كان أبو دلف شجاعا و خليعا ، فمن شجاعته أنه شك برمحه راكبين على فرس ، فنفذ السنان فى طعنته تلك فى الأول و الثانى شكهما معا ، فقال الشاعر أبياتا منها :

لا تعجبوا لو أن طول قناته ميلا[1] لشك بها الفوارس ميلا

و من خلاعة أبى دلف قوله يصف شجاعته و خلاعته :

يوما ترانى على طمر ترهبنى الأجبل الرواسى
و يوم لهو أحث كأسا و خلف أذنى قضيب رأسى[2]

و كان المأمون بصيرا بعلوم متعددة من فقه و طب و شعر و فرائض . روى أنه جلس يوما للناس ، و فى مجلسه العلماء و الأمراء ، فجاءت امرأة

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول فى الأصل لصلاح وزن البيت .
(٢) فى الأصل : آمى .

Marfat.com

تتظلم إليه، و ذكرت أن أخاها توفى و ترك ستمائة دينار، فلم يحصل لها من ميراثه سوى دينار. فقال لها على البديهة: قد وصل إليك حقك. قالت: بماذا يا أمير المؤمنين؟ [1]قال: كأن أخاك قد ترك بنتين و زوجة و أما و اثنى عشر أخا و أختا و هى أنت. قالت: نعم يا أمير المؤمنين! [1]قال: للبنتين الثلثان أربعمائة دينار، و للأم السدس مائة دينار، و للزوجة الثمن خمسة و سبعون دينارا؛ تبقى خمسة و عشرون[2] دينارا، لكل أخ ديناران و لك دينار. فتعجب الحاضرون من فطنته و سرعة جوابه.

٥

١٠

١٥

٥٢ / ب

و إذ قد ذكرت هذه المسألة المحيرة للعقل، فسأذكر ما قيل فى نظائرها إن شاء الله تعالى. سئل بعض العلماء عن رجل آبق له غلام، فقال: هو حر إن طعمت طعاما حتى أجده. فقال العالم المسؤل: يهبه لبعض ولده حتى يجده و يأكل متى شاء.

مسألة - رجلان[3] كانا فوق سطح، فمال أحدهما فسقط و مات، فحرمت على الآخر امرأته. الجواب - إن امرأة الحى كانت أمة الذى سقط و مات، و كان الزوج بعض ورثته، فصارت الأمة ميراثا، فحرمت عليه.

(١-١) العبارة سقطت من النص و أضيفت بالهامش بقلم آخر، وفيه «أم» مكان «اما».

(٢) فى الأصل: عشرين.

(٣) فى الأصل: رجلين.

Marfat.com

مسألة - رجلان[1] خطبا امرأة، فحلت لأحدهما و لم تحل للآخر من غير مكروه. الجواب - إن أحد الرجلين له أربع نسوة، فحرمت عليه الخامسة، و الآخر لم يكن له امرأة فحلت له الخطبة و النكاح.

مسألة - رجل ذبح شاة فى منزله. ثم خرج لحاجته، فرجع و قد حرمت عليه الشاة. الجواب - إن هذا الرجل كان مشركا وثنيا ذبح على ذباحة النصب، و خرج لحاجته فأسلم، فقال لأهله: كلوا فقد حرم علىّ الأكل منها لأنى أسلمت. قالوا: و قد حرم علينا أيضا الأكل منها لأنا أسلمنا.

مسألة - امرأة تزوجت فى شهر واحد ثلاثة أزواج كلهم حلال و لا طلاق و لا عدة. الجواب - إن هذه المرأة طلقها زوجها و هى حامل، فولدت فعدتها ولادتها، ثم بعد الطلاق بعشرة أيام خطبها رجل آخر، فاختلعت منه قبل أن يدخل بها، فلم يكن لها عدة، ثم خطبها رجل آخر فدخل بها، فذلك ثلاثة أزواج فى شهر واحد.

مسألة - رجل حرمت عليه امرأته سنة ثم حلت له من غير حنث و لا طلاق و لا عدة. الجواب - إن هذا الرجل و امرأته كانا محرمين فى الحج فلم يدركا الحج، فلم تزل امرأته حراما عليه حتى كان العام المقبل و حجا فحلت له و وطئها[2].

مسألة - امرأتان[3] لقيتا غلامين فقالتا: مرحبا بابنينا و ابنى زوجينا

---

(١) فى الأصل: رجلين.
(٢) فى الأصل: وطئها، بسقوط واو العطف.
(٣) فى الأصل: امرأتين.

و هما

وهما زوجانا[1] . / الجواب - إن المرأتين كان لهما ابنان فتزوجت كل واحدة ٥٣ / الف
منهما بابن صاحبتها، فكانا ابنيهما و زوجيهما و ابنى[2] زوجيهما .

مسألة - رجلان[3] شربا خمرا، فوجب على أحدهما حد، و لم يجب على الآخر شيء . الجواب - إن أحدهما حر [4]فوجب عليه الحد[4]، و الآخر كان صبيا لم يبلغ الحلم فتردد[5] فى الخمر فأكل للشبهة[6] فلا حد عليه . ٥

مسألة - [7]رجال مخلوقون[7] سجدوا لغير الله و هم فى فعلهم مطيعون[8] .

الجواب - إن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام .

مسألة - رجل أخذ قدحا فيه ماء يشربه، فشرب بعضه حلالا، و حرم عليه باقيه . الجواب - إنه شرب بعضه و رعف فى بعضه فحرم عليه . ١٠

مسألة - رجل دفع لامرأته كيسا، فقال: أنت طالق إن[9] فتحته أو فتقته أو خرقته[9]، و أنت طالق إن لم تفرغيه . الجواب عن ذلك أن الكيس

---

(١) فى الأصل : زوجينا .
(٢) فى الأصل : و ابنا .
(٣) فى الأصل : رجلين .
(٤-٤) ساقطة من النص و واردة بالهامش بخط آخر .
(٥) فى الأصل « فترد » .
(٦) فى الأصل : الشهد .
(٧-٧) فى الأصل : رجلان مخلوقين .
(٨) فى الأصل : مطيعين .
(٩-٩) فى الأصل : فتحتيه أو فتقتيه أو خرقتيه .

Marfat.com

فيه ملح أو سكر فتجعله فى ماء حار و قد خلا الكيس .

مسالة - رجل لقى امرأة فقال : فديت من أبى جدها و أخى عمها و أنا أنكح أمها . الجواب - إنها ابنته .

مسألة - امرأة لقيت غلاما فقبلته ، ثم قالت : فديت من أمه ولدته ، و أنا امرأة أبيه . الجواب - إنها أمه .

مسألة - خمسة[1] نفر زنوا بامرأة واحدة ، فوجب على أحدهم القتل ، و على الثانى الرجم ، و على الثالث الحد ، و على الرابع نصف الحد ، و لا شىء على الخامس . الجواب - إن الأول مشرك زنى بمسلمة فوجب عليه القتل ، و الثانى محصن فعليه الرجم ، و الثالث بكر فعليه الحد ، و الرابع مملوك يجب عليه نصف الحد ، و الخامس مجنون[2] لا شىء عليه .

مسألة - رجل تزوج بامرأة و زوج ابنه أمها ، فجاءت الأم و البنت بولدين ، ما يكون هذا من هذا؟ الجواب - ابن الأم خال ابن البنت ، و ابن البنت عم ابن الأم - انتهى .

٥٣ / ب نعود إلى ذكر المأمون - كان المأمون / كريما سخيا . حكى عن هدبة بن خالد أنه تغذى عند المأمون يوما ، فلما رفعت المائدة ، جعل يلتقط ما تناثر منها . فقال المأمون : أما شبعت يا شيخ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، و لكنى حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر . قال : فأمر له المأمون

(١) فى الأصل : خمس .

(٢) فى الأصل : مجنونا .

بألف دينار تصديقا للحديث . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : من أكل ما تساقط من المائدة عاش فى سعة و عوفى فى ولده - انتهى .

[عود لموضوع القبرسى و طرابلس - ١]

نعود إلى ذكر بقية الأقوال التى قيلت عن صاحب قبرس لعنه الله فى وقعة طرابلس الشام . [٢] و منهم من قال : إن صاحب قبرس جرح عدة جروح من المسلمين فى وقعة طرابلس الشام [٢] ، فحصل له منها الألم الزائد ، و كان الذى جرحه عند هروبه [٣] و هو طالب مركبه زجل مسلم رمى نفسه عليه فى البحر و هو يضربه بالسيف على جوشنه [٤] ، فتقرب منه الغراب ، فرفعته منه جماعة ، و جماعة أخرى منه قطعت المسلم [٥] بالسيوف قطعا . فصار القبرسى فى ألم من جراحاته تلك ، فارتحل أسطوله من ساعته قاصدا [بلاده] . فقال لسان حاله عند ارتحاله : قد تعكست و حق المسيح

---

(١) هذا العنوان غير وارد فى النص أو الهامش .

(٢-٢) العبارة ساقطة من النص و وردت بهامشه بخط آخر .

(٣) فى الأصل : حروبه . - وهو خطأ لفظى صححته واضحة من سياق الحديث .

(٤) الجوشن كلمة فارسية بمعنى صفائح الحديد التى يلبسها المحارب على وسطه لحمايته . (انظر « السلاح فى الإسلام » لعبد الرحمن زكى - مصر ١٩٥٠ ص ١٨) .

(٥) فى الأصل : المسلمون .

Marfat.com

أحوالى بسبب قتل رجالى! فان رجعت طالبا الجزيرة، سمعت بها الخنازير الكثيرة، فلا بد لى من غزوة قوية ليتحصل لى بها من أموال المسلمين ما اقترضته من القسيسين. فلو رجعت إليهم بغير ردود السلف[1]، غضب علىّ كل قسيس و انحرف، و تكرهنى الرهابين[2]، و تحزم علىّ جماعة القسيسين، فتنتفى منى عامة النصرانية، و يمتنع من مخاطبتى جميع أهل ماء المعمورية، فأصير بالطرد آيسا[3] من دخول الكنائس. و تقول /طوائف ٥/ الف النصارى: قد داخل هذا المجروح العكس، و عاد نجمه بعد استقامته فى نحس، و ذلك للصوصيته بالإسكندرية، و فعلته الغير مرضية، و ما رزق بها النصر إلا لعدم مقابلته لجيوش مصر، بل صال على العوام، و قال: أنا ربير الملك الهمام، ظفرت بالإسكندرية، التى عجز عنها جميع ملوك النصرانية، و يقول النصارى: قتل[3] المسلمون بطرابلس رجاله، المشاة منهم و الخيالة، فيقيمون[4] علىّ القيامة، و يقولون: قد امتنعت النصارى بسببه [من] زيارة كنيسة القيامة، فيا ليتنى اصطلحت مع المسلمين! لما جاءنى رسولهم ناصر الدين، و كنت أرسلت لهم الأسارى و بقيت بحرمتى و نفاذ كلمتى، و صرت فى انشراح، و سلمت من الجراح، و لكن ما بقى بعد ذلك إلا القتال، و الحرب و النزال، فداووا جراحى، ليحصل بغنائم المسلمين سرورى و أفراحى.

(١) جمع سلفة.

(٢) فى الأصل: آيس.

(٣) فى الأصل: قتلت.

(٤) فى الأصل: فيقيموا.

Marfat.com

و سار بأفروطته ، فاجتاز ببلد جبلة[1]، التى هى مقبور بها الشيخ الصالح إبراهيم بن أدهم ، فلقى به عند محاذاتها الغم و الهم . و ذلك أن أهل جبلة لما عاينوا أسطوله قادما[2] عليهم ، دخلوا ضريح الشيخ إبراهيم ، و هم مستغيثون قائلون[3]: يا إبراهيم ! إن كان لك سريرة عند ربك فهو يدفع عنا هذا العدو الذى لا طاقة لنا به . و صاروا يدعون[4] الله تعالى فى دفعه عنهم ، و إذا بريح عاصف خرج من خزائن القدرة الربانية ، فرق المراكب فى البحر يمينا و شمالا ، فصرف الله به العدو عن أهل جبلة ، فظهرت عند ذلك بركة إبراهيم بن أدهم ، لما أزيل عنهم الغم و الهم .

[قصة إبراهيم بن أدهم -[5]]

و سأذكر لمعا من أحواله إن شاء الله تعالى ، [6]قيل له[6] : [7]يا ابن أدهم[7] ! ١٠
هذا الكميت و هذا الأدهم ، / فمن كان بالنزال فى معرك العشق قدهم ، ٥٤ / ب
فان حاكم الهوى قد أقسم أن لا يبرز عروس المحبة من خدرها ،

---

(١) جبلة واقعة على شاطىء البحر على بعد ١٤ ميلا جنوب شرق اللاذقية فى سوريا .
(٢) فى الأصل : قادم .
(٣ - ٣) فى الأصل : مستغيثين قائلين .
(٤) فى الأصل : يدعوا .
(٥) ليس العنوان بالنص أوالها مش .
(٦ - ٦) ما بين الرقمين ساقط من النص ، و به تكتمل العبارة .
(٧ - ٧) ما بين الرقمين ساقط من الأصل و وارد بالهامش بخط آخر .

Marfat.com

إلا لمن نزل على حكمها و أمرها ، فان كنت بطلا فتقدم ، و إن كنت بطالا لا تندم ، فاخلع ثوبك المعلم ، و انزع تاجك الأعظم ، و اهدم ركنك المحكم ، و اهزم جيشك العرمرم ، و انقض رأيك المبرم ، فهنالك تقرأ حرفها[1] المعجم ، و تحل رمزها المترجم . و تشرح سرها المبهم ، و تعلم ما لم تكن تعلم .

قال إبراهيم : فما هو إلا أن ركبت جوادى ، فى معرك جلادى ، و سرت بين أجنادى ، إذ سمعت من قربوس سرجى منادیا ينادى : يا إبراهيم ! ما لهذا خلقت و لا بهذا خصصت أهل ودادى ، فاترك مرادك لمرادى ، و إلا فانت من أهل عنادى ، فأصابنى السهم فى مقتل فؤادى . فأول مسلوب سلب قلبى الصادى ، و أول مأسور أسر قيادى ، و أول مطلوق أطلق دمعى الغادى ، ففيت عن بلادى . و تشتت عن أولادى ، فى القفار و البوادى ، و جلبت أسيرا إلى من عليه توكلى و اعتمادى . فما انفصلت عن حضرة قصرى ، حتى دخلت فى مصر نصرى ، و ناديت : " يايها العزيز مسنا و اهلنا الضر و جئنا ببضاعة مزجية " ، و افتقار عبدك إلى هذا الجاه ألجأه ، فانظر بعين الرحمة إلينا " و تصدق علينا " ، " قال هل علمتم ما فعلتم " ، و هل عرفتم من أنكرتم . فأما المعترف فنكس رأسه ، و أما المقتصد فصعد أنفاسه . ثم نادى الخبيب : " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " " سلم عليكم

(١) فى الأصل : حروفها .

طبتم"، [1]فادخلوا مصر فان لكم ما سالتم[1]، "و هو معكم اينما كنتم". فلما انفصل إبراهيم عن ممالكه، و اتصل بمالكه، دخل البادية، و أشجانه عليه بادية، و انقطع فى الطريق، عن الرفيق، بقى سبعة أيام، / لا يتناول ٥٥/الف شربة من الماء و لا لقمة من الطعام، فغار الشيطان على صدقه، و الشيطان غيور، و إنما يغار من الأكابر و ملوك الطريقة، و سلاطين الحقيقة، و حق له أن يغار لأنهم[2] ألبسوا خلعته التى خلع منها، و ولوا الولاية التى عزل عنها. فظهر له الشيطان فى صورة شيخ صالح، فقال: يا إبراهيم الذي تركت من أجله الممالك، و ركبت المهالك، قـــد ضيعك حتى أشرفت على الموت. فقال: لا بأس بالموت إذا حصل الأمان من المميت. و قال لسان حاله - شعر:

الروح أول موجود يجود به و النفس أيسر شيء فيه تفنيها

و ما عليك إذا ماتت بغصتها من الغرام فان الوصل يحييها

فبينما إبراهيم فى دهشته و حيرته، إذ ظهر له شخص من أطيب الناس ريحا و أحسنهم وجها، فقال: يا إبراهيم تريد أن أعلمك اسم الله الأعظم، فتروى به و تطعم، فعلمه اسم الله الأعظم. فقال له: من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر، أ تريد أن أصحبك يا إبراهيم؟ قال: لا. قال: لم؟ قال: لأن الصحبة لا تجيء إلا بالشركة. و أنا لا أريـد أن أشرك فى محبوبى، و لا أطلب غير محبوبى، فانى أخاف أن أصحب غيره، و هو

(١-١) اقتباس من القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦١ و سورة ١٢ آية ٩٩.

(٢) فى الأصل: لأنه.

Marfat.com

شديد الغيرة ، فلا حاجة لى فى ذلك . و قال لسان حاله - شعر :

هاكم فؤادى فان لاقيتموا[1] أثرا لغـــيركم فاجعلوا التعذيب مثواه
و ها لسـانى قد أبدى لكم خبرا عن غيركم صحوا تكذيب دعواه
فان تكن أنت دون الكل بغيته فامنن عليـــه و لو يوما بلقيـاه
فأنت للصب أقصى ما يـــؤمله و أنت للقلب أحـــلى ما تمنـاه
إذا شربت و غُنِّى لى على قدحى رأيت وجـــه حبيبى فى محيـاه

٥٥/ب ثم إن إبراهيم بن أدهم لما انفصل عن ملكه و أهله ، / ترك زوجته حاملا فولدت ولدا فسموه أدهم ، فلما كبر و راهق البلوغ قال لأمه : يا أماه ! أما كان لى أب[2] ؟ قالت : يا بنى ! كان لك أب و أى أب ! فقـال : فأين ذهب ؟ قالت : كان ملكا يبلغ حاكما عليها و على أعمالها ، ففارق أعمالها و ملكه ، و ذهب فى طلب ربه . فبكى الصبى و قال : يا أماه ؟ فدعينى أذهب أطلب ما طلب أبى . فقـالت : بالله يا بنى لا تفعل ! فان أباك أحرق قلبى بفراقه ، فلا تحرق قلبى بفراقك . فمكث رعاية لأمه متربصا فى طاعتها حتى ماتت ، فبقى حزينـا لا أم له و لا أب ، فخرج حائرا حافيا ، و عن الناس جافيا . يبيت فى المساجد ، و يتأل اللقمة من الأبواب . ثم دخل البادية ماشيا حتى وصل إلى مكة المشرفـة ، فبينما إبراهيم بن أدهم فى الطواف و معه بعض مريديه ، إذ نظر إلى الشاب ، و جعل يحدق بالنظر إليه ، فاستبعد المريد من الشيخ إبراهيم ذلك النظر

(١) فى الأصل : اقيتم . و لا يستقيم ميزان الشعر بهذه الكلمة .
(٢) فى الأصل : أبا .

المريب ، فقال له : يا شيخ ! كيف هـذه الغفلة ؟ أتنظر إلى صورة مستحسنة ؟ فقاضت عيناه بالدموع ، فقال له : اذهب إلى الشاب و اسأله من هو و ابن من هو ؟ قال : فذهبت إليه و سلمت عليه و قلت له : من أين أنت أيها الشاب ؟ قال : من بلاد العجم . فقلت : من أى بلادها ؟ قال : من بلخ . فقلت : ابن من أنت ؟ قال : لا أدرى إلا أن أمى قالت إن اسم أبى إبراهيم بن أدهم . ثم تناثرت دموعه على خديه . قال : فلم أتمالك حتى جئت إلى إبراهيم فوجدته قد بكى حتى غشى عليه من سماع كلام ولده و هو يحدثنى ، فجلست عند رأسه حتى أفاق من غشيته . فقلت : الله يأخذ حق هذا الغلام منك ، هـذا ولدك و الله و شبهك ! / فأته و احنن عليه . فقال : شىء تركته لوجه الله لا أعود فيه ١٠ ٥٦/الف أبدا . فقلت : بالله عليك إلا قمت إليه ! فقام و جاءه ، فنظر الصبى إليه و قال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبوك إبراهيم . ثم ضمه إلى صدره و قال : إلهى قد علمت موقعه منى و هو ولدى و قطعة من كبدى ، و قد جاء فى طلبى ، و أنا لا أتفرغ إليه مع شغلى بك ، و أنت أعرف بمصالح عبادك . فما مضت عليه سبعة أيام حتى قضى الصبى نحبه ، فغسله ١٥ إبراهيم بيده ، و كفنه فى قطعة كساء غليظ كان إذا غطى رأسه بدت رجلاه ، و إذا غطى رجليه بدا[1] رأسه ، و هو يقول : قرة عين الأب ! جمع الله بينى و بينك فى القيامة .

(١) فى الأصل : بدت .

Marfat.com

ثم إن إبراهيم بن أدهم لما خرج من الحج[1]، خرج و هو على فاقة و عدم، حافى القدم عارى الجسد. فأتى الكوفة و معه خادم يخدمه، فجلس فى مسجد بها فقال للخادم: ائتنى بدواة و قرطاس! قال: فأتاه بهما فكتب "بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المأمول للشدائد كلها، و المشار إليه فى الحوائج كلها، و أنت المقصود بكل حال، و المشار إليه بكل معنى.

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا يانع أنا عارى
هى ستة و أنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب[2] نار خضتها فأجرْ عبيدك من دخول النار"

قال: ثم دفع الرقعة للخادم و قال: اخرج و لا تعلق قلبك بغير الله، و ادفع الورقة إلى أول من يلقاك. قال: فخرجت فأول من لقينى كان رجل على بغلة، قال: فناولته الرقعة فأخذها و قرأها و بكى و قال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو فى المسجد الفلانى. قال: فدفع إلى صرة فيها خمسمائة دينار و قال: ادفعها إليه. قال: فلقيت رجلا آخر / فقلت: من صاحب هذه البغلة؟ قال: هو رجل نصرانى. ٥٦/ب ١٥
قال: فجئت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة. فقال: لا تمسها، فانه يجىء الساعة. قال: فلما كان بعد ساعة، وافى النصرانى فانكب على

(١) فى الأصل: الحجاج.
(٢) فى الأصل: كلهب. و ينكسر وزن البيت بالكاف الزائدة فحذفناه بدون تغيير فى المعنى.

Marfat.com

رأس إبراهيم فقبله و قال : يـا سيدى ! أنا أشهد أن لا إلـه إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله . وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من عمل يده مثل الحصاد و حراسة البساتين ، و قيل كان [1] يحرس كرما فمر به رجل جندى فقال : أعطنى من هذا العنب . فقال : ما أمرنى صاحبه . قال : فأخذ يضربه بسوطه فطأطأ رأسه و قال : اضرب رأسا طال ما عصى الله . قال : فأعجزه الرجل و مضى و تركه . و قيل كان [1] من دعائـه " اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك " . و لقى إبراهيم بن أدهم بمكة سفيـان الثورى و الفضيل بن عياض ، و دخل الشام و مات فيه و قبره بقريـة على ساحل البحر الملح تدعى جبلة [2] ابن الأيهم الغسانى المتنصر بعد إسلامه فى خلافـة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه . و قد تقدم ذكر سبب تنصره ، فأغنى عن إعادته - انتهى .

[عود إلى حملة القبرسى - [3]]

نعود - و لما صرف الله العـدو عن جبلة بالريح العاصف ، و فرق مراكب صاحب قبرس و هو ربير بطرس ، لم يتعظ الملعون بما جرى له ، فصبر إلى أن اجتمعت له مراكبه فسار [4] بها إلى اللاذقية [5] ، و بمينتهـا

(١-١) العبارة بتمامها ساقطة من النص و وردت بهامشه بخط آخر .

(٢) ورد ذكرها فيما سبق - راجع الحاشية و الفهارس .

(٣) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٤) فى الأصل : فصار .

(٥) اللاذقية فى التاريخ القديم Laodicea ad Mare ميناء سوريا فى مواجهة =

سلسلة متينة ، فنطنط[1] ثلاث شوانى عليها ، حصلت[2] داخل المينة ، فتبادر[3] المسلمون ، رفعوا سلسلتها بدولابها بما لم يكن للقبرسى بذلك فى حساب ، فقبض[4] المسلمون على شيئى منها ، فقتلوا من[5] فيه من الرجال الأعلاج ، و انكسر الاثنان[6] لنقلهما على السلسلة و عملها فيهما .

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : حدثنى محمد بن بهادر الكركرى بثغر الإسكندرية المحروس ، قال : كنت باللاذقية عند إتيان القبرسى بأفروطته / إليها فهاج عليه ريح عاصف ، ٥٧/الف فانكسرت له ثلاث شوانى ، و أتى منهم إلى البر دون العشرين علجا بالعوم ، و قذف البحر إلى الساحل عشرة أفراس موتى ، و جلس فى قاع البحر شيئى ، صار طرف صاريه ظاهرا فوق الماء ، [7]فغطس الغطاسون[7] عليه ، فوجدوه جلس بقاع البحر بين جبلين صغيرين ، فلم يقدروا على

= جزيرة قبرص يرجع تاريخها إلى فينيقيا و الرومان ، ظلت فى حكم بيزنطه إلى سنة ١١٠٣ حين استولى عليها الصليبيون بقيادة تنكرد ثم أخذها صلاح الدين منهم سنة ١١٨٨ ، و بها آثار رومانية .

(١) فى الأصل : فنطط .

(٢) أى أدركت .

(٣) فى الأصل : فتبادرت .

(٤) فى الأصل : فقبضت .

(٥) فى الأصل : ما .

(٦) فى الأصل : الاثنين .

(٧ - ٧) فى الأصل : فغطست الغطاسين .

إخراجه

Marfat.com

إخراجه من بينهما ، و لا قدروا على النزول إليه ليعلموا ما فيه ، و حصل لهم أيضا ثلاثة[1] مراكب رمتهم الريح إليهم ، وجدوا فيها الجواشن و الخوذ و الزرديات ، و حصل لهم أيضا مركب آخر وجدوا فيه أرؤس خيل بعددها ، و وجدوا فيها أزوادا كثيرة و بعض أثاث مما حصل لهم من طرابلس . ٥

[صفة السلاسل و المين -[2]]

قال المؤلف غفر الله له : و سأذكر ما قيل فى صفة السلاسل و المين إن شاء الله تعالى . اعلم أن سلاسل المين يكون طرف السلسلة الواحدة منها فى برج حصين ممكن العمارة بدك الحجارة الكثيرة المونة ، و يعمل فى نفس دك العمارة مراسى الحديد الموثوق عليها بالبنيان المكين ، ١٠ و لم يكن بارزا من المراسى الحديد سوى الحلق التى بها طرف السلسلة و هو الكلاب الأول ، و يكون زنة كل كلاب منها عدة أرطال ، و يسمر آخر كل خمسة كلاليب بطرف صارى ، و يجعل فى طرفه الآخر كلاليب حديد موصولة بصار آخر ، فتعمل الصوارى بكلاليبها على قدر سعة المينة متصلة إلى البرج الثانى الذى هو على الطرف الآخر من ١٥ المينة ، و يكون داخل البرج الثانى لولب كبير مهيأ لذلك ، فيلتف طرف السلسلة الحديد على اللولب بدورانه بجر البكر[3] لها عليها ، فترتفع إذا

---

(١) فى الأصل : ثلاث .

(٢) العنوان مأخوذ من النص .

(٣) فى الأصل : البقر .

Marfat.com

احتيج إلى رفعها، و تنخفض إذا احتيج إلى خفضها / بدوران البكر[1]، ٥٧ / ب
فتصير السلسلة بصواريها تحت الماء بمقدار ذراع فى ارتفاعها ، فاذا أتت مراكب[2] تقصد دخول المينة ، أرخيت السلسلة فتنزل الصوارى الخشب بثقل كلاليب الحديـــد نزولا زائدا ، فتدخل المركب بوسقها و تخرج كذلك . فلو عملت السلسلة على المينة المتسعة الفوهـة كلها من الحديد لكانت كالقناطير المقنطرة . و إنما تعمل بالصوارى لتعوم تحت المـاء بثقل الحديد ، و لو لم يكن الحديد بها لعامت تلك الصوارى فوق الماء ، فيحرق العدو أعلاها فتضعف فيكسرها العـــدو بالجروخ و القوس ، و يدخل العدو المينة يقاتل من بالساحل بالرمى عليهم بالسهام. فان صبر من بالساحل و ثبتوا و رموا عـلى العدو ، فالعدو لا يقدر على نزوله البر ، و إن فر من بالبر ـ و العياذ بالله تعالى ! و نزل العدو بخيله و رجله ، فان كان فرار من بالبر مكيدة ليـنزل العدو إلى البر ، و يرجعون[3] عليهم بعد أن يكمنوا الكمناء داخل السور ، فاذا نزل العدو البر و بعد عن الساحل يريدون[4] القتال ، خرج الكمين لهم من باب المدينة المجاور للساحل يجوز بينهم و بين مراكبهم ، فتنقطع إذن ظهورهم بتلك[5] المكيدة .

(١) فى الأصل : البقر .
(٢) فى الأصل : مركب .
(٣) فى الأصل : يرجعوا .
(٤) فى الأصل : يريدوا .
(٥) فى الأصل : بذلك .

Marfat.com

ويبادر أهل المدينة يقومون[1] إلى المراكب يقاتلون[2] من بقى بها حارسا، ويجتهدون[3] يخسفونها من أجنابها بما معهم من الجروخ والقوس. فبخسفها يقاتل العدو أهل المدينة، أو يسلمون[4] أنفسهم لأهل المدينة أسرى لانقطاع رجالهم من المراكب بخسفها وتفريقها، فيصيروا أرقاء يفعل فيهم سلطان تلك الديار ما يختار. وأما المين الضيقات الفوهات، فيكتفى بالسلاسل من غير صوارى لكونها قريبة المأخذ لقصر السلسلة - انتهى.

[عود إلى حملة القبرسى -*]

نعود إلى ذكر / لسان حال القبرسى، لعنه الله وغضب عليه - ٥٨/ الف
وذلك أنه لما رأى ما جرى على مراكبه بمينة اللاذقية قال: ما هذه المصيبة الثالثة! فحصل له من الهم، ما أسكن معه الغم. ثم مضى ببقية أفروطته إلى بانياس[6]، فلم يجد فيها أحدا من الناس. وذلك أن أهلها المسلمين[7] لما عاينوا أفروطة الملعون، أخلوا له البلد، فنزل إليها، أحرقها، فاحترق بحريقها ثمانية آلاف بجذاف كانت حاصلا للمسلمين بها، فأدركه

(١) فى الأصل: يقوموا.
(٢) فى الأصل: يقاتلوا.
(٣) فى الأصل: يجتهدوا.
(٤) فى الأصل: يسلموا.
(٥) العنوان غير وارد فى النص أو الهامش.
(٦) بانياس ميناء صغير جنوب اللاذقية بينهما ٢٥ ميلا.
(٧) فى الأصل: المسلمون.

Marfat.com

جيش المسلمين المحاذين لمراكبه فى البر ، فقتلوا من الإفرنج الذين أحرقوا البلد جماعة كثيرة ، فتخبل القبرسى فى عقله و قال : ما هذه المصيبة الرابعة ، و الرزايا المتتابعة ! ستصير الجنائز بالجزيرة كثيرة ، ما كفانا كسرة طرابلس و فعل الريح بنا محاذى قرية جبلة و الخسارة باللاذقية حتى قتلت رجالنا أهل النجدة و البأس ، ببلدة بانياس . ثم قال لمن معه من المنجمين ، و الكهان الضالين : ما هذه الأحوال المعكوسة ، والطوالع المنحوسة ؟ قالوا له : سيبدو لك بعد هذا اليوم طالع الاستقامة ، فقد ظهر لنا على الاستقامة علامة ، و هى نصرتك على المسلمين ، و أخذ الغنائم التى ترد منها ما استلفته من القسيسين . ثم إنه أقبل على من معه من الرهبان ، فقال لهم : اين قراءتكم لمزاميركم و تلاوتكم لأناجيلكم على القربان ، و المزمور الذى تقربون به الرجال و النسوان ؟ و أين دهن القناديل ، التى قرئت على ضوئها للأناجيل ؟ أين أدعية القسيسين ؟ أين تضرع الحبيسين ؟ أين خشوع الأساقفة و الشمامس[1] ، عند سماعهم لضرب النواقيس ؟ أين مواظبة المسابقة للصلاة مع القسيس ؟ / أين دعاء الرهابين ٥٨ / ب
فى القلايات[2] ؟ اين لحوم الخنازير التى بارك عليها الآب بولص فى الديارات ؟ فلما سمعت الرهبان مقالته ، نهضوا قياما على أقدامهم ، و أداروا حوله عـــكا كيزهم السود و الصفر ، و قرأوا حوله كلامهم الممزوج بالكفر ، و طافوا بمباخرهم حواليه ، و قربوها من جبهته و عينيه ، و رموا

(١) جمع شماس . أى خادم الكنيسة (deacon) .
(٢) جمع قلاية و هى حجرة الراهب أو الحبيس بمعنى المسكن الانفرادى للتوحد (hermit) .

عليه صلبانهم ، و ذكروا له بهتانهم ، فتقدم منهم شماس ، عليه قلنسوة و دماس[1] ، قصير القامة ، قبيح الدمامة ، كقرد من القرود ، متوشح بصلبان الجلود . فلما تقدم إليه أخذ بيده و قال : انهض[2] على بركة كل قسيس و شماس ، ستنصر ببلد أياس[3] . فقالت الرهبان و القساوسه[4] ، و المطارقة و الشمامسة : أبشر أيها الملك بمقالته ، و انظر إلى تقشفه[5] و زهادته ، فانه لم يقل شيئا قط إلا صدق فيه ، فالتقف كلمته التى خرجت من فيه ، فانه راهب صادق ، و بالصدق ناطق ، و هو لا يفتر عن البكا ، و قد صار رماصه بعينيه كحب المصطكى ، أما تنظر أسنانه قد تراكم عليها القلح[6] و صنانه قد فوح ، و أكله يتولد منه فى كل شهر بعرة ، يقاسى لخروجها من يبسها جمرة ، لا يأوى أبدا تحت سقف بيت ، و إن أكل مطبوخ الجلبان[7] فبغير زيت ، و قد جربناه على طول الزمان ، فما ساواه فى عبادته أحد[8] من الرهبان . قد هجر لذيذ المنام ، و نحل جسمه من طول القيام ، و مداومة الصيام ، و أكل الجلبان على الدوام ، و اسمه عبد المسيح ،

---

(١) فى الأصل : ودفاس ، و هو من ملابس الرهبان .
(٢) فى الأصل : انهظ .
(٣) انظر حاشية سابقة رقم ٤ ص ٦٧ و راجع الفهارس .
(٤) فى الأصل : القساقسة ، وهذا لتحقير الجمع للقسوس .
(٥) فى الأصل : تقشه .
(٦) فى الأصل : الفلج .
(٧) أى حبوب اللوبيا .
(٨) فى الأصل : احدا .

Marfat.com

و شهرته بالشيخ النجيح . فقال الملك : كيف يكون بهذه الأوصاف الحميدة . و السيرة المشكورة السعيدة ، و منزلته صغيرة ! و مثله لم يكن إلا فى المنزلة الكبيرة ، و قد جعلته أسقف الأساقفة ، و جعلت له عليهم النظر و المشارفة ، و ما فى القياس أن يكون منزلة هذا شماسا[1] بل يكون هذا ٥٠ / الف / جليسى ، و منادمى و أنيسى ، أشم منه رائحة العبادة ، لأنال ببركة قربه السعادة ، لشكركم فيه ، و الكلام الحسن الذى يخرج من فيه ، فانه بشرنى بأنى أفتح بلد أياس ، و قد داخلنى بقوله إيناس .

فانظر يا هذا إلى هذا الكلام الخسيس ، الذى انطبع لصاحب قبرس ، و لجلسائه من كل راهب و قسيس ، بقول هذا الراهب . الرجس الكاذب ، فسبحان من ينعم على الكفرة الفجرة ، الذين[2] أحاطت بوجوههم القترة ، و يخولهم و يتفضل عليهم باحسانه و كرمه ، و هم مع ذلك يكفرون به ، و يصفونه[3] بما يستحيل عليه ، و يضيفون[4] له ما يتقدس عنه ، و يسلبونه[5] الآن ما يجب له من الأسماء الحسنى . و الصفات العلى ، فمنهم من قال : هو ثالث ثلاثة ، و منهم من قال : له وجه ، و منهم من قال بتجسيمه و تشبيهه ، و منهم من قال : ما للخلق صانع ، كما حكاه الخالق عنهم

(١) فى الأصل : شماس .

(٢) فى الأصل : الذى .

(٣) فى الأصل : يصفوه .

(٤) فى الأصل : يصيفوا .

(٥) فى الأصل : يسلبوه .

Marfat.com

"نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر[1]"، و هو مع ذلك ينعم عليهم بأنواع النعم، من أكمل حواسهم، و خلق فيهم الشهوات، و أكمل لهم اللذات. و مع ذلك يحييهم و يبقيهم، و يصلح أجسامهم و حواسهم، و يرزقهم و ينعشهم، و يقضى أربهم و أوطارهم متاعا حسنا، و يبلغهم أمانيهم فى معظم ما يحتاجون إليه، فمعاصيهم إليه صاعدة، و بركاته عليهم نازلة، "كل يعمل على شاكلته"، و ينفق مما عنده - انتهى.

نعود - ثم إن صاحب قبرس لما قال له الراهب الكاذب ما قال من نصره ببلد أياس، و أخذها من المسلمين من غير رمى بأقواس، فعند ذلك طلبها الرجس الخناس. / فلمارأى[2] أهلها أفروطته وردت عليهم، و وصلت ٥٩/ب إليهم، خاف[3] المسلمون الذين[4] بها منه و قالوا: جاءنا الملعون بعرضه و طوله، فى جيش أسطوله، فاجتمعوا بنصارى الأرمن المقيمين معهم بالبلد و كلموهم فى أمره فقال[5] الأرمن: أيها المسلمون! انظروا ما ذا تفعلون، فان هذا الكلب الملعون، قد أتى إلينا قصده [أن] يملك القلعة و البلد منكم، و يأسركم و يأسرنا، أو يقتلكم و يقتلنا، فتحالفوا بنا على غراته، و كسر قناته.

و كانت بلد أياس على ما قيل فيما مضى من الزمان للتكفور[6] ملك

---

(١) قرآن كريم سورة ٤٥ آية ٢٤.

(٢) فى الأصل: راوا.

(٣) فى الأصل: خافت.

(٤) فى الأصل: التى.

(٥) فى الأصل: فقالت.

(٦) فى الأصل: للتكفون. و صححته فيما بعد «التكفور» وهو لقب ملوك =

Marfat.com

الأرمن . و كانت تجار المسلمين يأتون إليها يبيعون بها و يشترون منها، و من المسلمين من قد استوطنها، و كان لهم بها مسجد جامع، فنزلت نصارى الأرمن، و المسلمون فى صلاة العيد بجامعهم، و كبسوا عليهم بالسيوف قتلوهم، إلا رجلا[1] من الفقراء التونسية[2] كان معه طبره[3] الذى يحمله، و لا يفارقه كجارى عادته كفقراء التونسية، لا يمشون إلا بأسلحتهم، فهجم الفقير به فى الأرمن، قتل منهم سبعة قبل أن قتل، فبلغ ذلك ملك الأمراء الطنبغا نائب السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون[4] بحلب، فكاتب السلطان، أعلمه بما فعلت النصارى الأرمن بالمسلمين، فأرسل من مصر و دمشق أربعة آلاف فارس، و ركب عسكر حلب، و أغار[5] بذلك الجيش على بلاد الأرمن، أحرق بيادرهم من القمح و الشعير و الحبوب و الثمار، و نهب ما قدر عليه بعد أن فروا من بين يديه،

= الأرمن مشتقة من لغتهم (tagvor) ، و العرب أحيانا يصفون بهذا اللقب أبا طرة بيزنطة و كذلك طرابزون .

(١) فى الأصل : رجل .

(٢) فى الأصل : اليونيسة .

(٣) الطبر هو الفأس أو البلطة بالسلاح المستدير و فى العصور الوسطى حملتها عرفوا بالطبرداريه أو البلطجية .

(٤) انظر الحواشى السابقة و راجع الفهارس .

(٥) فى الأصل : و غار .

ثم عاد إلى حلب وكاتب السلطان بما فعل، فأنكر عليه رجوعه و أمره بالمسير و المحاصرة و القتال. فرحل و عاد إلى بلد أياس. فأخرب قلعتها التى هى بالبحر مع ما أخرب من بلاد التكفور[1] ملك الأرمن. و أخرب من حصونه أيضا اثنى عشر حصنا، منها درندا و النقير و شغلان و سوندكار و حميمص / و غيرها من الحصون بعد أن قتل من الأرمن كثيرا. فلما ٥ ٦٠/ الف بلغ التكفور[1] إخراب المسلمين البلاد، و ابتلى بأمر لا قبل له به، بعث يعتذر للسلطان الملك الناصر محمد و يقول: إن هذا الأمر الذى اتفق من الأرمن فى قتلهم للمسلمين بمسجدهم بأياس ما كان باختيارى و لا أمرتهم به، و لا أذنت لهم فيه. و حلف بدينه أنه لم يكن له أمر به و لا إذن فيه. ثم أرسل الحمل الذى كان يرسله فى كل سنة و ضاعفه تلك السنة، ١٠ و نزل عن نصف البلد له. فكان للأرمن بها كنيسة يضرب بها ناقوسهم، و بنى[2] المسلمون منارة على مسجد جامعهم، و صاروا يؤذنون بها.

و إذ قد ذكرت المنارة، فسأذكر ما قيل فى اشتقاق اسمها و غير ذلك.

«المنارة» مفعلة من استنارة، و المنارة هى التى يؤذن عليها ليعلم الناس دخول وقت الصلاة فيتأهبون لها. و منار الأرض: أعلامها و حدودها، ١٥ و النور: دخان الفتيلة يتخذ كحلا للوشم و للحبر أيضا، و امرأة نوراء: عفيفة من القبيح، و النوار: النفار. و كانت امرأة الفرزدق

(١) فى الأصل: التكفون.

(٢) فى الأصل: و بنت.

Marfat.com

الشاعر اسمها نوار ، و سياتى خبره معها فى تزويجه بها إن شاء الله تعالى.
و أنارت الشجرة: أخرجت النور ، و أنار الشيء أيضا ، و الأقحوان: نور أبيض يشبه الثغر من الفم و الفم المبسم ، و الشنب: حدة أطراف الأسنان ، و اللمى: سمرة باطن الشفة ، و الرضاب: الريق مازجه حلاوة ، و المزج: مزج الشراب و غيره ، و العسل: مزج يمزج به كل شراب .
قال الشاعر:

و جاء بمزج لم ير الناس مثله هو الضَّجّ[1] إلا أنه عمل النحل

نعود إلى خبر القبرسى حين قدم بأفروطته إلى بلد أياس – و ذلك أن الأرمن المقيمين[2] بأياس قالوا للمسلمين: اعلموا أننا و أنتم لا نقدر على قتال هذا الملعون . قالوا: وكيف العمل؟ قالوا: ترسلون[3] إلى المراكز القريبة / منا ليأتوا لمعاونتنا عليه ، ونعمل الآن الحيلة عليه إلى أن يأتينا أصحاب المراكز . فأرسل[4] المسلمون القصاد للمراكز و قالوا للأرمن: تقدموا أنتم إلى القبرسى ، سلموا عليه لأنكم نصارى و هم نصارى ، و نحن نأتى إليه بعدكم ، فاذا سلمتم عليه تقرون عليه الحيل و المكايد ، و نحن أيضا نحتال عليه و نكايـــد ، إلى حين وصول النجدة إلينـا ليصير لنا

٦٠/ب

---

(١) فى الأصل: الضحى – كذا ، و لا يستقيم به الوزن ، و الضج و الضحى و الشمس كلها بمعنى .
(٢) فى الأصل: المقيمون .
(٣) فى الأصل: ترسلوا .
(٤) فى الأصل: فارسلت .

Marfat.com

بوصولها قوة و عدة ، و إلا نحن و أنتم الآن فى قبضته لقلتنا و كثرته .

هذا كله و الأفروطة فى البحر ينظرونها قادمة إليهم . فلما أرست بالمينة تقدم نائب التكفور بمن معه من نصارى الأرمن ، ركبوا القوارب و أتوا إليه ، سلموا عليه و صقعوا[1] بين يديه ، و قالوا له : أيها الملك المظفر ! نسألك حقن دمائنا لنستريح ، من غضب السيد المسيح ، و اسمع كلامنا ففيه لنا و لك النجاح ، و الرشد و الصلاح . فقال : و ما تريدون؟ و بأى شىء تقولون؟ قالوا : اهبط أيها الملك من المراكب ، فأنت و حق المسيح الظافر و الغالب ! و تسلم البلاد من غير ضرر و لا نكد ، و اطرد عنا هؤلاء المسلمين الذين[2] تركونا ببلدنا ذليلين بما نسمع لهم من التسبيح على منار مسجدهم مع التأذين ، أنت أولى بما يأخذونه منا ، و نصير نحن و أنت فى المحيا واحدا[3] إن خطر ببالك الشركة ، و إلا فالملك التكفور لا يتحرك عليك بحركة ، و ينزل لك عن نصيبه فيها ، لأنه فى غنى بغيرها عنها . و تطرد عنا من يؤذن على رؤسنا ، و يقهرونا فى كنائسنا . فقال : إنى عذرتكم فيما[4] يفعله[5] المسلمون بكم ، لكن أريد

(١) كذا فى الأصل ، و جائز أن تكون « صعقوا » بمعنى سجدوا .

(٢) فى الأصل : الذى .

(٣) فى الأصل : واحد .

(٤) فى الأصل : بما .

(٥) فى الأصل : تفعله .

Marfat.com

[أن ـ[1]] أسمع كلام المسلمين الذين عنـــدكم، لئلا يكون كلامكم حيلة و مكيدة منكم . فقالوا : و حق المسيح ، أن أمرك لنجيح ! و كيف نواجهك بالحيل ، و نيتنا لك صحيحة فى العمل ، و اعلم بيقين أن المسلمين منك الآن [2]خائفون مرعوبون[2] . فقال : إن كان كما ذكرتم فأحضروا لى أميرهم لأسمع كلامه ، و أعلم خطابـــه و نظامـه . فأرسل[3] الأرمن حينئذ إلى أمير المسلمين ، فركب قاربا و أتى إليـــه فى زى المساكين ، فسلم على القبرسى و خضع له ، و أظهر المودة و المحبة / و قال فى خلال ٦/ الف كلامه : إن والدك السلطان ريوك[4] نيح[5] الله روحه ، كان فى أيـام دولته يهادى السلطان الملك الناصر صاحب مصر و يهاديه و هو الآخر ، يهاديـــه لما كان بينهما من المودة و الصحبة ، وكان من هدية صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قـلاوون مراكب القمح . فلما سمع القبرسى مراكب القمح تبسم و قال : و ما مراكب القمح ؟ قال : التى أرسلها لوالدك لما وقع الغلاء بجزيرة قبرس ، أرسلها إعانـــة للملك و لأهل جزيرته . فقال : صدقت ، أخبرنى بذلك والدى أنها أتت له موسوقة بالقمح من عنده قبل أن أخلق .

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢-٢) فى الأصل : خائفين مرعوبين .
(٣) فى الأصل : فارسلت .
(٤) ريوك ـ انظر حواشى سابقة و راجع الفهارس .
(٥) بمعنى الرحمة عند رجال الدين المسيحيين و هى لفظة معروفـة فى الطقسات الكنيسية .

Marfat.com

قال المؤلف غفر الله له ولوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين: و سأذكر ما وقفت عليه من خبر تلك المراكب الموسوقة بالقمح إن شاء الله تعالى . و ذلك أن الشام وقع به الغلاء ، فرسم السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون بحمل القمح من مصر إلى الشام فى البحر الملح يباع به لينتفع به الناس ، فسافرت المراكب ، فبينما هى سائرة و إذا برياح هبت ، دفعت المراكب المذكورة إلى جزيرة قبرس ، فاختشى رائسها و من معه من النواتية أن تأخذ النصارى منهم المراكب و يتركونهم عندهم أسرى ، فلما أتى إليهم قارب الجزيرة المرصد لذلك ، قال من فيه لهم : من تكونون [1] ؟ و من أين جئتم ؟ قال الرائس : جئنا من مصر إلى الملك . قال : كبيركم ينزل واصلا إلى الملك . فنزل الرائس فأحضروه بين يدى الملك ريوك . قال له الملك : من أين أنت ؟ و من عند من جئت ؟ قال : أتيت من مصر من عند الملك الناصر إلى عند مولانا الملك ، و إنه يسلم عليك ، و قد بلغه أن ببلدك الغلاء ، فأرسل لك القمح ترتفق به إلى أن يمن الله تعالى على عباده بالرخاء ، ففرح الملك بتلك الهدية السنية المحتاج إليها فى ذلك الوقت الصعب ، و جهز هدية أرسلها للملك الناصر فى تلك المراكب عوضا عن هدية القمح . فلما وصلت / المراكب إلى ساحل دمياط ، أعلم ٦١/ب السلطان بالبطائق بأن مراكب القمح رجعت و فيها هدية صاحب قبرس ، فتعجب السلطان منها و طلب رائسها ، فحضر بين يديه فسأله

(١) فى الأصل : تكونوا .

Marfat.com

عنها ، فأخبره الخبر ، فأعجب السلطان حيلته التى تحيل بها حتى نجا هو و نواتيته من الأسر ، و نجت مراكبه من الأخذ ، و ردت بالهدية سالمة مرضية - انتهى .

نعود إلى خبر ريير[1] القبرسى - و ذلك أنه لما أخبره أمير المسلمين بأياس أن الملك الناصر كان يهادى والدك و والدك يهاديه ، و أعلمه بخبر القمح ، و قال : إنه سمع ذلك من والده ، قال لأمير المسلمين : كيف العمل فى هذا البلد ؟ قال : أيها الملك ! إن هذا البلد كان فيما مضى لأبيك و جدك من قبلك ، فتغلب عليه الملك التكفور أخذه منه ، ثم صار نصفه الآن أخذه منه ، ثم صار نصفه الآن أخذه منه ثم صار نصفه الأول لصاحب مصر و نصفه الثانى للتكفور ، فأنت أولى به منهما ، لأنك وارث آبائك و أجدادك ، و الدودة بنت الدودة ، و العارية مردودة ، و إذ قد طلبت بلدك و بلد آبائك و أجدادك فلسنا نحن نمنع ، و لا لنا قوة بها ندفع . فطمع القبرسى فى البلد ، و نزل بجنوده و العدد ، و ترك خيله ترعى فى النجيل الأخضر ، و قد حصل له السرور الأكبر ، فنزل فى خيامه ، و أحاطت به جنده مع خدامه ، خارجا عن البلد ، يتصبح بملكها يوم الأحد .

ثم إن المسلمين و الأرمن قدموا له الأبقار و الأغنام ، فصنعت له أصحابه بلحومها الطعام ، فأكل اللعين ، هو و جيشه الآلاف و المئين[2] ،

---

(١) انظر حواشى سابقة و راجع الفهارس .

(٢) كذا لرعاية السجع ، و الصواب : المئون .

Marfat.com

و باتوا مطمئنين ، على أنهم فى صبيحتهـــم للبلد مالـكين[1] . فقالت له جماعة الرهابين و القسيسين : رأيت أيها الملك التارك للقبيح ، صدق كلام الراهب عبد المسيح ، فى قوله بالمكاشفـة و الاستئناس ، سر بأفروطتـك فانـك ستملك بلد أياس . قال الملك : إى و المسيح ! إن قوله صحيح ، ما هذا الراهب ، إلا له كلام صائب . و أمر باحضاره فحضر ، فقال له : أيها المبشر بالظفر و التمكين ، سأعطيك غـــدا / من أموال المسلمين ، ما تنفع بـه إخوانك الرهابين . و خلع عليه برنسا و قلنسوة ، و رسم له بالنظر و المشارفة ، على جميع الأساقفة . فقال له الراهب : سيحصل لك من الأموال النفيسـة ، ما ترد منه سلف مال الكنيسة ، و تفتح بلدا بعد بلد ، و تبلى أصحابها بالضر و النكد .

٦٢/ الف

ثم إن القبرسى أكل ضيافة أهل البلد على أنه إذا أصبح ملـكها و نهبها ، و إذا بجيوش المسلمين و من تبعها العربان و التركمان اقبلوا فى الليل كالسيل ، فاندفعوا على القبرسى و جنوده ، وضعوا فيهم السيف ، فلم يسلم من القتل إلا من سارع إلى المراكب ، فكانت هذه الغزوة القوية ، هى التى أورثت القبرسى كل بلية . و لو لا سارع الملعون إلى المراكب و إلا كان قبض عليـه ، و كحل بالنار فى عينيـه . فضـاع كلام الراهب عبد المسيح فى الريح . و كان الراهب لما رأى عينها بادر إلى المراكب ، فصار بأحدها فيه راكبا[2] ، فأذاقه القبرسى العذاب . وسماه الراهب الكذاب ،

(١) كذا لرعاية السجع .
(٢) فى الأصل : راكب .

Marfat.com

فأخذ منه ما كساه ، و تركه عريانا و نفاه ، و قال : يا شيخ السوء ! حملتنى على الضرر ، و أوردتنى موارد الغرر . و صرخ فى القسيسين و الرهابين ، و قال لهم : حسبتم عندى خراف المجانين ، حتى هلك من عسكرى المئين[1] ، هذا ما قيل فى هذه الواقعة ـ و الله أعلم بالصواب .

و منهم من قال فى وقعة أياس : إن القبرسى لما أرسى بأسطوله بمينة بلد أياس ، جمع أمير المسلمين منجك جميع النساء و الولدان ، حصنهم بقلعتها ، و أكمن الجند ثلاث كمائن ، فنظر القبرسى فلم يجد بالساحل أحدا ، فنزل بجيشه إلى البر ، و سعى طالبا البلد ، فنهضت الكمناء ، جازوا[2] بينه و بين البحر . و كان الأمير منجك قدم القول مع طائفة المسلمين : إذا رأيتمونا جزنا بينهم و بين البحر ، اصعدوا المراكب و اخرقوها لنتمكن من نواصيهم . فتقدم جيش المسلمين لقتالهم ، و تقدمت جماعة لخرق مراكبهم ، فخرقوا نحو خمسين مركبا ، و قاتل[3] المسلمون قتالا قويا إلى أن قتلوا من الإفرنج خمسة آلاف ، و هرب من هرب إلى البحر ، فمنهم من رمى نفسه فى البحر / بعد خلعه ما عليه من سرابيل الحرب ليتوصل إلى بقية المراكب التى لم تخرق ، فمنهم من غرق ، و منهم من سلم ، و منهم من أصابه سهام المسلمين و هو عائم ، قتلته أو جرحته . ٦ / ب

و منهم من قال : إن الأمير منكلى بغا الفخرى أتى فى سبعين رأسا من الخيل ، فقتل منهم نحو ثمانمائة . و أخذ منهم عشرين أسيرا و فرسا

(١) كذا لرعاية السجع ، و إلا فهو مرفوع .
(٢) فى الأصل : جازت . (٣) فى الأصل : قاتلت .

واحدا

واحدا . فقالت له الأسارى : إن صاحب قبرس جرح فى المعمعة و حمل إلى المراكب .

و منهم من قال : إن صاحب قبرس عدم و لم يوجد .

و منهم من قال : إن صاحب قبرس هرب من المعمعة و اختفى بدير ، و قبض عليه منه . و ذلك أن راهب الدير لما صار القبرسى مختفيا عنده ، سأل أمير المسلمين المقيم ببلد أياس قبل وقعة القبرسى بمدة طويلة أن ينعم عليها برزقة يزرعها يستعين بها على ضيافة من يأتيه إلى الدير من المسلمين المسافرين المارين به ، فأنعم عليه بأرض صار يزرعها ، ففرح الراهب بها . فلما هرب القبرسى إلى ديره سأل الراهب أن يخفيه ، فأخفاه بسرداب تحت الأرض ، و الراهب أرمنى و القبرسى رومى ، فأتى الراهب إلى الأمير الذى تصدق عليه بالرزقة ، فقال له : أيها الأمير ! إن القبرسى كثر عناده ، و ظهر فساده ، و زاد شره ، و إنه قد أرمل النسوان ، و أيتم الولدان ، و قد حصلته عندى فى ديرى . فقال : خذ رجالى معك و أتنى به . قال إن فعلت ذلك كنت هالكا (١) . قال : فبما ذا ؟ قال : يقع علىّ الضرر من جميع النصارى ، يقولون : استجار بك خذلته ، و لأعدائه سلمته ، و لكن أريد منك أن تتركنى حتى آتى الدير و أستقر به ، و تركب فى جندك و تأتى إلى الدير تأمرنا بفتحه ، فنمتنع من ذلك ، فأطلق النار فى الباب ، و ادخل إليه خذه من السرداب ، حتى لا ينسب للرهبان فيه أمر ، و كأنك ما سمعت به إلا من غيرنا ، فأخذته منا بعد أن / قهرتنا ، فنستريح من الملامة ، ٦٣ / ألف

(١) فى الأصل : هالك .

Marfat.com

ففعل الأمير ذلك ، و قبض على القبرسى - كذا قيل ، و لم يصح ذلك لظهور القبرسى بعد هذا القول بقبرس .

و منهم من قال : إن جنسا[1] من الفرنسيسين يقال لهم الهنكر[2] ، طوال القامات ، قتل من أكابرهم فى وقعة أياس جماعة ، فاستوسموا[3] بكعب القبرسى ، و ندموا على مساعدتهم له . ففارقوا أسطوله ، و مضوا فى غربانهم إلى قبرس ، نهبوا مال القبرسى و هو مشتغل بأفروطته فى البحر ، و أخذوا ما وجدوه عنده من أسارى المسلمين ، و مضوا إلى بلادهم ، فلما بلغ القبرسى فعلهم سافر إلى البابا[4] يشتكيهم له ، فنى غيبته عند البابا ، صار[5] الناس يقولون : إن القبرسى عدم و لم يعلم له خبر .

و منهم من قال : إن القبرسى لم يوجد : و لا رآه أحد ، فما علم هل قتل فى وقعة أياس ، أو حلق لحيته و تجرد يجول فى هيئة قرندلى[6] أو غيره ، فأطلق عليه النداء ببلاد المسلمين ، فلم يظهر له خبر ، و لا وقع له أثر .

---

(١) فى الأصل : جنس .

(٢) الهنكر Hunsarians أى المجر .

(٣) فى الأصل : فاستوثموا . و المعنى طبعوه بالعلامة أو الأثر .

(٤) أى البابا رأس الكنيسة الرومانية . (٥) فى الأصل : صارت .

(٦) قرندلى أى راهب من فرقة القرندلية أو القلندرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ « قرندل » كما ورد فى دى ساسى (Chres. I, 263 pp.) و كذلك فى دوزى (Suppl. II, 340) .

Marfat.com

و منهم من قال : إنه جرح بسهم ، قلع خشب السهم ، و صار الحديد كامنا بجسده .

و منهم من قال : حدثنى إفرنجى من أهل مدينة مالطه[1] يسمى نكيله ، كان يصحبنى بسبب المتجر ، قال : لما نزلنا[2] من المراكب ، وصرنا ببر أياس ، و أكلنا ضيافة الأرمن ، ثقلنا من الشبع فنمنا ، فبينما نحن نائمون[3] و إذ الضرب فى بعضنا ، فقمنا من مراقدنا مبهوتين . فتوهمت أن حصى الأرض صار رجالا قدامى و خلفى ، فصاروا يضربوننا[4] ، و نحن نضرب بعضنا بعضا ، فما نجا بنفسه إلى المراكب إلا من كان فى أجله تأخير ، فهربت قاصدا المراكب ، فرأيت النصارى طالبيها ، فغرق من غرق ، و نجا من نجا ، فكنت ممن صعد المراكب ، و عقلى من الخوف ذاهب . ثم قال : حضرت قتال الفرنج مع المسلمين عشرين وقعة ، ما رأيت فيها على النصارى أشد من تلك الوقعة .

/ و منهم من قال : إن المسلمين ربطوا بأذناب دشار[6] خيل أسطال[7] ٦٣ / ب

---

(١) المقصود جزيرة مالطة .

(٢) فى الأصل : نزل .

(٣) فى الأصل : نائمين .

(٤) فى الأصل : يضربونا .

(٥) فى الأصل : من .

(٦) دشار ربما كانت دسار بمعنى حبال الليف .

(٧) جمل سطل و هو إناء النحاس .

Marfat.com

النحاس ، و بأعناقها الأجراس ، و دفعوها على عسكر القبرسى فى الليل ، فهجمت بكركرتها و جلجلتها ، و المسلمون يضربونهم بالسيوف ، فصارت الفرنج تضرب بعضها بعضا ، طولا و عرضا ، إلى أن هلك منهم من هلك ، و نجا منهم من نجا .

و منهم من قال : إن المسلمين من أهل العلايا[1] بر التركية لما بلغهم أن القبرسى انكسر بأياس ، عمروا خمس قطائع بالرجال و السلاح ، و أتوا إلى أطراف جزيرة قبرس نهبوا عدة ضياع ، و أسروا من تأخر عن الهروب منها .

و منهم من قال : إن عمر الحلوانى ذكر أنه كان حاضرا بوقعة طرابلس و وقعة أياس ، فقيل له : حدثنا بما رأيت فيهما ، قال : لما أتت الفرنج إلى مينة طرابلس و نزلوا البر ، زحفوا إلى أن دخلوا البلد ، فأتى[2] المسلمون لهم[3] من جهة الساحل ، حازوا بينهم و بين البحر ، قتلوا منهم ما يزيد على ثلاثمائة علج ، و قتلت امرأة علجا فارسا من أكابرهم ، و ذلك أنها رمت عليه ستارة حائط سطحها كان واقفا تحتها فوقعت عليه ، قتلته هو و فرسه ، فأمر نائب السلطان بطرابلس لما بلغه ذلك أن يعطى لها سلبه ، فقيل : إن قيمة سلبه عشرة آلاف درهم ، تعطى بعضه ،

---

(١) العلايا ـ انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) فى الأصل : فأتت .

(٣) فى الأصل : بهم .

فقال : بل تعطى جميعه للحديث المروى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : « من قتل قتيلا فله سلبه » . فأخذت المرأة ذلك السلب بأجمعه . و قيل : بل رمت المرأة عليه فردة طاحون هلك بها .

قال : ثم إن القبرسى الملعون رجع بمراكبه عن طرابلس ، فتبعه جيش المسلمين محاذيا له على البر خوفا من دخوله بعض السواحل ، قال : و أنا سائر مع الجيش ، فلما رأت أهل أياس أسطول الملعون ، رفعوا النيران على قنن الجبال ، فهرع[1] الناس من كل جهة و مكان ، فوجدوا الفرنج نزلوا البر ، فقتل[2] المسلمون / منهم نحو خمسمائة علج ، و هربت البقية إلى ٦٤/ألف
المراكب ، فجعلهم المسلمون كل عشرة كوما ، و رموا عليهم الحطب ، و أشعلوا فيه النيران . و الفرنج تنظر إليهم من مراكبهم ، و جاء عدة من قتل من المسلمين فى المعمعة ثلاثة و سبعون[3] ، و جرح منهم نحو مائة نفس . ثم صار[4] المسلمون يصرخون[5] و يقولون[6] : انزلوا يا كلاب النصارى برنا قاتلونا حتى نجعلكم مثل أصحابكم كيمان نطاق فيكم النار . فامتنعوا من النزول ، و لسان حالهم يقول : نحن بمراكبنا لا نزول ، لنصير طعما للسيف

---

(١) فى الأصل : فهرعت .

(٢) فى الأصل : فقتلت .

(٣) فى الأصل : سبعين .

(٤) فى الأصل : صارت .

(٥) فى الأصل : تصرخ .

(٦) فى الأصل : و تقول .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البتار ، و شواء على وهج النار . ثم إنهم جذفوا بالأسطول حتى غابوا عن أعين الناس . فقال[1] المسلمون : خذوا حذركم منه ، فان الملعون عملها حيلة و مكيدة ، و لا بد أن يعود ، فوقفوا على الساحل ، فعاد يطلب الفساد ، فرأى الناس على حالهم وقوفا[2] ، فلم تنفعه حيلته ، و أرست بالمينة أفروطته ، و إذا بعلج رمى بنفسه من المراكب إلى البحر طالبا الساحل بالعوم ، فرمى[3] أربعة من العلوج أنفسهم[4] [فى] البحر خلفه ليقبضوه و هو يصرخ و يقول : أيها المسلمون ! إنى مسلم أسير ، انصرونى بحق العلىّ الكبير . فرمى[3] المسلمون على الأربعة العائمين خلفه بالنشاب ، قتلوا ثلاثة و رجع الرابع إلى الأفروطة ، و وصل المسلم الأسير الساحل سليما بقدرة العليم الخبير ، فاحضر بين يدى الأمير ، فقال من أنت ؟ و من تكون ؟ قال : مسلم ابن مسلم . قصدت النجاة من الأسر ، فرزقنى الله تعالى السلامة و النصر . فقال له : حدثنا بخبر هؤلاء الكفرة الأنجاس الفجرة . قال : نعم ، قتل بطرابلس ابن أخت القمرسى ، و إن أمه قالت لأخيها : لا أستقر و لا أهدأ[5] حتى تأخذ لى الإسكندرية أو طرابلس أو أياس فى ثأر ولدى و ثمرة كبدى . فقال لها : إن الإسكندرية لا أقدر عليها لكثرة الجيوش

---

(١) فى الأصل : فقالت .

(٢) فى الأصل : وقوف .

(٣) فى الأصل : فرمت .

(٤) فى الأصل : أنفسها .

(٥) فى الأصل : اهدى .

التى صارت بها . فقالت : و كيف / ظفرت بها أولا ؟ قال : كانت خالية من ٦٤ / ب
الشجعان ، فارغة من الترك و التركمان ، فطمعت فيها عند فرار أهلها منها فظفرت بها . و لو أقام[1] أهلها بدائر سورها ، و رمى كل واحد منهم بحجر ، لرأيت فيمن معى المبر ، و أما طرابلس فغلبت عنها . و ها هو قد عاد إليكم يطلب الغدر بكم ، فانظروا ما تصنعون فى أمر هذا الملعون ، فانه لما ظفر بالإسكندرية صار كالمجنون ، و قد أنفق على هذه الأفروطة ما حصل له من الإسكندرية . ثم إنه ركب الديون ، فصار الملعون مغبونا[2] ، قال : فعند ذلك تجهز[3] المسلمون لقتاله و حربه و نزاله ، و أذكوا العيون على الملعون ، فلبست التركمان اللبد المبلول ، و تهيأوا[4] لحربه بالسيف المسلول ، و اللبود المبلولة من عادتها أنها لا[5] تؤثر فيها السهام ، و لا يفعل فيها السنان و لا الحسام .

ثم إن العلوج نزلوا الساحل و اصطفوا صفوفا . فقال أمير المسلمين لأصحابه : تقهقروا وراءكم لتطمعوهم فيكم ، فصار كلما[6] زحفت الفرنج لنحو البلد يتقهقر[7] المسلمون . فلما بعدوا عن الساحل هلل[8] المسلمون

(١) فى الأصل : اقامت . (٢) فى الأصل : مغبون .
(٣) فى الأصل : تجهزت .
(٤) فى الأصل : تهيأت .
(٥) فى الأصل : لم .
(٦) فى الأصل : كل ما .
(٧) فى الأصل : تقهقرت .
(٨) فى الأصل : هللت .

Marfat.com

عليهم بالدبابيس و الطير ، تركوهم على الأرض عبر ، فهرب من هرب منهم إلى المراكب ، ما بين سالم و عاطب . ثم لما كان بعد العصر ، جذفت الأفروطة طالبة كبد البحر ، إلى أن غابت عن العين . فقال أمير المسلمين لجيشه : احتفظوا على أنفسكم فان الملعون قصده [أن -[1]] بعمل حيلة ومكيدة يأتيكم بها ، فكونوا على حذر منه . فأقاموا راكبين خيولهم ، فبينما هم فى الليل راكبون[2] ، و إذا بالصراخ من القلعة عاليا ، و إذا بالملعون رمى من البعد ثلاثمائة علج فى غير موضع الحرس ، زحفوا إلى القلعة الخارجة / عن البلد ، نقبوا تحت عتبتها ليدخلوها ، فقطنت بهم ٦٥/ الف النسوان اللاتى[3] حصنهم[4] المسلمون بها ، فرمين عليهم من ممرق الباب حجارة كثيرة ، و أطلقن الصراخ ، فعطف الجيش على تلك العلوج الذين[3] كالبروج . قتلوا منهم مائة علج ، و هربت البقية إلى المراكب . فعند ذلك دخل الأسطول البحر ، راجعا بالخيبة و القهر ، و لم يعد بعد ذلك لخسارته فى تجارته .

و منهم من قال : إن أخت القبرسى قالت له : لا أستقر و لا أهدأ[5] حتى تخرب طرابلس و تجعلها كوما لتصير كنيسة على ولدى المقتول بها بسيوف المسلمين . فعاد الملعون إليها فى الشتاء لقطع الثلوج بالطرق إليها ،

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) فى الأصل : راكبين .
(٣) فى الأصل : التى .
(٤) فى الأصل : حصنتهم .
(٥) فى الأصل : اهدى .

Marfat.com

لتمتنع النجدة من الإتيان لنصرتها . فلما أتى الملعون إلى مينتها ، خرج إليه جيشها ، فلم يستطع النزول إلى البر لما رأى على الساحل من كثرة الفرسان المتشبهين للعقبان . فرجع الملعون حيث أتى ، و لم تنفعه حيلة الشتا .

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين آمين : حدثنى الشيخ الصالح أبو محمد إسماعيل بن سليمان الحلى بالإسكندرية ، و كان إذ ذاك مقيما بها ، قال : لما دخلت الإفرنج طرابلس الشام فى أوائل سنة تسع و ستين و سبعمائة ، دخل منهم دار الحاج محمد بن بهادر التاجر اثنا عشر علجا ، و كان له بها جفان سكر كبيرة ، فأحاط[1] المسلمون بالدار ، فصارت الفرنج يكسرون[2] تلك الجفان السكر و يرمون[3] بها على المسلمين عوضا عن الحجارة التى عجزوا عن قلعها لقوة عمارة الدار و لعدم الفؤس التى ليست معهم يقلعون بها الحجارة إذ ليس معهم غير سيوفهم . / فأتى إليهم الأمير جرجى[4] برجاله ، عمل عليهم الحيلة ٦٥ / ب حتى قبضهم منها و قررهم ، فقالوا : إن نصارى أهل الذمة الذين[5] بسواحلكم يكاتبون[6] القبرسى يعرفونه عن أحوالكم و يحرضونه على غزوكم ، فهم الذين كانوا السبب فى إتيان القبرسى إليكم . فكتب الأمير جرجى بذلك إلى السلطان و الأمير يلبغا الخاصكى ، فمنعوا إذ ذاك من التوجه إلى

(١) فى الأصل : فأحاطت .
(٢) فى الأصل : تكسر . (٣) فى الأصل : ترمى .
(٤) ورد الاسم فى مواضع أخرى (انظر الفهارس) .
(٥) فى الأصل : التى . (٦) فى الأصل : يكاتبوا .

Marfat.com

قبرس بسبب متاجرهم التى بها ، و التى يستصحبونها[1] معهم إليها ، فضاعت متاجرهم التى بقبرس ، و بادت متاجرهم التى جهزوها إليها ، و حفظت السواحل بالتركيز و القبض على المتجسسين ، و قتل النصارى المخبرين ـ انتهى .

ثم قال أيضا : و لما لم يقض القبرسى أربه من طرابلس ، سار بأفروطته إلى انطرسوس أقام بها يوما و ليلة ، فأحرقها جميعها ، لما لم يجد فيها أهلها ، و ذلك لهروبهم منها ، عند معاينتهم لأفروطته الآتية إليهم .

ثم إن الملعون توجه بأفروطته إلى مرقيـة[2] ، أحرق منها ثلاثة[3] بيوت ، فأدركه ابن قنقر التركمانى بمن معه من التركمان ، فهرب منه الملعون ، فتوجه إلى بانياس[4] تحت المرقب . فأقام بها يوما و ليلة ، و كان[5] أهلها لما عاينوه تركوا له البلد و هربوا منه ، فحرقها و حرق أشجارها . فأدركه جيش المسلمين ، فهربت الفرنج منهم إلى المراكب . فلم يقبض المسلمون[6] من علوج القبرسى غير علج واحد ، فأتى به إلى نائب المرقب ، و المرقب

---

(١) فى الأصل : يستصحبوها .

(٢) مرقيـة وردت فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٥٠١) قلعة فى سواحل حمص .

(٣) فى الأصل : ثلاث .

(٤) بانياس ـ انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس) .

(٥) فى الأصل : وكانت .

(٦) فى الأصل : المسلمين .

Marfat.com

قلعة حصينة على جبل عـال ، فوجه به إلى الأمير منجك بطرابلس ، فقرره فقال : إن القبرسى معه صاحب رودس ، و أراد الصعود لقلعة المرقب ينقبها و ينهبها ، فمنعه صاحب رودس و قال له : هل رأيت أحدا بالقرى التى مررت بها / بالسواحل من طرابلس إلى هاهنا من ٦٦ / الف التركمان و الفلاحين ؟ قال : لا . قال : إنهم بأجمعهم لما سمعوا بنا ، أخلوا قراهم و تحصنوا بهذه القلعة ، فان صعدنا إليهم هلكنا برميهم الحجارة علينا ، لا سيما و الصعود إليهم من طريق ضيق ، و الجبل جميعه وعر المسلك ، فامض بنا و اتركهم لئلا نهلك .

قال : ثم إن القبرسى توجه إلى بلد جبلة[1] ، فانكسر له مركب بشمال البلد ، فتوجه إلى اللاذقية[2] . فأتى إليه ابن دولسّا التركمانى ، لأن دركه موضع[3] يقال له : الهدانى ، عند الجبل الأقرع[4] بالقرب من السويدية[5] ، أتى للقائه فى رجاله ، و قد نزل من الإفرنج جماعة إلى البر معهم ستة[6] أكاديش[7] و فحال من الخيل ، فهربت الإفرنج عند مقابلتهم لهم ، و تركوا الخيول المذكورة خوفا من القتل لتقصير جريها ، فوجدت تلك الخيول مقطوعة الأذناب ، فحملها[8] ابن دولسّا إلى الأمير منجك بطرابلس ،

(١) جبلة ـ انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) اللاذقية ـ انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣) فى الأصل : موضعا . (٤) الجبل الأقرع ورد فى Dussand, Topographie historique de la Syrie antique et medievale. ص ٤٢٣ بين اللاذقية و أنطاكية جنوب السويدية .

(٥) السويدية ـ انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس) . (٦) فى الأصل : ست .

(٧) أكاديش ـ انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس) . (٨) فى الأصل : فحملتها .

Marfat.com

فأعطاه منها ثلاثة أكاديش . فقلت لإسماعيل المخبر بذلك: ما سبب قطع أذنابها ؟ قال : هذا يقال له التهليب ، و خيل مهلوبة - اذا قطعت أذنابها ، و ذلك يكون بسبب الحرب ، فانه يخاف من أدنابها أن تمسك عند الكسرة ، فتمتنع من المشى، فيكون ذاك سببا لقتل فارسها سرعة ، و لذلك تعقد أذنابها إلى جهة أجنابها ، و تستر بالبركستوانات[1] خوفا من ذلك .

[أخبار البنادقة و الجنويين بالإسكندرية -[2]]

قال المؤلف غفر الله له و للمسلمين أجمعين: و إذ قد سردت الأقوال التى قيلت فى وقعة طرابلس الشام و غيرها ، فسأذكر الآن أخبار البنادقة و الجنويين بمينة الإسكندرية إن شاء الله تعالى على الترتيب .

٦٦/ب ١٠ / ذكر ما اتفق للمسلمين مع البنادقة و الجنوية بمينة الإسكندرية الشرقية . و فى يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر سنة تسع و ستين و سبعمائة[3]، ذكر أن بمراكب الجنوية أسيرا مسلما من بلاد التركية ، فطلبه المسلمون منهم ، فامتنعوا أن يدفعوه لهم ، و ذلك بعد أن أوقرت الجنوية و البنادقة مراكبهم السبعة بمتاجر البهار ، و هم عازمون[4] على السفر إلى بلادهم . ١٥ و كان بالإسكندرية حينئذ من الفرنج نحو مائتى نفر ما بين تجار و غلمان يتسوقون للسفر ، فمنعهم المسلمون الخروج من باب البحر . فسأل من

(١) و ردت الكلمة فى قاموس Steingass الفارسى « بركستوانور » An armour clad horse ; one riding on such و جاءت فى « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى (ج ١٥ ص ٣٥٧) « خيول عليها بركستوانات ملونة و سروج مغرّقة » .
(٢) العنوان غير وارد بالأصل أو الهامش .
(٣) ٢٨ اكتوبر سنة ١٣٦٧ م (٤) فى الأصل : عازمين .

Marfat.com

بالمراكب من أصحابهم أنهم يطلقون[1] لهم الأسير المذكور على أن يطلقوا لهم الفرنج المتعوقين، فرضى المسلمون بذلك، فنكثوا و منعوه، و طلبوا أصحابهم يخرجون إليهم، فامتنع[2] المسلمون أن يطلقوهم لهم إلا به، فنزلت الجنوية إلى سيالة المنار، أخذوا من الصيادين رجلين، و أتى قارب كبير من مراكبهم إلى الساحل بالسلاح ليقبضوا على رائس دار الصناعة و هو إبراهيم التازى لوقوفه ذلك الوقت بالساحل معه بعض رجاله، ففهم إبراهيم بما أتوا به، فخاض إلى القارب، و طبق على علج منهم رماه البحر، فتسلمه بعض أصحابه، و عطفوا أصحاب الرائس سريعا على القارب أخذوه بمن فيه من تلك الأعلاج، و قبضوهم كالقبض على الدجاج، فأتت الترك الخيالة الذين كانوا حينئذ بالجزيرة يرمون[3] النشاب على جارى عادتهم بسبب الإدمان، فقبض كل واحد منهم على شوشة[4] إفرنجى، و صار سائقا فرسه، و العلج يجرى إلى جانبها بجريها و الدماء قد سالت[5] منهم بما فعلته قواد[6] الرائس بهم حين القبض عليهم من قاربهم، فسجنوا و رسم على جميع الفرنج المتأخرين فى البلد عن

(١) فى الأصل : يطلقوا .

(٢) فى الأصل : فامتنعت .

(٣) فى الأصل : يرموا .

(٤) أى ذؤابة شعر الراس .

(٥) فى الأصل : سال .

(٦) فى الأصل : قياد .

/ الف المراكب . فلما عاينت [1] الفرنج / الذين [2] بالمراكب ما حل بأصحاب القارب من المصائب ، و منع أصحابهم من الخروج إليهم ، زحف إلى الساحل غراب من غربان البنادقة ، رموا بالنشاب على من لبس سرابيل حربه من الجند ، وقفوا على الساحل بسبب حرب إن وقع ، فرمتهم الجند أيضا بالسهام ، فجرح من الإفرنج جماعة ، و قال [2] لهم المسلمون : إن لم تعطونا الأسير و الصيادين و إلا أهلكناكم عند خروجكم من ضيق فم المينة أجمعين . فحينئذ أطلقوا الأسارى الثلاثة . فلما حصلت [3] تلك الثلاثة على البر ، دعا [4] نائب السلطان بتجار الإفرنج و القناصلة المقيمين بالإسكندريـــة ، فأخرجوا إلى الساحل ، فرسم أن يقرأ عليهم كتاب السلطان الوارد عليه الآن ، فقرئ عليهم ، و هو يتضمن تعويق البنادقة و الجنوية و جميع أجناس الفرنج عن السفر ، و أن الفرنج جميعهم لا يدخلوا [5] سواحل المسلمين بمتجر أبدا إلا أن أتوا بأموال الإسكندرية و جميع أسراها . فلما سمعت القناصلة و التجار ذلك كتبوا كتابا بالخط الرومى ، و دخل به رجل من المسلمين البحر و جعله بعقب رمح و غرز

---

(١) فى الأصل : التى .

(٢) فى الأصل : و قالت .

(٣) أى أدركت البر .

(٤) فى الأصل : ادعا .

(٥) فى الأصل : يدخلو .

Marfat.com

سنانه بقاع البحر و رجع إلى البر . فأتى قارب من مراكب الفرنج أخذه و رجع به إلى المراكب . فلما قرأوه ، تيقنوا أن أصحابهم مأسورون[1] . فبينما هم كذلك و إذا بمركب تشق[2] البحر آتية ، فحين أرست أخبروا أهلها بالخبر ، فرفع ما كان فيها من متجر فرق[3] فى تلك المراكب . و أخذوا قلعها و صاريها و سكانها و تركوها قصعة بسبب عيبها التى انعابت[4] به و سافروا فى الليل و تركوها . فطولع السلطان بما اتفق من الفرنج ، فورد مرسومه إلى الإسكندرية بحملهم إلى القاهرة ، فحملوا إليها و سجنوا بسجنها .

/ذكر العناية بالإسكندرية و تولية ملك أمرائها يصير مقيما كدمشق و حلب ٦٧/ب

و فى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع و ستين و سبعمائة[5] ورد إلى الإسكندرية ملك الأمراء سيف الدين أسنبغا بن البوبكرى فى موكب جليل ، و حال جميل ، و صحبته من الأمراء عشرون أميرا ، منهم طبلخانات و عشراوات .

أما الطبلخانات فهم الأمير ناصر الدين بن قشتمر و الأمير أقبغا مصطفى و الأمير دقماق بن طغنجق و الأمير ناصر الدين بن شرف الدين

---

(١) فى الأصل : مأسورين .
(٢) التأنيث بتأويل السفينة .
(٣) فى الأصل : فرقت . (٤) كذا .
(٥) ٧ نوفمبر سنة ١٣٦٧ م .

و الأمير قطلبغا جركس و الأمير طقبغا صاووق و الأمير ناصر الدين ابن بكتمر و الأمير ناصر الدين بن سلار و الأمير سيف الدين بن قبلية و الأمير اروس .

و أما العشراوات فهم الأمير أحمد بن صرغتمش و الأمير ابن دلنجى و الأمير الطنبغا العلائى و الأمير ابن قطليجا الحموى و الأمير على بن قمارى و الأمير سودون و الأمير قمارى و الأمير ناصر الدين بن كتبغا و الأمير قشتمر التقزدمرى[1] .

و صار[2] حجاب ملك الأمراء اسنبغا ثلاثة ، فحاجب الحجاب الأمير صلاح الدين خليل بن عرام ، و يليه الأمير بهاء الدين أصلان الحاجب و الأمير سيف الدين بكتمر العلمى الحاجب أيضا . فصارت الإسكندرية يضرب بها فى كل ليلة أربع عشرة[3] طبلخاناة : الواحدة لملك الأمراء ، و العشر[4] لعشرة أمراء ، و واحدة لحاجب الحجاب ، و واحدة لأصلان الحاجب ، و واحدة بأعلى باب الصناعة .

---

(١) من الواضح أن مثل هذه البيانات الدقيقة بما ورد فيها من الأسماء تكتمل بذكرها محتويات التواريخ المعاصرة مثل «كتاب السلوك» للمقريزى و «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى و غيرهما لا سيما و أن النويرى كان شاهد عيان لتلك الأحداث .

(٢) فى الاصل : و صارت .

(٣) فى الأصل : اربعة عشر .

(٤) فى الأصل : العشرة .

و صار ملك الأمراء يركب يوم الاثنين و يوم الخميس فى موكب جليل، و حال جميل، فيه الأمراء المذكورون بأتباعهم[1]، و تركب لركوبه أجناد الحلقة المنصورة المجردين بها و الأجناد المركزين بها، و هم أرباب الجوامك . و يجلس ملك الأمراء / بعد الموكب بدار العدل، ٦٨/ الف يفصل القضايا بين الناس . فبينما هو جالس بدار العدل، و إذا بمركب ٥ قدم من بلاد الإفرنج إلى مينة الإسكندرية، فلم يخرج منها أحد يأخذ واصلها كجارى العادة . فلما لم يأتهم أحد، أتى من المركب قارب إلى الساحل فيه سبعة من الفرنج، منهم ثلاثة تجار[2] و أربعة بحرية، فمثلوا بين يدى ملك الأمراء و هو جالس بدار العدل . فقال لهم: أما بلغكم مرسوم السلطان بأن أحدا[3] من سائر أجناس النصارى ١٠ لا يدخل[4] للمسلمين برا، و لا يطأ[5] لهم أرضا، إلا أن تأتى بقية أسارى الإسكندرية و رسل السلطان المعوقين بقبرس . فقالوا: إن لنا فى البحر ما يزيد على شهر، و لم نسمع بشىء . فاقتضى رأى ملك الأمراء أن السبعة يعوقون[6] بالإسكندرية حسب مرسوم السلطان المتقدم ذكره

(١-١) فى الأصل : المذكورين باتباعها .

(٢) فى الأصل : تجارا .

(٣) فى الأصل : أحد .

(٤) فى الأصل : لا يدخلوا .

(٥) فى الأصل : لا يطؤا .

(٦) فى الأصل : يعوقوا .

Marfat.com

و المتضمن بأن كل من وطئ بر المسلمين من الفرنج يقبض عليهم و على أموالهم و مراكبهم ، و إن تعذر القبض على مراكبهم ، فليطردوا من المين ، فرسم ملك الأمراء أن يخرج إليهم إبراهيم التازى رائس دار صناعة الإسكندرية فى رجاله و رماته يأخذ المركب بما فيه من المتاجر و الرجال . فخرج إليهم فى زورقين ، و وقع القتال بينهم . فلما رأت الفرنج الجد من المسلمين فى القتال ، قطعوا سرياقات مراسى مركبهم و هربوا . فأخذ[1] المسلمون مراسيها من قاع البحر ، و طولع السلطان بذلك ، فورد المرسوم بحمل السبعة إلى القاهرة ، و من بقى بالإسكندرية مسجونا من الفرنج ، فحملوا إلى القاهرة فى السلاسل و الأغلال ، يخشى[2] الأيدى مشاة حفاة ، و ذلك فى جمادى الأولى سنه تسع و ستين و سبعمائة[3] ، و حبسوا عند الإفرنج بالمتقدم ذكرهم ، / فصاروا مثقفين فى ٦٨/ب السجون . يعملون[4] بالنهار فى العمائر السلطانية ، و بالليل فى السجون يبيتون ، قد أكلت سوقهم القيود ، و رتع فى أجسامهم بق خزانة البنود ، و المسلمون يصيحون عليهم و يقولون : يا كلاب النصارى لا خفف الله عنكم العذاب ، ما تسمعون لأقوال[5] الكافر بولص ، و لا تجتمعون

(١) فى الأصل : فاخذت .

(٢) فى الأصل : مخشبين .

(٣) ديسمبر سنة ١٣٦٧ - يناير سنة ١٣٦٨ م .

(٤) فى الأصل : يعملوا .

(٥) فى الأصل : الأقوال .

Marfat.com

أبدا على محبة مسلم مخلص، بل الكفر شعاركم، و الفجور دثاركم، فلعنة الله عليكم فى الليل و النهار، و العشى و الإبكار ! فستلقون فى الدنيا الوبال، و فى الآخرة بجهنم النكال .

[روايات فقهية - [1]]

و روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم عليهما السلام : ٥ يا عيسى ! كم بدن صحيح، و لسان فصيح، غدا بين أطباق جهنم يصيح . قال الله تعالى [2] : "و ان جهنم لموعدهم اجمعين ٭ لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ٭" . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن جهنم سبع دركات : إحداهن السعير للشياطين . قال الله تعالى [3] : "و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوما للشيطين و اعتدنا لهم عذاب ١٠ السعير ٭" . و الثانى الجحيم وهى مأوى الطاغين و المؤثرين الدنيا على الآخرة . قال الله تعالى [4] : "فاما من طغى ٭ و اثر الحيوٰة الدنيا ٭ فان الجحيم هى المأوى ٭" . و الثالثة سقر و هى لتاركى [5] الصلاة و المانعى [6] الزكاة .

---

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٢) قرآن كريم سورة ١٥ آية ٤٣ و ٤٤ .

(٣) قرآن كريم سورة ٦٧ آية ٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٧٩ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٥) فى الأصل : لتاركين .

(٦) فى الأصل : المانعين .

Marfat.com

قال الله تعالى[1]: " يتساءلون ٥ عن المجرمين ٥ ما سلككم فى سقر ٥ قالوا لم نك من المصلين ٥ و لم نك نطعم المسكين ٥ " . و الرابعة الحطمة و هى مأوى الهمازين . قال الله تعالى[2]: " ويل لكل همزة لمزة ٥ الذى جمع مالا و عدده ٥ يحسب ان ماله اخلده ٥ كلا لينبذن فى الحطمة ٥ " . و الخامسة الهاوية و هى مأوى من رجحت سيئاته على حسناتـــه عند الوزن فى القيامة . قال الله تعالى[3]: " و اما من خفت موازينه ٥ / فامه ٦٩/ الف هاوية ٥ " . و السادسة لظى و هى مأوى الكفـار و البخلاء . قال الله تعالى[4]: كلا انها لظى ٥ نزاعة للشوى ٥ تدعو من ادبر و تولى ٥ " - يعنى من أدبر عن التوحيد و تولى عنه - و جمع فاوعى ٥ " - يعنى جمع المال و بخل به . و السابعة جهنم و هى مأوى الكفرة . قال الله تعالى[5]: " و الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور ٥ " . و أنشد بعضهم يقول:

يا طالب الظل من شمس إذا طلعت و المستريح إذا ما حـــل أزرار
و المستجير ببرد المـاء من عطش لا تنس عطشة أهل النار فى النار

روى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لما دخل بيت المقدس رأى

---

(١) قرآن كريم سورة ٧٤ آية ٤٠ - ٤٤ .
(٢) قرآن كريم سورة ١٠٤ آية ١ - ٤ .
(٣) قرآن كريم سورة ١٠١ آية ٨ - ٩ .
(٤) قرآن كريم سورة ٧٠ آية ١٥ - ١٧ .
(٥) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٣٦ .

Marfat.com

المجتهدين و الرهبان و القسيسين و الأحبار قد تدرعوا بمدارع الشعر ، و لبسوا برانس الصوف . و خرقوا التراقى ، و سلكوا فيها السلاسل ، و شدوها إلى سوارى المسجد . قال : فأتى يحيى عليه السلام إلى أمه فقال : يا أماه ! انسجى لى مدرعة من شعر و برنسا من الصوف . قال : ففعلت ذلك ، فتدرع بالمدرعة و لبس الصوف ، و تعبد مع الرهبان و القسيسين . قال : فنزع ذات يوم مدرعته ليقلبها ، فنظر إلى نحول جسمه فبكى . قال : فأوحى الله تعالى إليه « يا يحيى ! أتبكى على نحول جسمك ! و عزتى و جلالى ! لو اطلعت اطلاعة فى النار لتدرعت الحديد فضلا عن المسوح ، و لبكيت الصديد فضلا عن الدموع » . قال : فلم يزل يحيى يبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه ، و بدت أنيابه و أضراسه . فقالت له أمه : يا بنى ! لو اتخذت قطعتين من اللبود تقيان خديك . قال : فأجابها إلى ذلك . قال : وكانت أمه إذا ابتلت اللبود / و استنقعت مسحت دموعه بمدرعتها . ٦٩ / ب
قال : فكان يحيى يقول : اللهم ! هـذه دموعى ، و هذه أمى ، و أنت أرحم الراحمين . قال : فقال أبوه يوما و قد رآه قد اجتهد فى العبادة فقال : يا بنى ! ما هذا البكاء . إنما سألت الله أن يهبك لى قرة عين . قال : يا أبت ! ألست أنت أخبرتنى أن جبريل عليه السلام أخبرك أن بين الجنة و النار عقبة لا يجوزها إلا الباكون من خشية الله . قال : بلى يا بنى ! قال : أفتلومنى على أن أبكى من خشية الله تعالى ! لعلى أجوز تلك العقبة ، كما قال بعضهم : دخولك فى الدنيا مع البكاء ، و خروجك من الدنيا مع البكاء ، فالبكاء فى دخول الدنيا و البكاء فى الخروج منها .

Marfat.com

و اختلفوا فى بكاء الصبى حين يولد، فروى عن بعض الأحبار أن ملك الموت يقول له فى أذنيه إذا ولد: إن الله يقول لك: عبدى! أخرجتك من بطن أمك طاهرا، فهذا الذى يبكيه حين يولد. و قيل إنما يبكى لوقوعه فى دار المحنة و البلاء، و دار الزوال و العناء. و قيل إن الصبى إذا قطعت سرته عن سرة أمه بكى. يا هذا! هذه حالة القطع من المخلوق، فكيف بحالة القطع عن الخالق!

و قيل إن بعض السلف كتب إلى أخيه: أما بعد يا أخى! فان الدنيا نوم، و الآخرة يقظة، و نحن فى أضغاث أحلام - و السلام.

و أنشد يقول:

قدّم لنفسك ما تسر به فالمرء مرتهن بما قدّم
و الموت أعظم ما يعاينه و لما يعاين بعده أعظم

و قيل كان زكريا عليه السلام إذا جلس فى مجلس يعظ فيه بنى إسرائيل يلتفت يمينا و شمالا ينظر إلى ولده يحيى، فاذا لم يره تكلم و وعظ، قال: فوعظ يوما و كان يحيى فى المجلس قد لفّ رأسه فى مدرعته، و جلس آخر الناس، فقال زكريا: حدثنى جبريل أن فى النار جبلا[1] يقال له سكران، فى أصل ذلك / الجبل واد يقال له الغضبان، / الف يغضب لغضب الرحمن، فى ذلك الوادى جباب من نار عمق كل جب مسيرة مائة عام، فى تلك الجباب توابيت من نار، فى تلك التوابيت أسفاط من نار، فى تلك الأسفاط ثياب من نار و سلاسل من نار

(١) فى الأصل: جبل.

Marfat.com

و قيود من نار و أغلال من نار . قال : فلما سمع يحيي عليه السلام ذلك خرج هائما على وجهه و هو ينادى بأعلى صوته : واغوثاه من غضبان يغضب لغضب الرحمن . قال : فقام زكريا عليه السلام إلى أم يحيي فقال : الحق بابنك ، ما أراك تلحقينه[1] حتى يفارق الدنيا . قال : فخرجت و معها نسوة من بنى إسرائيل ، فقلن[2] لها : أين تريدين ؟ فقالت : أطلب ولدى و قرة عينى يحيي ، إن والده زكريا وعظ بنى إسرائيل ذكر النار ، فخرج هائما على وجهه . قال : فذهبت مع النساء ، فاذا هى براع[3] يرعى غنما له ، فقالت : بالله عليك ! هل رأيت شابا صفته كذا و كذا ؟ قال : عساك تطلبين يحيي بن زكريا ! قالت : نعم ، ذلك ولدى و قرة عينى و ثمرة فؤادى . قال : تركته الساعة على عقبه الثانية قد دلى قدميه فى الماء ، رافعا رأسه إلى السماء و هو يقول : و عزتك و جلالك ! لا أشرب بارد الماء ، و لا أكل طيب الطعام حتى أعلم أين منزلى فى الجنة أم فى النار . قال : فأتت إليه أمه ، فوضعت رأسه بين قـــدميها ، و أقبلت تناشده الله و تقول : بحق ما أرضعتك من ثدى ، و حملتك فى بطنى ، و ربيتك فى حجرى ، الا أكلت هذه القرصة الشعير ، و تقويت بها على طاعة ربك . فقال : يا أماه ! تأمرينى بأكل الطعام و ملك الموت فى طلبى ، و الموت غايتى ، يا أماه ! أتأمرينى بأكل القرصة و أنا أخاف أن يكون مصيرى إلى النار ، و قرينى الشيطان

(١) فى الأصل : تلحقيه .

(٢) فى الأصل : فقالوا .

(٣) فى الأصل : براعى .

و الحاكم الرحمن . فقالت : / يا يحيي ! هل لك أن تنطلق معى إلى منزلى ؟ ٧ / ب
قال : ففعل ، فلما رجع إلى المنزل قال له أبوه زكريا : يا بنى ! إن لى إليك حاجة . قال : و ما هى يا أبت ؟ قال : تلبس هذه الجبة الصوف على جسمك ، فانها ألين من جبة الشعر . قال : ففعل ، و اتخذ له أبوه مرقة من عدس فشربها ، قال : فلما وجد لين الجبة نام عن الصلاة ، فنودى فى منامه : يا يحيي ! أردت دارا خيرا من دارى ، و جوارا خيرا من جوارى ! قال : فقام يحيي من منامه و قال : يا أبت ! ردوا على مدرعة الشعر ، و خذوا جبتكم الصوف . ثم ازداد فى البكاء و العبادة هو و أبوه ، فأوحى الله إليهما « انى قد أمنتكما من النار » . قال : فعند ذلك اطمأنت قلوبهما ، و ازدادا فى العبادة . و أنشد بعضهم يقول :

إنى أبثك من حديثى ء و الحديث له شجون
قل لى غدا فى القبر و كيف ترى أكون

و لبعضهم :

ما بحيا مع المنايا سرور ملك الموت فى البلاد يدور
كم سرور قد غيرته الليالى و بلاء يحثه المقدور
أيها الرجل المقيم بدار يتمادى و قبره محفور

شكا رجل إلى بعض المشايخ كثرة النوم قال : اذهب فاشكر الله على العافية ، فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكو منه .

و قيل لا شىء أشد على إبليس لعنه الله من نوم العاصى ، يقول متى يتنبه و يقوم حتى يعصى الله عز و جل .

و قيل

Marfat.com

و قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما، فقال أحدهما: النوم خير لأن الأنسان لا يعصى الله تعالى فى تلك الحـالة . و قال الآخر: اليقظة خير لأنه يعـــرف الله فى تلك الحالة . قال: فتحاكما إلى ذلك الشيـخ، فقال: أما أنت الذى قلت بتفضيل النوم ، / فالموت خير لك من ٧١ / ا
الحياة ، و أما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك . ٥

و قال بعضهم: فى النوم معان[1] ليست فى اليقظة، إنه يرى المصطفى صلى الله عليه و سلم و الصحابة و السلف الماضين فى النوم و لا يراهم فى اليقظة . و فى بعض الأخبار أن النوم أخو الموت، قال الله[2]: "و هو الذى يتوفـٰكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار" .

و قيل لما قال إبراهيم لولده إسماعيل عليهما السلام: "انى ارى فى ١٠ المنام انى اذبحك فانظر ما ذا ترى" قال: يا أبت ! هذا جزاء من ينام عن حبيبهٰ، لو لم تنم ما أمرت بذبح الولد . ثم قال: "يـٰابت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصـٰبرين" . و قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كـذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى .

و قال الشبلى: اطلع الحق علىّ فقال: من نام غفل، و من غفل حجب . ١٥ فكان الشبلى يكتحل بالملح و بعده بالحناء حتى كان لا يأخذه النوم . و فى معناه أنشدوا:

عجبا للحب كيف ينـام كل نوم على المحب حرام

---

(١) فى الأصل: معانى .

(٢) قرآن كريم سورة ٦ آية ٦٠ .

Marfat.com

و قيل إن كنت حاضرا فلا تنم ، فان النـــوم فى الحضرة سوء أدب ، و إن كنت غائبا عن الحضرة ، فأنت من أهل المصيبة و الحسرة ، و المصاب لا يأخذه النوم . و أما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم ، و إن الله تعالى يباهى بالعبد إذا نام فى سجوده ، يقول : انظروا إلى عبدى روحه فى محل النجوى ، و بدنه فى نشاط العبادة . و قيل كل من نام على طهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش و تسجد لله تعالى . قال الله تعالى[1] : "و جعلنا نومكم سباتا" .

رئى مالك بن أنس / فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بكلمة كنت أقولها عند رؤية الجنازة : سبحان الحى الذى لا يموت ! و رئى الجنيد فى المنام بعـــد موته ، فقيل له : كيف حالك يا أبا القاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، و بادت تلك العبادات ، و ما نفعنا إلا تسبيحات ، كنا نقولها بالغدوات .

رأى أيوب السختيانى جنـازة رجل عاص ، فدخل إلى دهليز داره حتى لا يصلى عليها ، قال : فرأى بعضهم الميت فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، و قال لأيوب : "قل لو انكم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لامسكتم خشية الانفاق[2]" .

و قال بعض الصالحين : راودتنى نفسى بالدخول إلى بلاد الكفر عسى أن أرى فيها مسلما يعبد الله بينهم ، فدخلت إلى أرضهم ، فأخذونى أسيرا ،

---

(١) قرآن كريم سورة ٧٨ آية ٩ .

(٢) قرآن كريم سورة ١٧٧ آية ١٠٠ .

Marfat.com

و فرح بى من أخذنى ، و كتفنى و أتى بى إلى السوق ليبيعنى ، فاشترانى شخص محتشم فى الفرنج ، و وقفنى[1] خادما على الكنيسة ، فباشرت خدمتها أياما ، و إذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة و مباخر و طيبا ، فقلت لهم : ما الخبر ؟ قالوا : الملك عادته زيارة الكنيسة يوما فى السنة ، و قد جاء وقت زيارته ، و نحن نهيئها له ، و نخليها لا يبقى فيها أحد ، بل يدخلها وحده يتعبد فيها ، فلما غلقوها ، بقيت أنا فيها ، و احتجبت منهم فلم يرونى . و إذا بالملك قد جاء ، ففتحوها له و دخل وحده ، و غلق عليه الباب ، فدار بالكنيسة يفتشها و أنا أنظره و هو لا يرانى ، و لا يعرف مكانى ، إلى أن اطمأن و دخل المذبح الذى فيها ، و توجه لقبلة المسلمين و كبر و صلى صلاة المسلمين ، فقيل لى فى سرى هذا الذى أردنا[2] لك / الاجتماع به ، ٧٢ / الف فظهرت و وقفت خلفه حتى فرغ من صلاته ، و التفت رآنى قال : ما تكون ؟ قلت : مسلم مثلك ، لأنى رأيتك تصلى صلاة المسلمين لقبلتهم لا لقبلة النصارى و لا صلاة النصارى . قال : و ما جاء بك هاهنا ؟ قلت له : قصدت الدخول لبلاد الكفر لأنظر فيها رجلا مسلما مخلصا صديقا ، و ها أنا قد رأيتك ، و سألنى عن حالى ، فأخبرته بما اتفق لى من استرقاقى و بيعهم لى ، و وقوفى على الكنيسة خادما . ثم إنه كاشفنى و كاشفته ، فوجدته من كبار الصديقين . فقلت له : كيف حالك بين هؤلاء الكافرين و أنت بما أنت عليه فى باطن الحال ؟ قال : يا أخى ! لى بينهم فوائد

(١) فى الأصل : وقفنى .
(٢) فى الأصل : ردنا .

Marfat.com

لا أبلغ مثلها لو كنت بين المسلمين . قلت له : صف لى ذلك . قال : إن توحيدى و إسلامى و أعمالى خالصة لله وحده ، ما لأحد على اطلاع ، و آكل حلالا ما فيه شبهة ، و أنفع المسلمين نفعا لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم و كف أذية الكفار حتى لا يصلوا إليهم ، و أفعل فيهم من القتل و الإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما بلغته ، و سأريك بعض تصرفاتى فيهم . ثم ودعنى و ودعته ، و قال لى : ارجع إلى حالتك ، فاخفيت نفسى و احتجبت عمن يرانى . فخرج الملك و قعد على باب الكنيسة و قال : ائتونى بمن يختص بالكنيسة ، فأحضروا له جماعة و عرضوهم عليه ، و قالوا : هذا بطريقها ، و هذا شماسها ، و هذا راهبها ، و هذا مشارف أوقافها . قال : فمن يخدمها ؟ قالوا له : فلان - يعنون به الذى اشترانى و وقفنى على الكنيسة أخدمها . فقال له : تخدمها بنفسك أو بغيرك . / فقال : اشتريت أسيرا مسلما و وقفته عليها يخدمها . ٧٢/ب فأظهر الملك غضبا عظيما و قال : تكبرتم الجميع على خدمة بيت الرب ، [1]و جعلتم رجلا من غير الملة نجسا يخدم بيت الرب[1] ! السيف ! فضرب رقبة البطريق و الشماس و الراهب و المشارف و خادم الكنيسة الذى اشترانى و جعلنى نائبه فى خدمة الكنيسة ، فضرب رقابهم فى حجة الغيرة على بيت الرب ، و أمر النصارى باحضارى ، فحضرت فقدمونى إليه ، فقال : هذا خادم الكنيسة الذى تبرك بخدمتها يستحق فى مقابلة هؤلاء المقتولين الإكرام و التعظيم و الخلع و الركوب و إطلاقه من أسره

(١ - ١) الجملة ساقطة من الأصل و وردت فى الهامش بخط المصحح .

إلى

إلى أوطانه ، ففعلوا بى ذلك ـ انتهى .

أخبار الأولياء و الصالحين

فلنذكر الآن أخبار الأولياء و الصالحين ، و العبّاد المجتهدين ، إن شاء الله تعالى ـ حكى عن الأوزاعى أنه قال : مررت بأسود فى ذروة جبل و هو قائم يصلى ، فقلت : السلام عليك يا أسود ! قال : فأوجز فى صلاته و التفت إلى و قال : إنما الأسود من سود الله وجهه يوم القيامة . فقلت : السلام عليك يا عبد الله ! فقال : و عليك السلام و رحمة الله يا أوزاعى ! قال : فتعجبت من معرفته باسمى و لم أره و لم يرنى قط ، فجل فى صدرى لما ذكر اسمى . ثم قال : اذكر ما تشاء . قال الأوزاعى : فقلت له : كيف الطريق ؟ فانى قد أخطأت الطريق . فقال : يا هذا ! عجبا لمن أعاره الله سمعا و بصرا و جعله بشرا سويا كيف يخطئ[1] الطريق ، ثم قال : يا هذا ! و الله لو أطعت الله عز و جل ثم قلت لهذا الجبل : أقبل أيها الجبل ! لأقبل . قال الأوزاعى : فأقبل إليه الجبل . فقال : إليك عنى أيها الجبل ! أنما ضربتك [مثلا] لأخى هذا . قال الأوزاعى : فعجبت من طاعة الجبل له ، فأقبلت عليه بكليتى و قلت له : أتأذن لى أن أكون معك أيام حياتى أخدمك بنفسى . قال : و من أنا / حتى تخدمنى ! إليك عنى ! لا تشغلنى عن عبادة ربى . قال : ثم رجع إلى صلاته . قال الأوزاعى : ٧٣ / الف

(١) فى الأصل : تخطىء .

فتركته يصلى و مررت إلى حال سبيلى . قال : فلما رآنى قد مررت نادانى : يا عبد الله ! لى إليك حاجة . قلت : و ما حاجتك ؟ فقال لى : إذا أنت أتيت الوادى الذى أمامك و فيه قوم يعبدون الله عز و جل ، فقل : يا وادى ! إن سالما[1] يقرئك السلام و كل ما فيك . قال الأوزاعى : فلما أتيت الوادى قلت : يا وادى ! إن سالما[1] يقرئك السلام و كل ما فيك ، فلم يبق حجر و لا شجر إلا و رد السلام و قالوا : على سالم السلام و رحمة الله و بركاته و عليك يا هذا ، كما أديت الأمانة . قال الأوزاعى : و الله لا صحبت أحدا غير هذا الرجل الكبير القدر الذى أقبل إليه الجبل و سلم عليه الحجر و المدر و الشجر . قال : فرجعت إليه رجاء أن أكون معه أيام حياتى فلم أصبه[2] .

و كان الشيخ عبد الله الأرمنى أحد العبّاد الزهاد ، قال : بينما أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية[3] الإفرنج [أتوا[4]] فأخذونى و قيدونى و شدوا وثاقى ، فكنت عندهم فى أضيق حال . فلما كان النهار شربوا و ناموا . فبينما أنا موثق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا نحوهم ، فأنبهتهم فلجأوا إلى مغارة هناك ، فسلموا من أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعلت هذا و قد كان

(١) ف الأصل : سالم .

(٢) ف الأصل : فلم اصيبه .

(٣) بمعنى اللصوص ف أسلوب العوام بين أهل مصر .

(٤) ساقطة من النص و يكتمل بها السياق .

Marfat.com

خلاصك على أيديهم ؟ فقلت : إنكم أطعمتونى ، و كان من حق الصحبة أن لا أغشكم . فعرضوا على شيئا من متاع الدنيا فأبيت و أطلقونى . فانظر يا هذا إلى هذا الحكم من هذا الشيخ و العفو عمن ظلمه . و قد يكون الشاطر يقطع الطريق و يخيف[1] السبيل ، ثم يصير صالحا عابدا ينتفع به كأبى بكر ابن هوازا ، فانه كان شاطرا يقطع الطريق / بالبطائح بأرض العراق و معه ٥ ٧٣ / ب رفقاء ، و كان هو مقدمهم ، و كانوا يقتسمون الأموال التى يأخذونها[2] من الناس قهرا و غلبة ، فسمع امرأة تقول لزوجها : انزل هنا لئلا يأخذنا ابن هوازا و أصحابه . فاتعظ و بكى و قال : لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ! صار الناس يخافونى و أنا لا أخاف الله تعالى ! و تاب و انقطع مكانه متوجها إلى ربه عزو جل على قدم الصدق و الإخلاص فى إرادته ، و وقع فى نفسه أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه عز و جل .

و لم يكن فى العراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق ، فرأى فى منامه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال له : يا رسول الله ! ألبسنى خرقة . فقال له : يا ابن هوازا ! أنا نبيك و هذا شيخك - و أشار إلى أبى بكر . ثم قال : يا أبا بكر ! ألبس سميك أبا بكر ابن هوازا كما أمرت . فألبسه أبو بكر رضى الله عنه ثوبا و طاقية . و مر بيده على رأسه ، و مسح على ناصيته ، و قال : بارك الله فيك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر[3] ! بك يحيى سنن أهل العراق بعد موتها ،

---

(١) فى الأصل : يخاف .

(٢) فى الأصل : ياخذها .

(٣) أى أبا بكر بن هوازا .

Marfat.com

و يقوم أرباب الحقائق من أحباب الله بعد درسها ، و فيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة ، و قد هبت نسمات الله بقيامك . ثم استيقظ من نومه ، فوجد الثوب و الطاقية عليه ، و كان برأسه ثآليل [1] فذهبت ، و كأنه نودى فى الآفاق أن ابن هوازا وصل إلى الله تعالى ، فصارت الأسد محدقة حوله بالبطيحة تتمرغ على قدميه ، و أراد أن يرحل عن البطائح و يسكن المدن ، فأحدقت به الحيات ذوات السموم و الأسد الكواسر من الوحش و الطير و الجن ، وسألته بالله العظيم أن لا يرحل عنهم ! فأخذ عليهم العهد أن لا يؤذوا مريدا له و لا محبا إلى يوم القيامة و أن يطيعوه حيث كانوا.

٧٤ / الف / و الشيخ أبو بكر هذا من الهوازيين ، قبيلة من الأكراد ، سكن البطائح ، و مات بها ، و قبره ظاهر يزار . و يقال إنه لما حضرته الوفاة ، غشيته أنوار ساطعة ، و اشتم الحاضرون رائحة شديدة الطيب لم يلشتم فى دار الدنيا أطيب منها . و كانت الأنوار تخترق البطائح ليلا لكثرة ما يطرقها رجال الغيب لزيارته ، و كان مجاب الدعوة ، و دعا بالبركة للبطائح فقال : اللهم ! بارك لنا فى ما شيتنا و نباتنا و أرزاقنا ، فالبطائح ببركة دعوته من أخصب بقاع الأرض و أكثرها خيرا ، و أوسعها رزقا ، و أوفرها ما شية ـ انتهى .

و كان مفرج الدمامينى عبدا حبشيا ، ملكه بعض التجار ، اقام عنده ستة أشهر ما استطعم طعاما ، و لا شرب [2] ماء . و لما رآه سيده على ذلك ضربه ، فلم يؤثر الضرب فيه ، فحبسه على أنه مجنون ، و استندب شخصا لضربه

(١) فى الأصل : ثواليل .
(٢) فى الأصل : يشرب .

لضربه ، فيقول الضارب للجنية : اخرجى ، فيقول له مفرج : خرجت ـ يعنى نفسه : فقيدوه ثم جاؤا به إليه ، فوجدوه خارجا عن القيد ، فأحضروا له فراخا مشوية ، فلخفهم[1] فى الهواء ، و قال لهم : طيروا . فطاروا أحياء باذن الله ، فانكفوا عنه ، و تكاثرت ولايته إلى أن اشتهر حتى أنه كان يكتب اسمه فى الحروز - انتهى .

و كان الشيخ منصور البطائحى مجاب الدعوة . يحكى عنه أنه مر بأسد افترس رجلا ، و قصم عضده نصفين ، فجاء إلى الأسد و أمسك[2] بناصيته ، و قال : ألم أقل لك : لا تتعرض لجيراننا ! فذل الأسد ، و أفلت الرجل ، فقال له : مت باذن الله . فوقع الأسد ميتا . و أخذ الشيخ ما انفصل من عضد الرجل و وضعه مكانه و قال : يا حى يا قيوم ! يا ذا الجلال و الإكرام ! اجبر عظمه الكسير . فانجبر عضده ، و كأن لم يكن به شىء . وسلخ ـ جلد الأسد بيده .

و قال بعض الصالحين : من راقب الله فى خواطره ، عصمه الله فى جوارحه . قيل كان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما / فى سفر ، ٧٤ / ب فرأى غلاما يرعى غنما ، فقال له : يا غلام ! تبيع من هذه الغنم شاة ؟ فقال : إنها ليست لى . فقال : قل لصاحبها : إن الذئب أخذها . قال العبد : فأين الله ! فكان عبد الله بن عمر يقول ذلك إلى مدة : قال ذلك العبد : فأين الله ـ انتهى .

---

(١) و فى الأصل : فلحقهم ـ كذا .

(٢) فى الأصل : مسك .

Marfat.com

و كان الشيخ محمد الشبلكى من أعيان مشايخ العراق و أكابر العارفين . كان فى بداية أمره يقطع الطريق على القوافل و معه رفقة ، فاحتبسوا ليلة قافلة فى قرية الشيخ أبى بكر بن هوازا [المتقدم ذكره آنفا ، و قتلوا فيها و اقتسموا ما كان معها . فلما جاوزوا زاوية الشيخ أبى بكر بن هوازا -[1]] وقت السحر . قال محمد الشبلكى لأصحابه : اذهبوا فلقد أخذ الشيخ أبو بكر بن هوازا بمجامع قلبى ، و لا أستطيع العدول عنه . فقال[2] له أصحابه : نكون معك . و ألقوا ما معهم من النهب . و قال الشيخ أبو بكر بن هوازا [لأصحابه : قوموا نتلقى المقبولين . فخرج إليهم ، فلما رأوه قالوا : يا سيدنا ! الحرام فى بطوننا ، و الدماء فى سيوفنا . فقال : ذروها فقد قبلتم على ما كان منكم . فتابوا على يديه . ثم تولى الشيخ أبو بكر بن هوازا -[3]] مصالح الشيخ محمد الشبلكى ثلاثة أيام ، ثم قال له : اذهب إلى بلد الحدادية ، فقد صرت شيخا مكملا . فذهب إليها ، و كان من أمره ما يذكر عنه من الكرامات ، فمن كراماته أنه جلس فى البطيحة وحده ، فنزل حوله أكثر من مائة طائر و ارتفعت أصواتها ، فقال : يا رب ! قد شوش علىّ هؤلاء . فنظر فاذا الكل

---

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و واردة فى الهامش بقلم آخر لا شك هو قلم المراجع .

(٢) فى الأصل : فقالوا .

(٣) الجملة المحجوزة بتمامها ساقطة من الأصل و وردت بالهامش بنفس القلم كما فى الحاشية السابقة رقم (١-١) .

Marfat.com

موتى . فقال : يارب ! ما أردت موتهم . فقاموا ينتفضون[1] و طاروا . وكان يضرب له ببلد الحدادية النوبة فى الجو ، تضربها الملائكة بالولاية و الشاويش ، يصيح له من فى السماء بالسلطان ، و الملائكة تسلم عليه بالاحترام أفواجا أفواجا . و من كلامه : صلاح القلب فى ثلاثة أشياء : رفض الدنيا ، و الرضى بما قسم ، و الاشتغال بطلب العلم للآخرة . ٥

وكان يقال : عليك بالعلم و الحلم ! فانه لا مال أنفع من الحلم ، و لا تجارة أربح من العلم ، و لا حسب أرفع من الأدب ، و لا تزين أزين من العقل ، و لا رفيق أشنأ من الجهل ، و لا كنز أغنى من التقى ، و لا كرم أجود من ترك المعاصى ، و لا عقل كالتدبير ، و لا ورع مثل كف الأذى ، و لا بضاعة / مثل القناعة ، و لا غائب أقرب من الموت ، و لا شفيع أنجح ١٠ ٧٥/الف من التوبة ، و لا رسول أعدل من الحق . و لا فقر أذل من الطمع ، و لا معيشة أهنأ من العافية ، و لا سلامة أسلم من الصمت ، و لا خبيث أخبث من الحرام ، و لا عبادة أفضل من خشية الله تعالى .

حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : بينما أنا فى تيه بنى إسرائيل ، إذ رأيت شابا بلا زاد و لا ماء حافيا مكشوف الرأس . فقلت فى نفسى : ١٥ يوشك أن يكون هذا الشاب جاهلا ، لا يرى الصلاة غافلا عنها . قال : فالتفت إلىّ وقال : "يعلم السر و اخفى" ، و قال "يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه" . قال أبو يزيد : فوقعت مغشيا علىّ من هيبته ، قال : فلما أفقت من غشيتى لم أره . قال : فلم أزل أدور فى التيه أطلبه يومى ، و ندمت على ما اختلج فى سرى ، و أردت أن ألقاه فأستحل منه ، فلما كان الغد إذا به قائم ٢٠

(١) فى الأصل : يتنفضون .

Marfat.com

يصلى . قال : فتقدمت إليه ، فأوجز فى صلاته ، و التفت إلى و قال : " هو الذى يقبل التوبة عن عباده " . ثم غاب عنى فلم أره . أنشد بعضهم فى تسويفه بالتوبة ـ شعر :

حال قلبى المشؤم حال عجيب أمره فى الذنوب أمر مريب[1]
رأيه فى الذنوب أقبح رأى كلما رمت توبة لا يتوب

و كان الشيخ عزاز البطائحى صاحب كرامات ظاهرة ، و أحوال فاخرة ، و كان يلقب بالباز الأشهب . كان يحب الله محبة عظيمة . و كان يقول : المحب سكران فى خماره ، حيران فى شرابه ، لا يخرج من سكره إلا إلى حيرة . و أنشد يقول :

الحب سكر خماره التلف يحسن منه الذبول و التلف
والحب كالموت يفنى كل ذى شغف و من تطاعمه أودى[2] به التلف
فى الحب مات الذى أصفو محبتهم لو لم يحبوا لما ماتوا و ما تلفوا

٧٥/ب ثم قام إلى شجرة خضراء تنفس عندها فيبست و تناثرت / أوراقها . ثم قال : مثل المحبة مثل صاعقه فيها نار أو ريح فيها رماد ، لو وقعت على الأشجار لجفت[3] ، و لو هبت على الرياح لاضطربت ، و أنشد و جعل

---

(١) زيد هنا ما بين البيتين شطر آخر نصه : « رأيه فى الذنوب أمر مريب » فنقلناه إلى الهامش لاستقامة البيتين الآخرين .

(٢) فى الأصل : أوذى .

(٣) فى الأصل : خفت .

Marfat.com

يقول هذه الأبيات :

إن البلاد و ما فيها من الشجر لو بالهوى عطشت تزوّر بالمطر
لو ذاقت الأرض حب الله لاثقلت[1] أشجارها بالهوى فيها عن الثمر
و عاد أغصانها جردا بلا ورق من حر نار الردى يرمين بالشرر
ليس الحديد و لا صم الجبال إذاً أقوى على الحب و البلوى من البشر

ثم قال لمن حضر : انطلقوا إلى فلان - و سمى رجلا جليل القدر من أهل البطائح - و اسألوه عن المحبة . فسألوه فسكت ، ثم ذاب كما يذوب الرصاص على النار قطرة بعد قطرة ، و نحن ننظره حتى صار كالماء ، فأتاه المشايخ و لفوه بالقطن و دفنوه .

و اعلم أن القرآن شهد بكرامة فى قصة صاحب سليمان حيث قال فى عرش بلقيس[2] : "انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك" ، و لم يكن نبيا بل كان وليا .

و الخبر الذى ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله فى حال خطبته و هو على المنبر فى يوم الجمعة و تبليغ صوت عمر إلى سارية يقول له و عمر بالمدينة و سارية باليمن يقاتل الكفار : يا سارية الجبل ! حتى يحرز سارية من مكامن العدو و من

---

(١) فى الأصل : لاشقلت .

(٢) اسم ملكة سبأ (Queen of Sheba) فى الإسلام و قصتها مع الملك سليمان واردة فى العهد القديم (سفر الملوك أول ١ - ١٠) و فى القرآن (سورة ٢٧ آية ٢٠ - ٤٥) . و فى ذلك دراسات عديدة . انظر المراجع فى دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية ، مجلد أول ص ١٢١٩ - ١٢٢٠) تحت (Bilkis) .

الجبل فى تلك الساعة . و مما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات للأولياء[1] قوله سبحانه و تعالى[2] فى صفة مريم عليها السلام: " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يٰمريم انى لك هذا قالت هو من عند الله " . و قوله سبحانه و تعالى لمريم[3]: " و هزى اليك بجذع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا " و كان فى غير أوان الرطب ، فكان هزها للجذع سببا لنزول / الرطب ، و مما قيل فى المعنى هذه ٧٦/ الف الأبيات :

ألم تر أن الله قال لمريم إليك[4] فهزى الجذع تساقط الرطب
و لو شاء أجنى الجذع من قبل هزها إليها و لكن كل شىء له سبب

و كذلك قصة أصحاب الكهف و الأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم و غير ذلك . و من ذلك قصة ذى القرنين و تمكينه . و من ذلك ما أظهر الله تعالى على يد الخضر من إقامة الجدار الذى أراد أن ينقض ، و ما كان يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام . كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر بها من الأعاجيب و لم يكن الخضر نبيا و إنما كان وليا .

قال بعضهم : قصدت الشيخ أبا الخير التبنانى[5] مسلما ، فصلى صلاة

(١) فى الأصل : على الأولياء .
(٢) قرآن كريم سورة ٣ آية ٣٧ .
(٣) قرآن كريم سورة ١٩ آية ٢٥ .
(٤) وردت الكلمة بالشطر الأول فى النص و نقلناها للأخير .
(٥) لم نظفر بهذه النسبة فى الأنساب للسمعانى ، لعله : التبانى .

Marfat.com

المغرب، فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى، فلما سلمت خرجت للطهارة، فقصدنى السبع فعدت إليه. فقال لى: خفت من السبع! قلت: نعم. قال: لو لا الشهرة لما وضعت زادى إلا على ظهره حتى آتى مكة.

و قال بعضهم: أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة، فأبى[1] أصحابها إلا أن يعطيهم دينارا. قال: فصلى على الشط و قال: اللهم! إنهم قد سألونى ما ليس عندى. قال: فصار الشط كله دنانير، قال فاخذ دينارا و أعطاه لهم و ركب فى السفينة.

و قال بعضهم: كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة، فقال أصحابه: يا أبا تراب! إنا عطاش. قال: فضرب رجله إلى الأرض، فاذا عين من الماء الزلال. فقال لهم: اشربوا. فقال أحدهم: إنى أحب أن أشرب فى قدح. قال: فضرب بيده إلى الأرض، فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما يكون من الأقداح، فشرب و سقى القوم / و كان القدح معهم إلى مكة. ٧٦/ب

و قال الشيخ الصالح ياقوت الحبشى المقبور خارج باب بحر الإسكندرية و قبره يزار، و كان من أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى و أحد خدامه: كنت أتعبد فى مسجد بظاهر الإسكندرية من غربيها فبقيت فيه مواصلا أياما، فأصابنى الجوع، فدخلت الإسكندرية قاصدا للشيخ أبى الحسن، فوجـــدت فى طريق درهما، فأردت أن أشترى

(١) فى الأصل: فابوا.

Marfat.com

خبزا و إداما ، فرأيت فى السوق زبيبا طيبا ، و كنت أعلم أن الشيخ أبا الحسن يحب الزبيب . قال : فاشتريت به زبيبا و آثرته على نفسى ، و قصدته فوجدته جالسا فى الزاوية . قال : فوضعت الزبيب بين يديه ، و جلست ساعة و أردت أن أقوم . فقال لى : اجلس . فجلست . و إذا أنا برجل وصل بمائدة فيها خروف شواء سمين و رقاق ، فقال لى : هذا فتوحك لما آثرتنى على نفسك بالزبيب و أنت جائع فكل . فأكلت وحدى إلى أن امتلأت ، ثم أمر الفقراء يأكلون ، ثم قال لى : ارفع الزبيب و تصدق به ، فانا لا تباح لنا اللقطة .

و لما كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى بتونس ، كان السلطان إذ ذاك أبا[1] زكريا ، و كان قاضيه يقال له ابن البرا ، فتكلم ابن البرا مع السلطان فى أمر أبى الحسن الشاذلى و ما اجتمع عليه من الجموع . فقال السلطان : اجمع الفقهاء و أحضره مجلسى . فجمع ابن البرا جماعة من الفقهاء . و جلس السلطان خلف حجاب . و أحضر الشيخ أبا الحسن الشاذلى ، فسأله[2] الفقهاء عن نسبه ، فانتسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، و تحدثوا معه فى كل العلوم . فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها ، و ما استطاعوا أن يجاوبوه عليها من العلوم الموهوبة ، و الشيخ / يتكلم ٧٧/الف معهم فى العلوم المكتسبة و يشاركهم فيها . فقال السلطان للقاضى ابن البرا : هذا رجل من أكابر الأولياء و ما لك به طاقة . فقال له :

---

(١) فى الأصل : أبو .

(٢) فى الأصل : فسألوه .

Marfat.com

و الله لئن يخرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس و يخرجونك[1] من بين أظهرهم ، فانهم مجموعون على بابك بسببه . قال : فخرج الفقهاء و أمر السلطان الشيخ الشاذلى بالجلوس . فقال الشيخ : لعل [أن - ٢] يدخل علىّ بعض أصحابى . فدخل عليه بعض أصحابه فقال له : يا سيدى ! إن الناس يتحدثون فى أمرك و يقولون : يفعل به السلطان كذا و كذا - و بكى بين يدى الشيخ ، فتبسم الشيخ و قال : و الله لو لا أنى أتأدب مع الشرع لخرجت من هاهنا و من هاهنا . فهما أشار إلى جهة انشق الحائط . ثم قال لى : ائتنى بابريق من ماء و مجادة و سلم على أصحابى و قل لهم : ما أغيب عنكم إلا اليوم خاصة ، و ما أصلى المغرب إن شاء الله إلا معكم . فأتى بما أمره ، فتوضأ و توجه إلى الله سبحانه و تعالى . و كان عند السلطان جارية من أعز نسائه عليه أصابها وجع فماتت فى حينها . فغسلت فى بيت سكنى السلطان ، و اشتغلوا فى دفنها . فنسيت المجمرة بالنار فى البيت فالتهب . فلم يشعروا بها حتى احترق كل ما فى البيت من الفراش و الثياب و الذخائر . فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولى ، فسمع بذلك أخو السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولى . فلما سمع أخو السلطان أبو عبد الله اللحيانى ، و كان فى بستانه بخارج المدينة ، فأتى مبادرا إليه ، و كان كثير الاعتقاد للشيخ أبى الحسن ، فقال لأخيه : ما هذا الذى أوقعك فيه القاضى ابن البرا

(١) فى الأصل : يخرجوك .

(٢) ساقطة من الأصل ، و يكتمل بها السياق .

Marfat.com

أوقعك و الله فى الهلاك / أنت و من معك . قد خلا على الشيخ ، ٧٧/ب
و جعل السلطان يقول له: يا سيدى ! إنى غير عارف بمقدارك - و جعل يقبل يده و يسأله الصفح عنه ، فقال له : و الله لا أملك لنفسى نفعا و لا ضرا ! كان ذلك فى الكتاب مسطورا . و خرج أخو السلطان فى صحبة الشيخ أبى الحسن إلى داره ، فأقام الشيخ أياما . و أمر أصحابه بالنقلة إلى الديار المصرية ، و وجه إلى ابن البرا يقول : أوسع الله عليك مدينة تونس ! ثم إنه لقى الشيخ يوما ابن[1] البرا فسلم عليه ، فأعرض عنه و لم يرد عليه السلام . و إذا هو بحاجب السلطان ، فلما رأى الحاجب الشيخ الشاذلى ترجل عن بغلته و بادر إليه و جعل يقبل يديه و يسأله الدعاء ، و القاضى ابن البرا ينظر ، فدعا الشيخ للحاجب و انصرف و لا ذكر الشيخ ابن البرا بشىء حتى كان بعرفات ، فقال لصحبه : أمنوا على دعائى الآن ، أمرت أن أدعو على ابن البرا ، فقال : اللهم ! طول عمره ، و لا تنفعه بعلمه ، و افتنه فى ولده ، و اجعله فى آخر عمره خادما للظلمة . فكان كذلك .

قال بعضهم : كان ابن البرا قاضى تونس فيه سلاطة ، فقد أنكاه رجل فاضل عالم يعرف بابن حمين ، فأرسل يقول له : لم فعلت كذا و كذا يا ابن سبعين ! يبكته بقوله : ابن سبعين ، و الإنسان لم يكن غير ابن رجل واحد ، ففهم عنه ابن حمين أن قوله ذلك نكاية له و تعريض[2]

(١) فى الأصل : لابن .
(٢) فى الأصل : تعريضا .

Marfat.com

لقذفـــه ، فأرسل يقول للقاضى : يا ابن حثالة المزابل ، و هر شىء من الأشياء إلا ابن سبعين ، و ذلك أن الله تعالى يقول للشىء : كن فيكون ، و الكاف من كن بحساب الجمل لها فى العدد عشرون[1] و النون بخمسين ، فجملة ذلك سبعون[2] ، و أما قولى لك : يا ابن حثالة المزابل / فان البرا ٧٨/الف هى الورقة و الخرق[3] تجمع من المزابل و تغسل و تصنع ورقا . فانتكى القاضى نكاية شديدة بما صدق فيه المرسل له ذلك لعلم القاضى أن كتب الرسائل عند المغاربة يقال لها البرا ، و تصغير البرا بريّة .

و قال محمد بن أبى القاسم الحميرى : حدثنى من أثق به قال : كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يحج عاما و يقيم[4] بالإسكندرية عاما ، فكان العام الذى يحج فيه حركة التتار على الديار المصرية . فاشتغل السلطان الملك الناصر بالحركة عليهم ، فلم يجهز الجيش للركب الحجازى ، فأخرج الشيخ الشاذلى خيمته إلى البركة المعروفة ببركة الحاج ، و تبعه ناس ، قال : و اجتمع بالفقيه المفتى عز الدين بن عبد السلام الشافعى و سألوه عن السفر ، فقال : لا يجوز أن يسافر على الغرر و عدم الجيش ، فأخبر الشيخ الشاذلى بذلك ، فقال : اجمعونى به . قال : فاجتمع به فى الجامع يوم الجمعة ، و اجتمع عليه خلق كثير ، فقال له : يا فقيه عز الدين ! أرأيت لو أن رجلا جعلت الدنيا كلها له خطوة واحدة ، هل يباح له السفر فى المخاوف

(١) فى الأصل : عشرين . (٢) فى الأصل : سبعين .
(٣) فى الأصل : و الخروق ـ المقصود جمع خرقة .
(٤) فى الأصل : أو يقيم .

Marfat.com

أم لا ؟ فقال له : من كان بهذا الحال فخارج عن الفتوى و غيرها . فقال له الشاذلى : أنا بالله الذى لا إله إلا هو ممن جعل الدنيا كلها لى خطوة واحدة ، إذا رأيت ما يخيف الناس أخطو بهم حيث آمن ، و لا بد لى و لك من المقام بين يدى الله تعالى حتى يسألى عن حقيقة ما قلت لك .

٥ و سافر الشيخ رحمه الله إلى الحجاز و تبعه الناس . فظهرت له فى الطريق كرامات كثيرة ، فمنها أن اللصوص يأتون إلى الركب بالليل فيجدون سورا مبنيا كأنها مدينة / فاذا أصبح يأتون إليه و يخبرونه و يتوبون إلى ٧٨/ب الله تعالى و يسافرون صحبته إلى الحج . فلما قضى الحج و رجع ، دخل أول المشاة إلى القاهرة و أخبروا بما رأوا من مواهب الله تعالى له . قال:

١٠ فخرج الفقيه عز الدين بن عبد السلام فتلقاه بالبركة ، فلما دخل عليه قال له : يا فقيه ! و الله لو لا تأدبى مع جدى رسول الله صلى الله عليه و سلم لأخذت الركب من يوم عرفة و تخطيت به إلى عرفات . فقال له : آمنت بالله ! ثم قال له : اذكر حقيقة ذلك . قال : فنظر كل من حضر إلى الكعبة ، و صاح الناس ، و حط ابن عبد السلام رأسه بين يديه و قال

١٥ له : أنت شيخى يا أبا الحسن من هذه الساعة ! فقال له الشيخ : بل أنت أخى فى الله تعالى - انتهى .

و كان للشيخ أبى الحسن الشاذلى ابنة سماها عريفة الخير و تكنى بالوجيهة ، و هى إذ ذاك مكفوفة البصر ، و كانت هذه المرأة من أولياء الله تعالى و ممن يجود عليها القرآن من خلف ستر ، و هى سيدة فاضلة .

٢٠ قال أبو عبد الله محمد بن سلطان التميمى قال : حدثنى من أثق به قال :

حضرت

Marfat.com

حضرت فى دفن هذه الحرة الفاضلة بالإسكندرية . فلما حطت فى قبرها ، نزل بعض قرابتها ليلحدها ، فطلع من القبر و هو مبتسم فقال : لما كشفت عن وجهها لألحدها التفتت إلىّ ثم ضحكت ، فقلت لها : ما هذا ؟ فقالت : مما رأيت من إفضال الله تعالى ، و أعرفك أنك تلحقنى بعد ثلاثة أيام . فتوفى بعد ثلاثة أيام . قال : و لما توفيت فاذا مناد بالإسكندرية ينادى : صلوا إلى الصلاة على الحرة الصالحة عريفة الخير التى خرجت من الدنيا ثلاث خرجات : من بطن أمها و إلى دار بعلها و إلى قبرها - انتهى .

و قال أبو سلطان ماضى خادم الشيخ أبى الحسن الشاذلى : لما توجه الشيخ أبو الحسن الشاذلى للحج فى سفرته التى / توفى فيها ، قالت لى ٧٩/الف زوجتى و كانت حاملا : تتركنى على ولادة و تسافر عنى - و جعلت تبكى ، فأخبرت بذلك الشيخ ، فقال : ادعها إلى ، فأتيت بها إليه ، فلما دخلت عليه ، قال لها : يا أم عبد الدائم ! اتركى لى ماضى يسافر معى و أرجو لك من الله خيرا . فقالت له : يا سيدى ! السمع و الطاعة . فدعا لها و انصرفت ، فولدت ولدا ذكرا سمته عبد الدائم . ثم قال أبو سلطان : فلما تجهزنا للسفر من الإسكندرية ، قال الشيخ : احملوا معكم فأسا و مسحاة . فان توفى منا أحد[1] واريناه التراب . قال : و لم يكن له بذلك عادة متقدمة فى جميع ما سافرت معه ، فكان ذلك إشارة لوفاته . فلما أراد الشيخ السفر ، كان عندنا شاب يتيم تشوق للسفر معنا ، فقال الشيخ : احملوه معكم . فأتت أمه إلى الشيخ فقالت : يا سيدى ! يكون

(١) فى الأصل : احدا .

Marfat.com

نظركم [عليه] . فقال لها : يكون نظرنا عليه إلى منزلة حميترة[1] إن شاء الله تعالى . قال : و سافرنا فلما دخلنا صحراء عيذاب مرض الشيخ و الشاب ، فمات الشاب قبل أن يصل إلى حميترة[1] بمرحلة ، فأردنا دفنه، فقال : احملوه إلى حميترة ، فلما وصلنا حميترة غسلناه وكفناه و صلى عليه الشيخ و دفناه بها . فلما كان تلك الليلة بين العشاءين قال لى الشيخ : املأ لى إناء من ماء من هذا الجفار . فقلت له : يا سيدى ! ماؤه مالح زُعاق[2] ، و الماء عندنا فى القرب عذب . فقال لى : ائتنى منها فان مرادى غير ما أنت تظن . قال : فأتيته بالماء من مائها فشرب منه و مضمض فاه و بجه فى الإناء ، ثم قال لى : رد الماء فى الجفار . قال فرددته إليه فحلا ماؤه و عذب وكثر باذن الله تعالى . قال : و بات تلك الليلة متوجها إلى الله تعالى ذاكرا ، سمعته / يقول : إلهى إلهى ! إلى السحر سكن ، فظننا أنه نام ، فحركناه فوجدناه ميتا . فاستدعينا سيدى أبا العباس المرسى ، فغسله و صلينا عليه و دفناه رحمه الله ! و كان وصاه بأنك خليفتى بعدى .

٧٩/ب

قال المؤلف غفر الله له : حججت فى سنة خمسين و سبعمائة[3] من

---

(١) كذا فى الأصل ، و وردت « حميثرا » فى ابن بطوطه (انظر ص ٢٥ ، ٥٣ ، ٢٨٢) عند الكلام على « كرامة لأبى الحسن الشاذلى » حيث قال : وحميثرا فى صعيد مصر بصحراء عيذاب : ـ و جاءت فى معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٣٤١) : الحميراء تصغير حمراء موضع من نواحى المدينة ذو نخل . ـ و ربما كان وضع ياقوت هو الأصح مع الاختلاف اللفظى .

(٢) أى ماء مر لا يطاق شربه ، و فى الأصل : زعاف ـ كذا بالفاء .

(٣) ١٣٤٩ - ١٣٥٠ م .

البحر ، فنزلنا حميترة ، فزرنا قبر الشيخ أبى الحسن ، فوجدنا الشيخ محمد الإسكندرى المعروف بالمبيض ، حمل له من الإسكندرية أخشابا مهيأة درابزينا[1] ركبها على قبره منقوشا فيها اسم الشيخ أبى الحسن و تاريخ وفاته ، و علق بدائرها فوانيس[2] من الزجاج مع بيض النعام ، فقرأنا عنده ما تيسر من القرآن ، و دعونا و شربنا من الجفار القريب منه ماء طيبا و ارتحلنا - انتهى .

و قال خادم الشيخ أبى الحسن و هو أبو سلطان ماضى فى صفة الشيخ أبى الحسن الشاذلى : إنه أحمر اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين ، كأنه حجازى فصيح اللسان ، عذب الكلام . و كان يقول إذا تكلم و استغرق فى الكلام : ألا رجل من الأخيار ! ألا رجل يعقل عنا هذه الأسرار ! هلموا إلى رجل سير الله معه بحر الأنوار .

قال بعضهم فى المعنى :

عجبت لمن أفهمه فيعيي عن المعنى أكرره مرارا
و من دخل الجنان بغير قلب فكيف يرى بعينيه الثمارا

و قال آخر :

و من دخل السماع بغير قلب و لم يطرب فلم يلم المغنى

---

(١) أى حاجز أو سور خشبي ، عادة يتكون من عوارض .
(٢) فى الأصل : فوانيسا .

Marfat.com

و كان من أذكار الشيخ أبى الحسن الشاذلى «يا واسع المغفرة ! يا باسط اليدين بالرحمة ! إن القضاء و القدر غلبنى ، و عصيتك جهلا فارحمنى ، و رجوتك لما تعلم فاغفر لى ، و من يغفر الذنوب إلا الله ! فزحزحنى عن النار و الأضرار[1] ، يا واحد يا قهار ! / يا عزيز يا غفار ! " كهيعص[2] ، ٨٠/ الف نسألك خوفا و حياء و علما و نورا و قربا و عملا صالحا ، وجدنا أنك على كل شىء قدير » .

وكان الشيخ أحمد بن الرفاعى من أعيان مشايخ العراق ، و عظماء المحققين ، و صدر المقربين ، و هو أحد أركان هذه الطريقة علما و حالا ، و هو أحد من يذكر عنه القطبية ، وهو الذى يقول : الزهد أساس الأحوال المرضية ، و المراتب السنية ، و هو أول قدم الصادقين و المتوكلين على الله . وكان رحمه الله بطائحى المنشأ ، و بيكن أم عبيدة قرية من أرض البطائح إلى أن مات بها سنة ثمان و سبعين و خمسمائة[3] . و سنه قريب الثمانين عاما ، و قبره بها ظاهر[4] يزار . و قال : قبل موته " أنا شيخ من لا شيخ له ، أنا شيخ المنقطعين " . و كان لا يتكلم إلا قليلا ، و يقول : أمرت بالسكوت . وكان شافعى المذهب فاضلا ، ما تصدر قط فى مجلس ، و لا جلس على سجادة قط ، تواضعا لله تعالى ـ انتهى .

---

(١) فى الأصل : الأصرار .

(٢) قرآن كريم سورة ١٩ آية ١ .

(٣) ١١٨٢ - ١١٨٣ م .

(٤) فى الأصل : ظاهرا .

و كان

وكان الشيخ عبد القادر الكيلانى من أكابر المشايخ ، وله مناقب كثيرة قال قاضى القضاة أبو صالح عن أبيه عبد الرزاق : جاءت فتوى من العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على العلماء الأكابر ، فلم يصح لأحد فيها [1]جواب شاف[1] . وصورة الفتوى[2] : ما تقول السادة الفقهاء العلماء فى رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد له أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها ، فما ذا يفعل من العبادات ؟ قال : فأتى بها إلى الشيخ عبد القادر الكيلانى ، فكتب عليها مسرعا « يأتى مكة ويخلى له الطواف[3] ، ويطوف بها أسبوعا بمفرده ، تنحل يمينه » فما بات المستفتى ببغداد ، بل سافر منها بعد أن طاف بها مدة طويلة على العلماء . فلما سمعت العلماء تلك الفتيا ، تعجبوا منها واستفادوها .

٨٠ / ب وكان الشيخ أبو مدين / من أكابر المشايخ وله مناقب كثيرة ، ومن كلامه « الإخلاص ما خفى على النفس درايته ، وعلى الملك كتابته ، وعلى الشيطان غوايته ، وعلى الهوى إمالته » . وكان يقول : سنته عز وجل استدعاء العباد بسعة الأرزاق ودوام العافية ليرجعوا إليه بنعمته ، فان لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون . لأن مراده عز وجل رجوع العبد إليه طوعا وكرها . وكان يقول : إذا أراد الله بعبد خيرا ، آنسه بذكره ، ووفقه لشكره . وكان يقول : انكسار العاصى خير من صولة المطيع والعلو على الناس سبب الانتكاس ، والفتوة أن لا يشتغل

(١-١) فى الأصل : جوابا شافيا .
(٢) بهامش المخطوط : مسألة مهمة .
(٣) كذا ، ولعله : المطاف .

بالخلق على الحق . وكان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا . عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى علىّ واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات » .

مطلب

٥ فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم على سائر العبادات [1]

قال أبو الليث السمرقندى : إذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم أفضل من سائر العبادات ، فانظر و تفكر فى قول الله عز و جل [2] " ان الله و ملئكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما " فى سائر العبادات أمر الله عز و جل بها عباده . و أما الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم فقد صلى عليه بنفسه أولا ، و أمر ملائكته بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه ، فثبت أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال « صلوا على فان الصلاة على زكاة لكم » . قال أبو الليث السمرقندى : معنى قوله : زكاة لكم [3] ، يعنى طهارة لكم و مغفرة لذنوبكم ، فلو لم يكن

---

(١) هذا العنوان وارد بهامش الورقة .

(٢) قرآن كريم سورة ٣٣ آية ٥٦ .

(٣) فى الأصل : له .

Marfat.com

للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثواب سوى أنه يرجو بذلك شفاعته ، لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنه / فكيف وفيه مغفرة للذنوب ، ٨١ / الف
وفيها الصلاة من الله عز وجل ، فالخليل عليه السلام جرد سيف[1] الخلة على متن نار النمرود ، فصارت بردا وسلاما ، وذهب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وقال : مالى والاشتغال بالماء والنار ! أنا أجرد سيف الشفاعة من قراب الرحمة وغمد المغفرة على ذنوب الأولين والآخرين . جرد سيف الشفاعة ، وأرسل سهم الوسيلة عن قوس القربة ، ولكن ما أصاب سهمه إلا الهدف المقصود ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى من قال : لا إله إلا الله ، وهذه الآية دليل على إثبات الشفاعة ، لأن ذنب المؤمن لا يخرجه من جملة المرتضين لأجل إساءته ، لأنه إن كان دينه غير مرتضيه ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى[2] " ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله " . فأخبر أن فى المصطفين ظالما ، ولم يخرجه من اصطفائه ، ثم قدمه على المقتصد والسابق ، تكذيبا للمعتزلة فى أن المؤمن المذنب غير مرتضى ولا مصطفى .

قال زيد بن أرقم : كان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه غلام يأتيه بغلة طعامه كل ليلة ، وكان أبو بكر لا يأكله حتى يسأله من أين اكتسبه ومن أين أصابه ، قال : فجاءه ذات ليلة بطعام ، فمد يده إليه فأكل منه لقمة من غير أن يسأله ، فقال له الغلام : قد كنت تسألنى

(١) فى الأصل : سيفه .
(٢) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٣٢ .

كل ليلة غير الليلة فلم تسألنى ؟ قال أبو بكر : ويحك ! الجوع حملنى عليه ، ويحك ! أخبرنى من أين جئت به . قال : رقيت لأناس فى الجاهليـــة فوعدونى[1] عليه عدة ، فرأيت عندهم وليمة ، فذكرتهم وعدهم الذى وعدونى ، فأعطونى هذا الطعام . فاسترجع عند ذلك أبو بكر ، ثم أخذ يتقيأ ، وكابد و جاهد نفسه على أن ينزع اللقمة من بطنه ، فلم يقدر عليها حتى احمر و اسود من الجهد فلم يقدر . فلما رأوا ما يلقى / من المعالجة قالوا : لو شربت عليه قدحا من ماء . فأتى بعس من ماء - و العس هو القدح الكبير يروى الثلاثة و الأربعة ، ثم القدح يروى الرجلين ، ثم القعب يروى الرجل - فلما شرب أبو بكر من العس تقيأ ، فما زال يعالج نفسه حتى نبذ ما فى بطنه . فقالوا : هذا من أجل هذه اللقمة . قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « إن الله تعالى حرم الجنة على جسد غذى بالحرام » فالحمد لله الذى أخرجها من جوفى ، و الشكر له دائما .

٨١/ب

قال بعض الصالحين : اشتغلت بشكر أربعة أشياء : أولها أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق فرأيت بنى آدم أكرم الخلق فجعلنى من بنى آدم . و الثانى فضل الرجال على النساء فجعلنى من الرجال ، و الثالث رأيت الإسلام أفضل الأديان و أحبها إلى الله عز و جل فجعلنى مسلما . و الرابع رأيت أمة محمد أفضل الأمم فجعلنى من أمة محمـــد صلى الله عليه و سلم .

---

(١) فى الأصل : فوعدنى .

و يقال

و يقال الخلق عشرة أجزاء : تسعة منهم الشياطين و الجن ، و واحد منهم الإنس . ثم جعل الإنس مائة و خمسة و عشرين صنفا : فالمائة منها يأجوج و مأجوج و الصقالبة و نحوها[1] ، و ستة فى المغرب : الزط و الحبش و الزنج و نحوها ، و ستة بالمشرق : الترك و خاقان و غز و تغزغز و خرجل و كيماك[2] - فهؤلاء كلهم كفار ، و مصيرهم إلى النار . و بقى صنف واحد من مائة و خمسة و عشرين[3] صنفا - و هم المسلمون ، افترقوا على ثلاث و سبعين فرقة : فاثنتان[4] و سبعون كلهم أهل الأهواء و البدع ، و مصيرهم إلى النار ، و واحدة إلى الجنة و هم أهل السنة و الجماعة . قال بعضهم : أيد الله أهل السنة بحجج أمضى من الأسنة .

ذكر دخول الفرنج العراق[5]

بسبب المتجر ، و منعهم من البيع و الابتياع بسبب وقعة الإسكندرية و غير ذلك من الواردات المستطردات .

/ ذكرت البغاددة المقيمون[6] بالإسكندرية أنه بلغهم بأن الفرنج ٨٢ / ا
الجنوية و البنادقة قصدوا سواحل العراق بمتاجرهم لما منعوا من سواحل

---

(١) زيد هنا : و ستة بالمشرق الترك و خاقان - و تكررت الجملة مع الإفاضة فيما بعد . فحذفناها من الموضع الأول .
(٢) يلاحظ هنا أن الحساب لا يستقيم و ربما أخطأ المؤلف فى الرقم السابق أو سقط من الكتاب عدد آخر من الأجناس غير ما ذكر .
(٣) فى الأصل : عشرين .
(٤) فى الأصل : فاثنان (ه) العنوان وارد بالنص .
(٦) فى الأصل : المقيمين .

الديار المصرية و الشامية ، معهم رسل ملوكهم مستصحبين معهم الهدايا للسلطان أويس ابن الشيخ حسن[1] ، فلما حضروا بين يديه قدموا هداياهم ، و سألوه أن تكون تجارتهم تدخل مدينة السلطان يبيعون و يبتاعون . فقال لهم الملك أويس : أنا اسمى أويس بن حسن بن حسين مسلم بن مسلم ، و أنتم تفسدون[2] بلاد المسلمين ، و تأتون[3] بلادى بمتاجركم تبتغون[4] الفضل ، لا و الله لا أرضى بذلك ! و لو سبقنى ملك إلى قتل الرسل لقتلتكم ، و لكن ارجعوا من حيث أتيتم ، و اجتهدوا فى صلحكم مع سلطان مصر ، و استدركوا ما أفسدتم من الحال الذى فعلتم بالإسكندرية ، فان أتيتمونى بخط ملك مصر بدخولكم تحت طاعتى ، مكنتكم حينئذ تبيعون ببلدى و تبتاعون منه ما تختارون ، و إن لم تفعلوا ذلك و عدتم إلى بلدى ، فليس لكم عندى إلا السيف . فرجعوا بالخيبة من حيث أتوا مردود عليهم هداياهم ، و قد تقدم فى هذا الكتاب قتل الملك أويس للفرنج الذين باءوا ببلده قماش الإسكندرية المنهوب منها المخيوط و غيره ، فأغنى عن إعادته .

---

(١) هذا الفصل فى جملته بحاجة إلى دراسة طويلة فى تاريخ المغول و فروع أسراتهم و إسلامهم و غير ذلك من الأمور ، تركناها هنا اختصارا حتى يتوفر المختصون على تبيان غامضها و عقدها .

(٢) فى الأصل : تفسدوا .

(٣) فى الأصل : تاتوا .

(٤) فى الأصل : تبتغوا .

و كان الشيخ حسن والد السلطان أويس أميرا كبيرا ، و هو حسن ابن حسين بن منكوتمر ، و منكوتمر كان سلطان العراقين ، و هو ابن السلطان كيختو [١] ، و كيختو [١] ابن السلطان أبغا ، و أبغا ابن السلطان هلاوون ، و هلاوون كان سلطانا كبيرا ، فتح بغداد و بلاد بكر والروم ، و هلاوون ابن جنكز خان ، و جنكزخان كان سلطانا كبيرا ، خرج على بلاد خراسان و ما وراء النهر و بلاد العجم ، استفتحها [٢] عنوة / أى ٨٢ / ب غلبة و قوة و قهرا . و كان [٣] هؤلاء المذكورون من التتر ، و التتر المغل ، و هم من ذرية ياجوج و ماجوج ، فتناسل [٤] هؤلاء الخارجون [٥] عن السد على طول الزمان و الأيام ، و كثروا و أفسدوا فى الأرض .

و هم الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه و سلم إذ قال : « الفتنة من ههنا - و أشار إلى المشرق - وجوههم كالمجان المطرقة » و ذكرهم أيضا من السلف ابن عقبة حيث يقول هذين البيتين :

احذر بنى من القران العاشر و انفر بأهلك قبل نفر النافر
من فتية فطس الأنوف كأنهم سيل طما أو كالجراد الناثر

---

(١) فى الأصل : كيختوا . و وردت الكلمة فيما بعد بدون الألف الزائدة .
(٢) فى الأصل : استفلحها ، و ربما كان أصح أن نقول « افتتحها » .
(٣) فى الأصل : كانوا .
(٤) فى الأصل : فتناسلت .
(٥) فى الأصل : الخارجين .

Marfat.com

و كانت المغل تعبد الشمس من دون الله ، و كان سبب إسلامهم أن السلطان منكوتمر بن السلطان كيختو ابن السلطان أبغا ابن السلطان هلاوون ابن السلطان جنكز خان ، و كان [1] هؤلاء ملوك المغل و سلاطينها ، قال بعضهم على وزن « كان » ، و كان يخاطب محبوبا له حيث قال :

فقلت لمن تتعزز و تعقص أنفك
بالجرد كأنك ابن الخليفة أو ابن جنكزخان

فبينما السلطان منكوتمر ببغداد فى دار المستنصر ، و هى راكبة على الدجلة ، و كانت ببغداد دار ملكه بعد الخلفاء ، فبينما هو جالس فى يوم شات ، و بين يديه نار مؤججة يستوى عليها الإوز ، و إذا بالشيخ محمد ابن الشيخ أحمد الرفاعى دخل عليه بطائفة من الفقراء الأحمدية الرفاعية ، فلما رأهم السلطان منكوتمر قال لهم : ما برهانكم أيها الفقراء و ما سركم ؟ فقال الشيخ محمد : إن كان برهاننا حقا تؤمن بالله و برسوله ؟ قال : نعم . و كان للسلطان ولد صغير كالقمر حسنا و جمالا جالسا بين يديه ، و كان مشغوفا بمحبته لحسن طلعته ، فاختطفه الشيخ محمد بسرعة و اقتحم به تلك النار ، فطار عقل السلطان ، و قام قائما [2] ، و ضرب بتاجه الأرض ، و صرخ جزعا على ولده ، و قال لخواصه : أدركوه . فلم يستطع أحد منهم [أن - [3]] يدخل النار ، فدار الشيخ محمد

(١) فى الأصل : كانوا .
(٢) ربما كان المقصود « هائما » .
(٣) ساقطة من الأصل و بذكرها تكتمل الجملة و سياق الحديث .

بالولد

/ بالولد فيها ١دورانا كثيرا١ ، وخرج بالصغير منها سالما و ثيابهما سالمة ، ٨٣/الف
فتلقى السلطان ولده منه بلهف و قال: ما رأيت يا ولدى و أنت فى النار ؟ قال: لم أر شرا . فحينئذ أسلم السلطان و من حضره من خواصه و مماليكه و جنده . ثم إنه ولد له ولدان[٢] ، سمى أحدهما محمود قازان ، و الآخر محمد خدا بنده[٣] . ثم ولدت له بنت سماها الجيه خاتون هى جدة السلطان أويس لأبيه ، فولى قازان بعد أبيه منكوتمر الملك ، فغزا الشام فى سنة تسع و تسعين و ستمائة[٤] - و قد تقدم ذكر غزاته تلك فأغنى عن إعادتها .

[وقعة قازان و الناصر محمد -[٥]]

و سأذكر هنا غير ما تقدم - و هو أن قازان لما أتى بجيوشه إلى دمشق ، أغلقت أهلها أبوابها إلا باب توما ، و شرعت[٦] التتر و صاحب سيس[٧] فى نهب بلد الصالحية بظاهر دمشق ، فأخذوا شيئا كثيرا من

(١-١) فى الأصل : دوران كثير .

(٢) فى الأصل : ولدين .

(٣) فى الأصل هنا و فيما بعد بندا .

(٤) يقابلها ١٢٩٩ - ١٣٠٠ م .

(٥) العنوان غير مذكور فى النص أو الهامش .

(٦) فى الأصل : و شرعت .

(٧) ملك الارمن ، و سيس عاصمته .

Marfat.com

الغلات ، و خرّبوا أماكن كثيرة ، و شاع الخبر بأن التتر يقصدون[1] دخول دمشق ، فانزعج الناس من ذلك ، فأخذ[2] من البلد عشرة آلاف فرس ، ثم قرر[3] أموالا[4] كثيرة على البلد و أهل الأسواق ، و توجه قازان إلى بلاده ، و ترك نوابه فى ستين ألف مقاتل ، و قد أزعجتهم القلعة ؛ و كان الشيخ تقى الدين بن تيمية خرج إلى مخيم نائب قازان ، فاجتمع به فى فكاك من معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيرا منهم بعد أن أقام عنده ثلاثة أيام . ثم عاد إلى دمشق ، و راح إليه جماعة من الأعيان ، و عادوا من عنده . ثم انزاح جيش قازان عن البلد و لم يبق منهم أحد ، بل برزوا عنه .

ثم إن السلطان الملك الناصر محمد[5] بن الملك المنصور قلاون خرج من مصر بجيشه إلى لقاء جيش قازان ، فالتقيا بموضع يعرف بشقحب[6] ،

---

(١) فى الأصل : يقصدوا .

(٢) أى قازان .

(٣) فى الأصل : قررت .

(٤) فى الأصل : أموال .

(٥) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٦) شقحب أو تل شقحب قرية بسوريا بالقرب من دمشق تحت جبل « غباغب » أوردها ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (ج ٨ ص ١٥٩ و ج ١١ ص ٢٦٠) كما أوردها (Dussaud) فى كتابه Topographie historique de la Syrie antique et medievale, P. 322.

Marfat.com

فانتصر الملك الناصر عليه، و بدد شمله ، و فرق جمعه . فأنشأ بعضهم يقول على لسان حال الملك الناصر محمد أبياتا و بعدها نثرا، / فقال ٨٣ / ب
حيث قال :

أين المفر لهارب متندم قلق الجوانح لا يلذ لمطعم
ضاقت عليه الأرض حتى أنه أمسى يشاهد ها كدور الدرهم
أنا حافظ الإسلام سلطان الورى رب المكارم و المحل الأعظم
أنا ناصر الدين الحنيف محمد و إلى [1] قلاون المعظم أنتمى
فلأركبن جواد عزم ثابت يطوى القفار إلى الوغى بتقدم
أو ما رأى قازان يوم نزاله لما حملت عليه حملة ضيغم
وتركت أجساد المغول رمى بها و الخيل تعثر فى القنا المتحطم
والوحش ترتع فى اللحوم عشية وتضيف أصناف الطيور الحوّم
ورجعت والخيل العتاق رواقص مخضوبة منها السنابك بالدم

و قال فى نثره : و التحمت الجيوش الإسلامية حتى سدت القفار بعددها ، و بهرت العيون بحسن ضوئها و عُددها . و انتصرت على المغل انتصارا . و ولت المغل أقفية و أدبارا ، فهلكوا بضرب السيوف ، و صاروا صرعى على الأنوف ، و عادت العساكر المنصورة ، إلى مصر المحروسة غانمين . و أهلك الله الطائفة الباغين ، و أفناهم بالقتل أجمعين ، و تباشرت بهلاكهم كافة المسلمين ، و قطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين ، و قد ملئت أيديهم من الغنائم و المكاسب ، و ابتهجت

(١) فى الأصل : و ابى - كذا .

Marfat.com

نفوسهم ببلوغ الأمل و المآرب ، و تحت صناجقهم من الأسرى ما لا يحد ، و لا يحصى و لا يعد ، و انقلبوا بنعمة من الله و فضل - انتهى .

و لما بلغ قازان بأن جيشه انكسر ، حمل على قلبه من ذلك[1] أمر عظيم[1] ، فنوى أنه يجيش و يرجع إلى الشام ثانيا ، فمرض فمات ، و ولى الملك بعده أخوه محمد خدا بنده ، فقال للأمراء : ما الذى كان فى قلب أخى قازان . فقيل له ما كان فى قلبه أهم من الشام ، فعرض الجيوش و أنفق[2] فيها ، ثم ارتحل قاصدا الشام ، فنزل على الرحبة و حاصر قلعتها ، و نصب عليها المجانيق ، فلما رمى المنجنيق بالحجر على القلعة ، كبرت أهل القلعة و قالوا بصوت واحد : الله أكبر ! فلما سمع السلطان تكبير القوم قال : ما هذه الضجة ؟ فقيل له : إنهم مسلمون يكبرون و يستغيثون ، فنظر / إلى الأمراء و قال : أنتم مسلمون ، جثتم بنا لنقاتل المسلمين . و كان وزيره يقال له جواجا شاه ، فلما سمع كلام السلطان قبل الأرض و قال : أدام الله عز مولانا السلطان و أعلى مجده ! إن الشام مسكن الأنبياء ، و وطن الأولياء ، و الرأى السديد أن يكون المملوك رسولا من مولانا السلطان إلى الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون ، أعقد الصلح بينكما ، ففى ذلك صلاح المسلمين فى إقليمى الشام و العراق . فقال : افعل ذلك . فسار الوزير و عقد الصلح بينهما . فطابت عند ذلك الأوقات ، و حصلت المسرات ، وكانت هذه الوقعة التى رمى فيها قلعة الرحبة بالحجر الواحد ،

٨٤ / الف

(١-١) فى الأصل : امرا عظيما . (٢) فى الأصل : نفق.

يسميها

Marfat.com

يسميها الشاميون[1] الوقعة الكذابة ـ انتهى .

و تفسير « خدا بنده » باللغة العربية عبد الله ، فولد للسلطان خدا بنده ولد كناه بأبى سعيد . فلما كبر أبو سعيد و مات خدا بنده ، تسلطن بعد أبيه ، فكان أبو سعيد عقيما لا ولد له : و لما مات اختلفت المغل بعده ، فلم تزل مختلفة حتى جمع الله كلمتهم على السلطان أويس ابن الشيخ حسن ، فأصلح الله به ما فسد ، و عمر به ما خرب فى زمن الاختلاف ، و نشر الله به العدل فى العراقين و هو الآن فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[2] ، ينشر العدل و يبسطه ، و يمحو الجور و يدحضه ، فالله تعالى يؤيده و ينصره ، و كرسى مملكته مدينة توريز[3] بأرض العجم ، و حكمه نافذ مسيرة أشهر ، و نوابه ببغداد و غيرها من مدن العراق . و هو يتنقل فى ممالكه من كرسى إلى كرسى . و لما دخل بغداد و شق شوارعها ، سمع امرأة من طاقها تنادى صاحبتها : أسرعى يا فلانة لتنظرى السلطان . فوقف بفرسه ، و وقف لوقوفه العسكر إلى أن أتت المرأة و نظرت إليه من طاقة أخرى . فلما علم أن المرأة الثانية نظرته سار . و قيل إن السلطان أويس حسن الوجه ، بديع الجمال ، لم ير فى زمانه أحسن منه ، / و لا أوسع منه وجها ، و نشر ١٥ ٨٤/د من العدل فى الآفاق ما لا نشره غيره من سلاطين العراقين ، وكان من عدله أنه إذا استغاث به مظلوم و هو سائر وقف له ، و سمع كلامه ، و أزال

---

(١) فى الأصل : الشاميين .

(٢) يقابلها ١٣٦٣ - ١٣٧٤ م .

(٣) أى مدينة تبريز و هى معروفة و شهيرة بين مدن إيران .

Marfat.com

ظلامته ، و استعمل فى دولته العدل و الإنصاف ، فلذلك أقلع الظالم عن ظلمه و منه خاف .

[موسى على جبل الطور -[1]]

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين :

وقفت على «كتاب مسامر المساهر و مساهر المسامر» لأبى الحسن على بن عبد الرحمن الحريرى ، فرأيته ذكر فى العدل و الإنصاف خبرا حسنا ، فأحببت ذكره هنا ، و هو أن موسى عليه السلام ناجى ربه عزوجل على جبل الطور . فقال فى مناجاته : إلهى ! أرنى عدلك و إنصافك ، فقال له : يا موسى ! أنت رجل حاد جرىء لا تقدر أن تصبر . قال : أقدر على الصبر بتوفيقك . فقال : اقصد العين الفلانية ، و اختف[2] بازائها ، و انظر إلى قدرى و علمى بالغيوب . فمضى موسى و صعد إلى تل بازاء تلك العين و قعد مختفيا ، فوصل إلى العين فارس . فنزل عن فرسه : و توضأ منها ، و شرب من مائها ، و حل من وسطه هميانا ، فوضعه إلى جانبه ، و استراح ساعة و ركب فرسه ، و نسى الهميان فى موضعه و سار ، فجاء صبى صغير ، فشرب من العين ، و أخذ الهميان و مضى ، فجاء بعد الصبى شيخ أعمى ، فشرب من العين و توضأ و وقف فى الصلاة . فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه إلى العين ، فوجد الأعمى فلزمه و قال : إنى نسيت هميانا فيه ألف دينار فى هذا

---

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) فى الأصل : واختفى - كذا .

Marfat.com

الموضع فى هذه الساعة ، و ما جاء إلى هذا المكان سواك . فقال الأعمى : يا هذا ! تعلم أنى رجل أعمى ، فكيف أبصرت همبانك حتى أخذته ؟ فغضب الفارس من كلامه ، و جذب سيفه فضرب الأعمى فقتله ، و فتشه فلم يجد معه شيئا ، فمضى و تركه . فعند ذلك قال موسى : إلهى و سيدى ! نفد صبرى ، و أنت عادل ، / فعرفنى كيف هذه الأحوال . ٥ ٨٥/ب

قال : فهبط جبريل عليه السلام و قال : يا موسى ! البارى عز و جل يقول لك : أنا عالم الأسرار ، أعلم ما لا تعلم ، أما الصبى الذى أخذ الهميان فأخذ حقه و ملكه ، و ذلك أن أبا هذا الصبى كان أجيرا لأبى هذا الفارس ، و اجتمع له عنده بقدر ما فى الهميان ، فطلب منه أجرته فمنعها منه[1] ؛ و أما ذلك الأعمى فانه قبل أن يعمى قتل أبا ذلك ١٠ الفارس ، فقد اقتص منه و وصل كل ذى حق إلى حقه . و عدلنا و إنصافنا دقيق كما ترى .

[خبر الأعمى -[2]]

قال المؤلف غفر الله له : و وقفت أيضا على خبر الأعمى و خبر العجوز فى الكتاب المذكور ، و سأذكرهما الآن إن شاء الله تعالى - ١٥ أما خبر الأعمى فهو إنه كان فى زمن المقتدر[3] أعمى يقرأ ما يكتب له بالمس ، فبلغ الخليفة المقتدر ذلك ، فأحضره و قال : إن قرأت ما كتبت لك ،

---

(١) فى الأصل : له .
(٢) ليس العنوان بالنص أو الهامش .
(٣) المقتدر الخليفة العباسى و خلافته ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ/ ٩٠٨- ٩٣٢ م .

Marfat.com

فلك كذا وكذا . ثم كتب له "نملة تجر مدينة" فلمسه الأعمى بيده ، وقال : هذا سؤال معجز ، متى كانت النمل تجر المدن ! فأعجب المقتدر ذلك ووصله بما ذكره له - انتهى .

[خبر العجوز - ١]

و أما خبر العجوز فهو أن بعضهم انقطع من قافلة الحاج و غلط الطريق ، فجعل يسير إلى أن وصل إلى خيمة ، فرأى عجوزاً جالسة ، و على باب الخيمة [٢] كلب قائم [٢] . فسلم على العجوز و طلب طعاما . فقالت العجوز : امض إلى ذلك الوادى ، و اصطد من الحيات ، وكل منها بقدر كفايتك . فقال الرجل : أنا لا أحسن صيد الحيات و لا لى عادة بأكلها . فقالت العجوز : أنا أصيد لك فلا تخف ، فمضت هى و إياه [٣] و معها الكلب ، فاصطادت من الحيات قدر كفايتهم . فأتت العجوز و طبخت له الحيات ، فلم ير من الأكل بدا لشدة جوعه ، فأكل منها ، ثم عطش فطلب منها ماء ليشرب ، فقالت : دونك و العين ! فاشرب منها - و دلته عليها ، فمضى / إلى العين ، فوجد ماء مرا مالحا ، ولم يجد من شربه بدا . فشرب و عاد إلى العجوز ، قال لها : عجبت منك و مقامك فى هذا الموضع ، تأكلين الحيات ، و تشربين الماء

٨٥ / ب

(١) ليس العنوان بالنص أو الهامش .
(٢ - ٢) فى الأصل : كلبا قائما .
(٣) كذا ، و الظاهر : هو .

Marfat.com

المالح المر، قالت: كيف يكون فى بلادكم؟ قال: يكون فى بلادنا الدور الواسعة، و الأطعمـــة الطيبة، و اللحوم السمينة، و الفواكه اللذيذة، و المياه العذبـة الباردة. قالت العجوز: قد سمعت هذا كله، فقل لى: هل تكونون[1] تحت يد سلطان يجور عليكم، و يأخذ أموالكم، و يستأصل شأفتكم، و يخرجكم من بيوتكم، و يتسلط خدامه عليكم؟ قال: قد يكون ذلك. فقالت: إذا نعد هذا الطعام اللطيف و النعم اللذيذة مع الجور و الظلم سما ناقعا، و نعد أطعمتنا مع الأمن درياقا نافعا. أما سمعت قول الحكماء إن أجل النعمة بعد نعمة الاسلام الصحة و الأمن.

[ذكر الحيات -[2]]

و إذ قد ذكر أكل الحيات، فسنذكر ما قالت الفقهاء فى أكلها. قال مالك رحمه الله: إذا أذكيت الحيات فى موضع ذكاتها، فلا بأس كلها لمن احتاج إليها. فشرط فى إباحة أكل الحيات الحاجة. و أجاز بأكل اليربوع[3] و الخلد[4] و الوبر[5] من غير شرط. لكن النفوس فى الغالب تنفر عن نوع الحيات و تستقذرها. فانما يقدم على أكلها[6]

---

(١) فى الأصل: يكونون.

(٢) ليس العنوان بالنص أو الهامش.

(٣) اليربوع من فصيلة الفئران.

(٤) كاليربوع من فصيلة الفأر.

(٥) الوبر حيوان يشبه الهر و لكنه أصغر منه و هو قصير الذنب.

(٦) فى الأصل: اكله.

عند الحاجة إليـه ، إما من تداو أو غير ذلك ، فصار ذلك الشرط مما جرى مجرى الغالب و لا مفهوم له ، فلذلك جمعها مع اليربوع و ما ذكر معه ، و من أجاز أكل الحيات رأى دخولها فى قوله تعالى[1] : " قل لا اجد فى ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا " ، و الـكراهة عند بعضهم خوفا من سمها . قال الأبهرى : إنما كرهت لأنها ليست من بهيمة الأنعام / و لا من الطير . قال : و أمر عمر بن عبد العزيز أهل أريحا بذكاة حيات الترياق لشربه - انتهى .

٨٦/ الف

[فى السياسة -]

فلنذكر الآن ما قيل فى السياسـة إن شاء الله تعالى ، و نعود إلى ذكر الحيات - قال بعض العلماء : ينبغى لمن يكون عارفا بالسياسة و المصلحة لأمور الرعية أن يعرض نفسه على السلطان و يعلمه أنه عارف باصلاح الرعايا عالم بسياستهم و إن كان فى ذلك تزكية لنفسـه ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام للملك الريان : " اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم[2] " . فان قيل كيف استجاز يوسف عليـه السلام[4]

(١) قرآن كريم سورة ٦ آية ١٤٥ .
(٢) ليس العنوان بالهامش أو النص .
(٣) قرآن كريم سورة ١٢ آية ٥٥ .
(٤) العبارة من « الملك الريان » إلى هنا ساقطة من النص و وردت فى الهامش بقلم المصحح .

Marfat.com

مع عقله و علمه أن يقدم نفسه بين يدى الملك الريان بن الوليد بقوله: "اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم"، و قدجاء النهى عن تزكيه النفس؟ قيل: إنما جرى ذلك مجرى الإعلام لما يحسنـــه و العلم الذى هو مختص به كأنه يقول: إنى مختص بعلم كيفية حفظ ذلك الطعام الذى يعد لأيام القحط و العدم، و عليم بوقوع ساعة الجوع متى يقع. فقال يوسف عليه السلام: "انى حفيظ عليم"، و ليس بتزكية لنفسه؛ ألا ترى أن الله تبارك و تعالى ذكر نفسه بالكبرياء و العظمة لا على أنه زكى نفسه، لكن ليعظكم بهذا و يبين طريق توحيده و تعظيمه، لأنه لو لم يعبر لهم بذلك لما عرفوه، و لو لم يبين لهم صفاته ما وصفوه. و كذلك ذكر الأنبياء مناقب أنفسهم ليست لهم، كما قال النبى صلى الله عليه و سلم: «أنا سيد ولد آدم و لا فخر، و بيدى لواء الحمد» و غير ذلك من أقواله مما يليق به. و إنما ذكرت الأنبياء ذلك إخبارا لأممهم، إذ لو لم يخبروهم بذلك ما عروفهم و لا وصلوا إلى عِلِّىّ مقاديرهم، فكذلك يوسف عليه السلام بتزكيته لنفسه إنما قصد إعلام الملك الريان بما خصه الله تبارك و تعالى به ـ انتهى.

[عود إلى ذكر الحيات ـ[1]]

نعود إلى ما قيل / فى الحيات كما تقدم ذكرها آنفا ـ قالوا: إن ٨٦/ ب
الحيات و الأفاعى أجناس، و لها أسماء، منها الشجاع و الأرقم و الأسود و الأفعى و الأفعوان و الأبتر و الأعيرج و الأصلة و أسود سالخ

(١) ليس العنوان بالنص أو الهامش.

Marfat.com

و الجنان و الثعبان و الشيطان و الأصم و الأرقش و النضناض و ابنة الجبل . فالنضناض من الحيات الذى يحرك لسانه يرعد به . روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : من ترك الحيات من مخافة قتلهن ، فليس منا ، ما سالمناهن مذ حاربناهن .

و سأذكر ما قيل فى علاج الملسوع إن شاء الله تعالى - قال على بن العباس المتطبب : من لدغته حية أو أفعى و لا سيما الأفاعى المعطشة ، فينبغى أن يقطع العضو الملدوغ إن أمكن ، فان الراحة فى قطعه ، فان لم يمكن قطعه فليربط العضو من فوق اللدغة ، و افصد الملدوغ و أطعمه الثوم و البصل و الكراث ، و اسقه مرق الإسفيداج بالسلت[1] و الملح و الدارصينى ، و أطعمه السرطانات النهرية مشوية ، و كذلك الضفادع المطبوخة . و الجبن العتيق إذا عجن بماء و ضمد موضع اللدغة نفع . و العقارب المدقوقة ممروسة بماء المردقوش[2] و ماء السذاب[3] إذا شربها نفعته منفعة بينة ، و إن شرب من درياق الأربعة نصف درهم إلى نصف مثقال بماء السذاب كان نافعا جدا ، بل هو أكبر من هذه الأشياء كلها ، لا سيما الطرى منه .

و ينبغى لمن لدغته العقرب أن يربط فوق موضع اللدغة بعصابة

---

(١) نوع من الشعير لا قشر له .

(٢) نبات عطرى كالزعفران .

(٣) فى الأصل : السداب . بالدال - و السذاب نبات يشبه الرمان و زهره أصفر و رائحته كريهة .

قوية

Marfat.com

قوية لئـــلا يسرى السم فى البدن ، و أن تفدغ العقرب و يضمد بهـا موضع اللدغة ، أو يضمد بهذا الضماد الذى أنا سأذكره لك ، و هو بزر كتان خمسة دراهم ، كبريت أصفر ثلاثـــة دراهم ، ملح ثلاثة دراهم ، علك البطم [1] عشرة دراهم ، / تعجن بهذه الأدوية ، و يضمد به اللدغة ، ٨٧/الف فانه نافع .

لسعت عقرب [2]رجلا بدويا[2] أول الليل ، فقال لحضرى : أتعرف لهذه دواء ؟ قال : نعم . قال : و ما هو ؟ قال : الصياح إلى الصباح – انتهى .

[و فيات الملوك الثلاثة : قازان و أبو سعيد و خدا بنده – ٣]

نعود إلى ذكر تواريخ وفيات الملوك الثلاثة : و هم قازان و أبو سعيد و خدابنده ، و مواضع مدافنهم و صفة قبورهم . أما قازان محمود فكانت وفاته فى سنة أربع و سبعمائة [4] . و قبره بظاهر مدينة توريز بمكان يقال له الشام ، عليه قبة عظيمة البناء ، واسعة الفناء ، لم يبن مثلها فى هذا الزمان . فيها بسط الحرير ، و الستور الحرير المذهبة ، و قناديل الذهب و الفضة ، و الشمعدانات الذهب ، و غير ذلك من التحف .

---

(١) أى صمغ البطم و هو شجر يشبه شجر الفستق .

(٢–٢) فى الأصل : رجل بدوى .

(٣) العنوان مقتبس من النص ، و لا وجود له بالهامش .

(٤) يقابلها ١٣٠٤ – ١٣٠٥ م .

Marfat.com

وكانت وفاة السلطان أبى سعيد سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة [1] . و قبره بظاهر السلطانية ، و هى المدينة التى بناها والده خدا بنده . و فى تربة أبى سعيد من الزينة و القناديل و الفضة و الشمعدانات الذهب والبسط و الستور الحرير كثير [2] ، و سماطه ممدود فى كل يوم للصادر و الوارد بالتربة المزبورة ، و لها وقوفات كثيرة .

وكانت وفاة خدابنده محمد فى سنة سبع عشرة و سبعمائة [3] ، و دفن بالمدينة المعروفة بالسلطانية [4] فى القلعة ، و تربته عليها قبة كبيرة ، حولها اثنتا عشرة [5] مئذنة برواقين يؤذن على كل مئذنة مؤذن واحد فى وقت واحد مجتمعة أصواتهم ، فترتج المدينة بأذانهم ، و المآذن [6] المذكورة ظاهرها مرصع بالقيشانى الأزرق ، منقوش بالأصفر ، إذا طلعت الشمس عليها تشتعل [7] كالنار . و فى تلك القبة من القناديل الذهب و الفضة و الشمعدانات

---

(١) يقابلها ١٣٣٤ - ١٣٣٥ م .

(٢) فى الأصل : كثيرا .

(٣) يقابلها سنة ١٣١٧ - ١٣١٨ م .

(٤) إحدى مدن فارس بالقرب من تبريز ، وردت فى رحلة ابن بطوطة (ص ٧٧ ، ٢٣١) .

(٥) فى الأصل : اثنى عشر .

(٦) فى الأصل : المواذن .

(٧) فى الأصل : تشعل .

Marfat.com

الذهب / و الشمع كثير[1] . و تراب أرض القبة الزعفران ، و أرض القبة ٨٧ / ب
مفروشة[2] بالبسط الحرير ، و الستور الحرير الملونة المذهبة . و عتبة باب القبة من الذهب منزل بالفضة ، و على تلك القبة وقوفات كثيرة .

وكان السلطان محمد خدا بنده كريما سخيا ، وكانت عطاياه كثيرة .

و من جملة عطاياه أنه جاء حمل[3] مغاص اللؤلؤ ، وكان عشرين[4] حملا على بغال ، فيه الذهب و الفضة و اللؤلؤ ، و جاءه به محمد بن السواملى صاحب المغاص . وكان فى جملة الحمل دجاجة لؤلؤ منظومة ، وكان تحتها فراريجها لؤلؤ منظوم ، حاكوا بها الدجاجة و فراريجها ، وكان عند وصول الحمل إليه فى وقت طيب[5] و سرور ، و عنده قينة[6] تغنى من قيان بغداد يقال لها زهراء ، وثبت قائمة و قالت : أدام الله ملك مولانا السلطان ! الهدية لمن حضر ، فأعطاها الحمل بكماله قبل أن يعرض[7] الحمل عليه ، و لم يعلم ما فيه . فحصل لمحمد بن السواملى الآتى به من ذلك [8]غم و قهر[8] ، وكان له مدة

---

(١) فى الأصل : كثيرا .
(٢) فى الأصل : مفروش .
(٣) فى الأصل : احمل .
(٤) فى الأصل : عشرون .
(٥) فى الأصل : طيبة .
(٦) أى أمة أو مغنية ، و فى الأصل : قينية .
(٧) فى الأصل : تعرض .
(٨-٨) فى الأصل : غما و قهرا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتعب فى تحصيله حتى أتى به يفتخر به عنده فمات بغمه[1] .

وكان من كرم خدا بنده أيضا ، إذا ركب حراقته فى الدجلة يصير الناس يحاذونه فى البر يدعون له ، فيرمى إليهم بقوسه بندق الذهب والفضة ، فيزدحمون عليه ، فيعجبه ذلك و ينبسط و ينشرح . و عام عوام مسايرا للحراقة يقلى جبنا على كانون لطيف فوق يده ، فأعجبه ذلك ، فاستدناه إلى الحراقة ، و صار يأكل ما يقليه الجبان العوام المذكور . ثم إنه صار يحشو[2] [فى] فيه الذهب إلى أن صار شدقه مملوءا بالدنانير حتى لم يجد السلطان موضعا خاليا يدس له فيه منه ، و قد ورمت أشداقه من الدنانير الملتزمة بعضها لبعض ، فحينئذ دعا له بالإشارة لعدم نطق لسانه ، و انصرف عنه إلى الساحل . وكان نقش خاتمه «محمد و علىّ غاية أملى» . و كان [قد] طلع على عينه اليسرى جدرية فى صغره ، فتكونت بياضا نابقا / على حبة حدقته فعميت ، وكان دائما عليها خرقة حرير سوداء - رحمة الله تعالى عليه .

٨٨/ الف

[خبر الأعرابى مع أمير المؤمنين المهدى - ٣]

و إذ قد ذكر الكرم فسأذكر خبر أمير المؤمنين المهدى[4] مع الأعرابى - و هو أن فائقة بنت عبد الله أم عبد الواحد بن جعفر قالت :

---

(١) فى الأصل : بغمته .

(٢) فى الأصل : يحشى .

(٣) العنوان من هامش الورقة .

(٤) الخليفة العباسى و خلافته ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م .

بينما

Marfat.com

بينما أنا جالسة عند أمير المؤمنين المهدى ، و كان قد خرج متنزها إلى الأنبار[1] إذ دخل عليه الربيع وزيره و معه قطعة جلد[2] مختومة بقطعة طين معجونة بالرماد، و هو مطبوع بخاتم الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما رأيت أعجب من هذه الرقعة ، جاءنى بها رجل أعرابى و هو ينادى « هذا كتاب أمير المؤمنين المهدى ، دلونى على هذا الوزير الربيع ، فقد أمرنى الخليفة أن أدفعها إليه » قال الربيع : فأخذ منى أمير المؤمنين الرقعة و نظر فيها ثم ضحك و قال : صدق الأعرابى ، هذا خطى و هذا خاتمى ، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت ؟ قلنا : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : اعلموا أنى خرجت بالأمس فى صيد فى صحو ، فلما أصحرت[3] هاج علينا ضباب شديد حتى فرق بينى و بين خدمى و أصحابى حتى ما رأيت منهم أحدا ، فأصابنى من البرد و الجوع ما الله به أعلم ، و تحيرت عند ذلك . قال : فذكرت دعاء سمعته من أبى يحكيه عن جده عن ابن عباس . قال من قال إذا أصبح و إذا أمسى « بسم الله و بالله و لا حول و لا قوة إلا بالله ، اعتصمت بالله ، و توكلت على الله ، حسبى الله ، لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم » وقى وكفى من الحرق و الغرق و فتنة السوء . قال : فلما

(١) جاءت فى معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩) قرب بلخ و هى قصبة جوزجان . و الأنبار أيضا مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ ، و لا شك أن المقصود هو الأخيرة .

(٢) فى الأصل هنا زيد « فيها برماد » و أغلب الظن أن العبارة زائدة من خطأ قلمى فحذفناها يستقيم السياق و اكتفينا باثباتها فى الهامش .

(٣) فى الأصل : اضجرت .

قلتها ثلاثا رفع لى ضوء نار فقصدتها ، فاذا بهذا الأعرابى فى خيمة له ، و هو يوقد نارا بين يديه . فقلت : أيها الأعرابى ! هل من ضيافة ؟ قال : انزل ، فنزلت ، فقال لزوجته : هاتى الشعير . قال : فأتت به ، قال اطحنيه . فبدأت تطحنه . / فقلت له : أيها الأعرابى ! اسقنى ماء . ٨٨/ب قال فأتانى بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها ماء . قال : فشربت منه شربة ما شربت قط أطيب منها . قال : و أعطانى كساء له فوضعت رأسى عليه و نمت نومة طيبة . قال : ثم انتبهت فاذا هو قد وثب إلى شويهة له فذبحها . قال : فسمعت امرأته تقول : ويحك ! قتلت نفسك و صبيانك ، إنما كان معاشكم من لبن هذه الشاة ، فاذا ذبحتها فبأى شىء تأدمون[1] بقرصكم الشعير . قال : فقلت : أيها الأعرابى ! لا عليك هات الشاة ، فشققت جوفها بسكين كانت فى خفى و إستخرجت كبدها فشرحتها و ملحتها ثم طرحتها على النار . فأكلت ثم قلت له : هل عندك شىء أكتب لك فيه . قال : فجاءنى بهذه القطعة الجلد ، و أخذت عودا من الرماد الذى كان بين يديه ، و قلت له اطرح على الرماد الماء ، فجبلته[2] بالعود و كتبت له هذا الكتاب ، و أمرته أن يطينه ببقية الرماد المبلول و ختمت عليه بخاتمى ، و أمرته أن يجىء و يسأل [عن] الربيع و يدفعها إليه بعد أن عرفته أن هذا كتاب أمير المؤمنين . قال الربيع : فتأملت الرقعة بعد أن استأذنته بفك ختمها ، فاذا فيها خمسمائة ألف درهم . فقلت :

---

(١) فى الأصل : تادموا .

(٢) أى دعكته ، و فى الأصل : بخفاته - كذا .

Marfat.com

يا أمير المؤمنين ! تعطيه خمسمائة ألف درهم ! فقال : و الله يا ربيع لا نقصت منها درهما واحدا[1] و لو لم يكن فى بيت المال غيرها احملوها معه . قال : فحملت مـــع الأعرابى ، فما كان إلا قليلا[2] حتى كثرت إبله و غنمه ، و صار منزلا من المنازل تنزله الناس ممن أراد الحج من الأنبار إلى مكة .

شعر يشتمل على حجاج بيت الله النازلين ببطحاء مكة المشرفة ـ شرف ٥ الله قدرها ! و هى هذه الأبيات :

أيها الوفد انزلوا و أنيخوا و أضيفوا بأكرم الأكرمينا
ملك يملك السماوات و الأر ض جميعا و يملك العالمينا
و له الخلق و المشيئة و الأمـــر و ما لم تروا و لم تعلمونا
أيها المعشر المهلون بالحج سلوه لن ترجعوا خائبينا
أيها المحرمون لبوه شعثا إنكم فى جواره آمنينا
/ ما تركتم من لذة و سرور فلدينا أضعاف ما تتركونا ٨٩/الف
أيها الطائفون بالبيت طوفوا فلكم منه تحفة القادمينا
بالصفا نلتم الصفا و بالمروة صارت ظنون قوم يقينا
أيها الصادرون من عرفات قد سفرنا بكم لكى تعرفونا
وكفاكم بعد التعارف قبحا تجحدون الوداد أو تنكرونا
أيها الواقفون لا أحجب الصو ت و أقضى حوائج السائلينا
أيها اللامسون الحجر الأســـود قبل الطواف مستسلمينا

(١) فى الأصل : واحد .
(٢) فى الأصل : قليل .

Marfat.com

ذاك عهدى إليكم فاحذروا أن تنقضوا[1] الطواف أو تغدروا
فصلونا بالصدق منكم نصلكم واذكرونا إنا لكم ذاكرونا

[2]ذكر تاريخ قدوم سيف السلطان الملك الأشرف شعبان من القاهرة إلى الإسكندرية و نصب كرسى الملك بها و غير ذلك من الواردات المستطردات[2]

و فى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع و ستين و سبعمائة[3] ورد سيف السلطان الملك الأشرف شعبان[4] بن حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون من القاهرة إلى الإسكندرية، فكان لدخوله الإسكندرية [5]يوم مشهود[5]، فتلقاه ملك الأمراء سيف الدين أسنبغا بن البو بكرى و الأمراء المجردون بها و الحجاب الثلاثة المتقدم ذكر أسمائهم، و هم صلاح الدين بن عرام و بهاء الدين أصلان و بكتمر العمرى، ثم قضاة القضاة و هم قاضى القضاة كمال الدين الريغى المالكى و قاضى القضاة شهاب الدين الحلبى الحنفى و نوابها، و اصطفت الناس بالمحجة العظمى لدخول سيف السلطان المذكور، فكان خازندار

(١) فى الأصل : تنقضون .
(٢-٢) هذا العنوان وارد بمطلع النص .
(٣) يقابل هذا التاريخ ٨ فبراير سنة ١٣٦٨ م .
(٤) سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م .
(٥-٥) فى الأصل : يوما مشهودا .

ملك

Marfat.com

ملك الأمراء لابس الخلعة و السيف السلطانى على عاتقه الأيمن، قابضا على قبضته بيده اليمنى، و ملك الأمراء يحجب السيف، و قضاة القضاة الواحد عن يمينه، و الآخر عن يساره، و الأمراء تحجب ملك الأمراء، و الشاويشية تصرخ، و الشبابة تزعق، و الخلق يموجون / من كثرتهم، ٨٩/ب و ذلك بعد أن وضع كرسى الملك بايوان دار الإمارة الجديد العمارة. ٥ و هذا الإيوان المذكور عمّره ملك الأمراء المذكور، و قد فرش الكرسى بفرش الحرير، و وشح أيضا بشقاق الحرير الملونة، و علق السيف السلطانى بصدر الكرسى، و جلس ملك الأمراء تحت الكرسى و جلست القضاة عن يمينه، و جلست الأمراء بمجالسهم اللائقة بهم، و انتصب الحجاب و الجند قياما[1] على أقدامهم، و زعقت[2] الشبابة، و صرخت ١٠ الشاويشية، و مد السماط، فأكلت الأمراء من تلك الموائد المنصوبة بقدر أكل الطائر، و رفع السماط لأرباب الوظائف المعتادين لأخذه، إذ ليس الحظ من موائد الملوك [كثرة الأكل عليها، بل للمرتبة التى يرفع إليها و يخص بها، كما قيل موائد الملوك -[3]] للشرف، لا للعلف. فقد كانت ملوك الفرس إذا رأوا[4] رجلا شرها فى هذا الحال على الطعام، ١٥

---

(١) فى الأصل : قيام .

(٢) فى الأصل : زعقة .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت بهامشه بقلم المصحح المراجع .

(٤) فى الأصل : رأت .

Marfat.com

أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ، و من باب الإعظام إلى باب الاستخفاف[1] .

ألا ترى أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان حين قدم بين يدى عظماء العرب الموائد عليها الأدِجّة[2] ، فقك أحدهم دجاجة و أنْهَم[3] فى أكلها ، فنظر إليه معاوية فقال : هل بينك و بين أمها عداوة ؟ فقال له العربى : فهل كان بينك و بينها قرابة ؟ فهذا الكلام الذى دار بينهما قد قدح فى قلب كل واحد منهما ، و لم يقل معاوية هذا لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة ، و كيف يكون ذلك و هو يكتب[4] إلى عماله فى سائر أعماله باطعام السابلة[5] و الفقراء و ذوى الحاجات ! و له كل يوم أربعون مائدة يقتسمها وجوه أهل الشام . و لكن علم أن من حق الملوك توقير مجالسهم و تعظيمهم ، و ليس من التوقير كثرة حركة اليد ، و شدة النهم ، و طلب الشبع بحضرتهم ـ انتهى .

[فى آداب المائدة و موضوعات أخرى ـ[6]]

فلنذكر الآن سماطا عمل لبعض الملوك إن شاء الله تعالى ـ و هو

---

(١) فى الأصل : الاستحقاق .
(٢) جمع دجاجة ، و لم نظفر بهذا الجمع ، و جمعها : كدجاج و دِجاج و دجائج و كَدجاجات و دِجاجات و دُجج .
(٣) كذا فى الأصل ، و لعله : نهم .
(٤) فى الأصل : يكبت ـ كذا .
(٥) فى الأصل : السايلة . و السابلة هم أهل السبيل .
(٦) ليس بالنص أو الهامش ، و هو باب يشمل متفرقات و حكايات فى شتى الموضوعات .

أن سيف الدولة صدقة ممدوح أبى يعلى[1] بن الهبارية بكتابه « الصادح و الباغم »، عمل سماطا للسلطان / جلال الدولة أبى الفتح ملك شاه[2]. ٩٠/الف
فاشتمل ذلك السماط على ألف رأس من الغنم و مائة من الجمال و الخيل و غيرها، و دخله عشرون ألف منّ[3] من السكر، و جعل عليه من أنواع الطيور و الوحوش المنفوخة من السكر شىء كثير. فتناول السلطان منه شيئا يسيرا، ثم أشار فانتهب عن آخره.

ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم له لم ير مثله من الحرير، و فيه خمسمائة قطعة من فضة و ألوان من تماثيل الند[4] و المسك و العنبر و غير ذلك. فمد فيه سماطا خاصا، فأكل السلطان حينئذ، و أمر بأن يحمل إلى سيف الدولة صدقة عشرون ألف دينار و انصرف.

و يقال إن سابور[5] أحد أكاسرة الفرس لما مات 'موبذان موبذان' -

---

(١) فى الأصل: أبى العياش، و التصحيح من كشف الظنون، و فيه: « الصادح و الباغم » منظومة على أسلوب كليلة و دمنة فى ألفى بيت لأبى يعلى محمد بن محمد المعروف بابن الهبارية الهاشمى العباسى البغدادى .... نظمه للأمير سيف الدولة أبى الحسن صدقة بن دبيس.

(٢) خلف الب أرسلان من سلاطين السلاجقة و حكمه ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م.

(٣) فى الأصل: منا.

(٤) عود ذو رائحة طيبة يتبخر به.

(٥) ربما كان المقصود سابور الأول و حكمه ٢٤١ - ٢٧٢ م.

تفسيره بلغة الفرس قاضى قضاتهم - وصف له رجل من كورة إصطخر[1] يصلح لذلك لما فيه من العلم و الأمانة ، فوجه إليـــه ، فلمـا قدم و دخل عليه دعا بالطعام و ندبه إليه ، فدنا و أكل معه ، و أخذ سابور دجاجة فنصفها ، و وضع نصفها بين يدى الرجل و نصفها بين يديه ، ثم أومأ إليه أن كل من هذه ، فأقبل الرجل يأكل ففرغ من نصفها قبـــل فراغ سابور ، و مد يده إلى طعام آخر ، و الملك يلحظه . فلما رفعت المـائدة ، قال له الملك : ودع و انصرف إلى بلدك ، فان آباءنـا و أسلافنا من الملوك كانوا يقولون « من شره بين يدى الملوك إلى الطعام ، فانـــه إلى أموال الرعايا و اليتامى و السوقة أشد شرها » ولم يوله سابور بأن أحضره له[2] و صرفه .

و قال العلماء : ينبغى للرجل أن لا ينهم فى الأكل و يكثر منـه ، فما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، بـــل يجعل ثلث بطنه للطعام ، و ثلثه للماء ، و ثلثه للنفس .

و سئل مالك عن الجبار[3] يأكل و هو واضع يده اليسرى على الأرض ، فقال : إنى لأتقيه و أكرهه و ما سمعت فيه شيئا .

قال القاضى أبو الوليد : إنما كرهه لما فيه من معنى الاتكاء و إن كان لم يسمع فيه نهى / يخصه ، و ليأكل الآكل بيمينه ، و يشرب بيمينه ، ٩٠/ب و يأكل مما يليه إلا أن يكون الطعام ألوانا مختلفة . و رخص الشيـخ

(١) إصطخر ـ انظر حاشية سابقة .

(٢) العبارة كذا فى الأصل .
و مضمونها واضح فى صرف ذلك الرجل.

(٣) فى حديث الأكل بمثل هذه الهيئة : لم يجعانى جبارا ، عنيدا ـ راجع الأطعمة من سنن أبى داود و ابن ماجه ، و فى الأصل : الحـا ... كذا .

أبو

Marfat.com

أبو الوليد أن يتعدى ما يليه ، و إن لم يكن ألوانا إذا كان مع أهله و ولده ، إذ لا يلزمه أن يتأدب معهم و يلزمهم أن يتأدبوا . و إذا كان جماعة فأدير عليهـــم ما يشربون من لبن أو ماء أو غيره ، فليأخذ بعد الأول الأيمن فالأيمن . و ينبغى للرجل إذا أكل مع قوم أن يأكل مثل ما يأكلون من تصغير اللقم و إطالة المضغ و الترسل فى الأكل ٥ و إن خالف ذلك عادته ، و لا ينفخ فى طعامه أو شرابه ، و لا يتنفس فى الإناء ، و لكن ينحيه عن فيه ، فاذا تنفس أعاده كما جاء فى الخبر ، و لا بأس بالشرب قائما ، و من أكل ثوما نيئا فلا يقرب المساجد ، و كذلك إن أكل البصل أو الكراث ، و إن كان يؤذى مثله قياسا على الثوم ، و يغسل يديه من الدسم . ١٠

و الدعوات خمس : الأولى وليمة النكاح و يؤمر باتيانها إلا من عذر ، و الثانية ما يفعلها الرجل للخاص من إخوانه و جيرانه على حسن العشرة و إرادة الألفة و يستحب إتيانها ، و الثالثة ما سوى ذلك مما يفعل على جرى العادات دون مقصود مذموم كالخرس و هو طعام الولادة ، و العقيقة و هو اسم للشاة التى تذبح عن المولود يوم سابعه ، و الإعذار ١٥ و هو طعام الختان ، و الوكيرة و هى الطعام لبناء الدار ، و النقيعة و هو الطعام للقادم من السفر ـ و كل ذلك جائز إجابتـــه ، و الرابعة ما يقصد به مذموم من التطاول و ابتغاء المحمدة ، الشكر و ما أشبه ذلك فلا ينبغى إجابتها لا سيما لأهل الفضل و الهيئات لأن إجابتهم إلى

مثل / هذه الأطعمة إضاعة للتصاون و إخلاق للهيئة عند دناة الناس و سبيل[1] ٢٠ ٩١/ الف

(١) فى الأصل : سبيلا .

Marfat.com

لإذلال أنفسهم فقد قيل « ما وضع أحد يده فى قصعة أخيه إلا ذل له »، الخامسة ما يفعله الرجل لمن يحرم عليه قبول هديته كأحد الخصمين للقاضى فهذا يحرم إجابته .

و لآكل الطعام فرائض و سنن و مكارم و آداب ، ففرائضه التسمية فى أوله ، و الحمد و الشكر فى آخره ، و معرفة ما أطعمك الله تعالى ، و لتأكل باليمنى . و أما سننه فاتكاؤك على فخذك الأيسر ، و الأكل بثلاث أصابع ، و لتأكل مما يليك ، و لتلعق أصابعك من أثر الطعام . و أما المكارم و الآداب فغسل اليدين قبل الأكل و بعده ، و تصغير اللقمة ، و تطويل المضغة ، و قلة النظر إلى جليسك ، و السكوت حين الأكل ليأخذ كل عضو من الطعام حقه منه .

و سئل مالك عن قوله تعالى[1] " و لا تنس نصيبك من الدنيا و احسن كما احسن الله اليك " فقال : أن يعيش و يأكل و يشرب غير مضيق عليه و يتجمل باللباس . قال أبو الوليد و قد شرع فى الصلاة : التجمل و حسن الزى و الهيئة و منع الاحتزام و تشمير الكمين و ما جرى مجرى ذلك مما ينافى الوقار ، و لذلك شرع فى أيام الجمع التجمع[2] بالملبس و التطيب لاجتماع الناس ، وكذلك فى الأعياد . و ينبغى لأهل العلم أن يكون زيهم حسنا . روى « إن الله جميل يحب الجمال » و ينبغى للرجل العالم التجمل و التطيب لأنه يجتمع إليه الناس و يردون عليه ، فشرع له التجمل

(١) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٧٧ .
(٢) كذا فى الأصل و لعله : التجمل .

Marfat.com

فى الملبس دون أن يخرج من عادة مثله - انتهى .

نعود إلى ما قيل فى عدم الأكل عند الأكابر و الإكثار و الإقلال منه - كان أمير المؤمنين المنصور[1] أحد خلفاء بنى العباس يأكل يوما ، فدخل عليه / بعض فتيان بنى هاشم ، فدعاه إلى الطعام ، فقال : إنى شبعان ، ٩١/ ب
فلما خرج عدل به الربيع بن يونس[2] الوزير إلى ناحية من الدار فضربه ٥ عشرين مقرعة ، فشكا ذلك إلى أهله ، فغدوا على أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور ، فعرفوه بما جرى من الربيع . فقال : إن شئتم فاسألوا[3] الربيع ، فما أراه ضربه لغير واجب . فسألوه فقال : يا أمير المؤمنين ! دعوته إلى طعامك ، فقال : إنى شبعان ، فظن أن موائد الملوك إنما يجلس عليها لطلب الشبع و إطفاء النهم ، و جهل[4] ما فى ذلك من شرف المنزلة و علو المرتبة فأدبته . ١٠

فقال لهم المنصور : قد عرّفتكم أن الربيع لم يكن ليضربه إلا لأمر أوجب أدبه .

قيل لسمرة بن جندب أن ابنك أكل طعاما كثيرا كاد يقتله . فقال : لو مات ما صليت عليه .

سأل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[5] أبا الزعيزعة فقال له : ١٥

---

(١) خلافته ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٦ م .

(٢) حياته ١١٢ - ١٧٠ هـ / ٧٣٠ - ٧٨٦ م استوزره الخليفة المنصور و بعده المهدى والهادى .

(٣) فى الأصل : فسالوا .

(٤) فى الأصل : و جعل .

(٥) الخليفة الأموى و خلافته ٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م .

Marfat.com

هل اتخمت قط ؟ قال : لا . قال : و كيف ؟ قال : لأنى[1] إذا طبخت أنضجت ، و إذا مضغت دققت ، و لا اكظّ[2] المعدة و لا أخليها .

قيل لرجل: ما أسمنك ؟ و إنك لحسن السحنة ، قال : آكل لباب البر بصغار المعز ، و أدهن بخالص البنفسج ، و ألبس الكتان . و قيل لرجل : ما أسمنك ؟ قال : قلة الفكرة ، و طول الدعة ، و النوم على الشبع .

قعد أعرابى على مائدة المغيرة بن شعبة ، فجعل ينهش اللحم ، و يتعرق العظم ، فقال : يا غلام ! ناوله سكينا . فقال الأعرابى : كل امرئ سكينه فى رأسه ، أنيابه و من وراء أضراسه . و قيل لأعرابى : ما لكم تأكلون اللحم و تدعون الثريد ؟ فقال : لأن اللحم ظاعن و الثريد مقيم ، و أكل أعرابى عند ذى اليمينين فأقلل فقال له : إن الطعام كثير فخذ بحظك منه . فقال : إن الإقلال من الطعام ، يعين الكرام ، و ينشط
٩/ الف الهبوب / من المنام ، و تدوم معه سلامة الأجسام .

حكى أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه : ما خير الغذاء ؟ فقال ابن القرية : بواكره أيها الأمير ! قال : و لم ذلك ؟ و هل هو كذلك ؟ هو فى أوان . قال : إن كان الزمان شتاء فلطول الليل و هضم المعدة للطعام ، و إن كان صيفا فلبرد الماء و قلة الذباب .

---

(١) فى الأصل : لأن .

(٢) فى الأصل : اكض - كذا بالضاد .

Marfat.com

عزم بخيل[1] على جحظة الشاعر ، فانعزم معه ، فقدم له طعاما ، فصار جحظة ينهم فى الطعام ، و يشره فى الأكل ، و ذلك البخيل يرمقه و قد تفتت كبده لكثرة أكله ، و إنه خلع رجل دجاجة كانت على المائدة ، فقام البخيل لجحظة و جر رجله غيظا منه ، فلما شبع جحظة من طعام ذلك البخيل و فهم عنه ما كان يصنع من تغيير وجهه و تقطيبه و شتمه ه لعبده ، و جره لرجله ، أنشأ يقول :

لنا صاحب من أبرع الناس فى البخل
و أفضلهم فيه و ليس بذى فضل
دعانى كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتى لأمثاله مثلى
فلما جلسنا للغذاء رأيته
يرى أن ما بين أعضائه أكلى
و يغضب أحيانا و يشتم عبده
فأعلم أن الغيظ و الشتم من أجلى
أمد يدى شزرا لآكل لقمة
فيلحظنى شزرا فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفى لحيى دجاجة
فجر كما جرت يدى رجلها رجلى

و قد تغلغل بنا الكلام ، و تسلسل و تشعب إلى أن أخرجنا مما[2] كنا فيه

(١) فى الأصل : بخيلا .
(٢) فى الأصل : كما .

Marfat.com

من نصب كرسى الملك بالإسكندرية . فلنذكر ما قيل فى الكرسى إن شاء الله تعالى .

[فى الكرسى - ١]

قال اللغويون : الكرسى من تراكب الشىء بعضه على بعض . و تكارس الشىء - إذا تراكب ، و منه الكِرس - بعضه فوق بعض و منه الكراسة - لتراكب[٢] بعض أوراقها فوق بعض . و العرب يسمون أصل كل شىء الكرسى . و لأن الملك يجلس على الكرسى ، فسمى الملك باسم مكان الملك . و الكرسى هو الشىء الذى يعتمد عليه ، و منه يقال للعلماء : كراسى . / لأنهم الذين[٣] يعتمد عليهم ، كما يقال لهم : ٩٢/ ب أوتاد الأرض . و الكرسى عبارة عما يقعد عليه القاعد و لا يفضل عن قعوده شىء .

و قيل فى قوله تعالى[٤] : " وسع كرسيه السموٰت و الارض" المراد به فى الآية هو العلم ، و هذا من تسمية الشىء بمكانه ، لما أن كان الكرسى يكون عليه العالم و يقرأ عليه العلم ، أطلق على علم الله تعالى كرسى . و قيل الكرسى المراد به فى الآية الملك ، و هذا أيضا من تسمية الشىء بمكانه ، لما أن كان الحاكم يجلس على الكرسى ، أطلقه على حكم الله تعالى .

---

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) فى الأصل : لتركب .

(٣) فى الأصل : الذى .

(٤) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٥٥ .

Marfat.com

و قيل المراد به فى الآية -[1] العرش ، و العرش أكبر منه ، و يدل على ذلك الحديث . قال صلى الله عليه و سلم : ما السماوات السبع [و الأرضون السبع - [2]] فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض ، و فى بعضها إلا كالدراهم السبعة ملقاة فى ترس ، و ما السماوات السبع و الأرضون السبع و الكرسى فى العرش إلا كحلقة ملقاة فى[3] الأرض - ٥ و فى بعضها : إلا كشعرة بيضاء فى بعير أسود .

و كراسى الجنة منصوبة فيها لأولياء الله و أهل صفوته و أحبائه من خلقه ، و المنابر فيها منصوبة لأنبيائه عليهم السلام . جعلنا الله تعالى من أهل الجنة بمنه و كرمه ، آمين .

و كان فى بنى إسرائيل رجل[4] من خيارهم قد اجتهد فى عبادة ربه ، و زهد فى دنياه و أزالها عن قلبه . و كان له زوجة مساعدة له على شأنه . مطيعة فى كل أوانه ، و كانا يعيشان[5] من طبق الأطباق و المراوح[6] ، يعملان النهار كله ، فاذا كان فى عشية النهار ، خرج الرجل بما يعملانه فى يده ، و مشى به على الأزقة و الطرق يلتمس مشتريا يبيع له ذلك ،

(١) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و أضيفت فى الهامش بقلم المراجع .
(٢) لعله سقط من هاهنا « و الأرضون السبع . - و يدل على ذلك سياق الحديث فيما بعد .
(٣) كذا فى الأصل ، و ربما كانت « فى فلاة من الأرض » .
(٤) فى الأصل : رجلا .
(٥) فى الأصل : يعيشا .
(٦) المقصود جدل الأطباق و المراوح أى من الخصوص - و فى الأصل : المرواح - و هو خطأ قلمى ، انظر ما بعد .

Marfat.com

و كانا يديمان الصوم ، فأصبحا فى يوم صائمين ، و عملا يومهما ذلك ، فلما كان عشية النهار ، خرج و بيده مراوح يطلب من يشتريها ، فمر بباب أحد أهل الثروة و أهل الرفاهية ، و كان الرجل حسن الوجه جميل الصورة ، فرأته امرأة صاحب الدار ، فتعشقته و مال قلبها إليه ميلا شديدا ، و كان زوجها مسافرا ، فدعت جاريتها و قالت[1] : لعلك أن تتحيلين فى دخول هذا الرجل عندنا فى هذه الليلة ، فانى قد ملت إليه بكليتى . فخرجت الجارية إليه ، و دعته لأن تشترى منه ما بيده ، و قالت : ادخل و اقعد فى الدهليز ، فان سيدتى تريد أن تشترى من هذا شيئا

الف /حتى تتخير منه و تنظر إليه . فتخيل للرجل أنها صادقة فى قولها ، و لم ير به[2] بأسا فدخل ، فلما حصل فى الدهليز غلقت الجارية الباب ، و خرجت سيدتها فجذبته و أدخلته الدار مكرها ، و قالت : كم لى أطلب قربك ، و قد عيل صبرى من أجلك ، و هذا البيت خال[3] ، و الطعام حاضر[4] ، و أنا قد وهبت نفسى لك ، و كم طلبنى من الرؤساء و أرباب الدنيا فلم ألو على أحد منهم ، و زادت و نقصت فى كلامها ، و الرجل لا يرفع رأسه إليها حياء من الله تعالى ، و خوفا من عقابه ، فطمع أن يكف نفسه منها . فقال : إن كان و لا بد من مطاوعتك أريد منك شيئا . قالت : و ما هو ؟ قال : ماء طاهرا و أصعد به إلى أعلى دارك أصنع به أمرا

(١) فى الأصل : قال .
(٢) فى الأصل : لم يريبه .
(٣) فى الأصل : خاليا .
(٤) فى الأصل : حاضرا .

Marfat.com

و أغسل به درنا لا يمكننى أن أطلعك عليه . فقالت : الدار متسعة و لها خبايا و زوايا . قال : ما غرضى إلا الارتفاع . فقالت لجاريتها : اصعدى به إلى المنظرة العليا من الدار . قال : فصعدت به إلى أعلى موضع فى الدار ، و وضعت له الإناء بالماء ، و نزلت عنه ، فتوضأ و صلى ركعتين . ثم علا على سطح المنظرة ، و نظر إلى الأرض ، فرآها بعيدة ، و خاف أن لا يصل إلى الأرض إلا و قد تمزقت أشلاؤه ، ثم تفكر فى مشيئة الله تعالى و عذابه ، و أليم عقابه ، فهان عليه بذل نفسه ، و سفك دمه . و قال : إلهى و سيدى و مولاى قد ترى ما نزل بى ، و لا يخفى عنك حالى ، و بذل نفسى فى نيل رضاك يسير ، و أنت على نجاتى قدير . ثم رمى بنفسه من أعلى المنظرة ، فبعث الله تعالى له ملكا التقفه على جناحه و أنزله سالما ، فلما حصل فى الأرض ، حمد الله تعالى ، و أثنى عليه على ما أولاه من عصمته ، و أناله من رحمته ، و صار دون شىء إلى زوجته . و كان قد أبطأ عنها ، فدخل دون شىء معه يتعشيان به . فسألته عما خرج به فى يده / من ثمن المراوح ، فأخبرها بما عرض له ٩٣/ب من الفتنة ، فقالت : الحمد لله على ما أزال عنك من المحنة . ثم قالت[1] : إن الجيران تعودوا منا أن نضرم نارا فى كل ليلة ، فان رأونا الليلة دون نار ، علموا أننا دين شىء ، و من شكر الله تعالى كتمان ما نحن فيه من الخصاصة ، و نصوم هذه الليلة باليوم الماضى ، و قيامها لله تعالى . و قامت إلى التنور و ملأته حطبا لتغالط الجيران ، و أضرمته نارا ، فتوضآ جميعا ، ثم قاما إلى الصلاة . فاذا بامرأة من الجيران تستأذنها

(١) فى الأصل : قال .

Marfat.com

فى أن توقد من نارها . فقالت لها المرأة : شأنك و التنور ! فلما دنت المرأة من التنور نادتها : يا فلانة ! أدركى خبزك قبل أن يحترق . فقالت لزوجها : أسمعت ما تقول هذه المرأة ؟ فقال : سيرى و انظرى . فسارت المرأة إلى التنور ، فإذا التنور قد امتلأ خبزا نقيا أبيض . فأخذت المرأة الأرغفة ، و دخلت على زوجها و هى تشكر الله على ما أولى من الخير العميم ، و المن الجسيم . فأكلا من الخبز ، و شربا من الماء ، و شكرا الله تعالى . ثم قالت المرأة : تعال فلندع الله تعالى ، عسى [أن] يغنينا عن كد العيش ، و يعيننا به على عبادته ، و القيام على طاعته . قال لها : نعم ، فدعا الرجل ربه ، و أمنت الجارية على دعائه . فإذا سقف البيت قد انفرج ، و نزلت منه ياقوتة أضاء البيت من نورها ، فسرا بتلك الياقوتة سرورا عظيما ، و صليا ما شاء الله تعالى . فلما كان آخر الليل ناما ، فرأت المرأة كأنها دخلت الجنة ، و رأت منابر كثيرة مصفوفة ، و كراسى منصوبة . فقالت : و ما هذه المنابر ؟ فقيل لها منابر الأنبياء . فقالت : و ما هذه الكراسى ؟ فقيل لها : كراسى الصديقين و الصالحين . فقالت : و أين كرسى زوجى فلان ؟ فقيل لها : هذا ، فنظرت فإذا فى جانبه ثلمة . / فقالت : و ما هذه الثلمة ؟ فقيل لها : هى موضع الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما . فانتبهت المرأة من نومها و هى باكية العين ، حزينة القلب على نقص كرسى زوجها ، و ثلمه بين كراسى الصديقين ، فقالت له : أيها الرجل ! ادع ربك أن يردها إلى موضعها ، فمكابدة الجوع و المسكنة فى الأيام القلائل ، أهون من ثلم

٩٤ / الف

كرسيك بين أصحاب الفضائل . قال : فدعا الرجل ، فاذا الياقوتة قد طارت صاعدة إلى السقف و هما ينظران إليها ، و ما زالا على فقرهما[1] ، و كثرة عبادتهما ، حتى لقيا الله تعالى .

و قال وهب بن منبه : إن كرسى سليمان عليه السلام اتخذه له صخر الجنى ، و كان من أنياب الفيلة[2] ، و قوائمه من الذهب . و ركب ٥ فيه صخر من الصور و التماثيل و جميع ما يدب على وجه الأرض ، فكان سليمان يجلس عليه . ثم أمر سليمان باتخاذ اثنى[3] عشر ألف كرسى من العاج و الأبنوس و الصندل محلاة بالذهب الأحمر ، فكانت هذه الكراسى لمن يكون بين يديه . و كان الكرسى الذى وضعه له صخر الجنى يجلس عليه إذا وفدت عليه ملوك الأرض . و كان الكرسى ١٠ الذى يخطب عليه و يحكم بين الناس اسمه « كوكب الجنة » . كان له عارضتان[4] من الذهب ، و درج من الياقوت الأحمر و اللؤلؤ و الزبرجد ، و كان فيه كل لؤلؤة بقدر بيض النعام . و كان صخر الجنى قد أحدث فيه عجائب و ركب فيه غرائب ، و ذلك أنه ركب فى أول مرقاة من مراقيه كرمة قضبانها من الذهب ، و ورقها من الزبدجد[5] ، و عناقيدها ١٥ من الجوهر على مثال العنب من سائر الألوان ، و ركب على جوانب الكرسى نخيلا من ذهب سعفها من زبرجد أخضر عليه جوهر على مثال

---

(١) فى الأصل : تقررهما .

(٢) فى الأصل : الأفيلة .

(٣) فى الأصل : اثنا .

(٤) فى الأصل : عارضتين .

(٥) فى الأصل : الزجد ـ كذا .

Marfat.com

الرطب ، و ركب على النخيل / طواويس و نسور و عقبان بحوقة تدخل الرياح ٩٤/ب
فى أجوافها فتصفر صفيرا حسنا ، و ركب على المرقاة الثانية من الكرسى أسدين عن يمين المرقاة و عن شمالها ، و كذلك سائر مراقى الكرسى عليه أسود و طواويس من الذهب محشوة مسكا و عنبرا مسحوقا . فكان سليمان إذا صعد المرقاة الأولى[1] ، نشرت العقبان و النسور و الطواويس أجنحتها ، و إذا صعد[2] المرقاة الثانية مدت الأسود أعناقها نحوه ، و إذا صعد المرقاة الثالثة سبحت الوحوش و الطيور و الهوام ، و إذا صعد المرقاة الرابعة و الخامسة و السادسة و السابعة دار الكرسى بما عليه من وحوش الذهب و الطيور . و يجلس سليمان ، فأذا جلس نفخت النسور و الأسود و الطواويس ما فى أجوافها من المسك و العنبر المسحوق على رأس سليمان . ثم تدنو منه حمامة[3] مصورة من الذهب و فى منقارها صحيفة من فضة فيها آيات من الزبور ، فيقرأها سليمان على بنى إسرائيل . فكان إذا جلس للحكم و حضر الخصمان ، أخذت الأسود تزأر ، و تخفق الطيور بأجنحتها ، فيظهر لسليمان من الهيبة ما يدهش الخصم ، فلا يتكلم إلا بالحق . و كان مع ذلك الملك يصعد لسليمان من العمل الصالح فى يومه و ليلته ما لا يصعد مثله لأهل الأرض من بكاء و خشوع و شكر و عبادة . و كان سليمان عليه السلام تطيعه الجن ، و من تمرد عليه منهم سجنه فى القماقم ، و ختمها بالرصاص ، و ألقاها فى البحر . و فرق سليمان المردة من الجن فى الأثقال المختلفة من الحديد ، و أمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم[4]

(١) فى الأصل : الأوله . (٢) فى الأصل : صعدت .
(٣) فى الأصل : جماعة . (٤) عن الإبريسم ، انظر فيما سبق ج ٣ ص ١١٣ .

و الشعر

Marfat.com

و الشعر و القطن و نسيج البسط و التصاوير و التماثيل ، و أمرهم باتخاذ القدور الراسيات و الجفان التى كالجواب ، يأكل من كل قدر ألف أنسان . و اشتغل طائفة منهم بالغوص فى البحر و إخراج الأصداف و الجواهر و جميع الأصناف المختلفة الألوان . و أمر بعضهم بحفر الأنهار و الآبار ، و بعضهم باستخراج الكنوز من تحت الأرض ، و بعضهم / فى عمل ٥ ٩٥ / الف السروج . و أمر بعضهم بلزوم الخيل الصعاب ، و قال : كما يصلح المهماز للفرس و الرسن للحمار ، كذلك يصلح القضيب لظهور الجمال [1] . و فى منثور الحكم من لم يصلح باللين . أصلحه التليين ، و من لم يعتدل عدّل .

وكان لسليمان عليه السلام موائد منصوبة على طول الزمان للغرباء ، و له خمسون [2] ألف طباخ ، مع كل طباخ شيطان يعينه على سلخ البقر و الغنم و احتطاب الحطب ، و رتب فى كل مخبز ألف خباز . و قيل إنه كان يذبح فى كل يوم بمطبخه من الإبل و البقر و الغنم ثلاثين ألف رأس . وكانت الموائد منصوبة لطعام الناس ، فقيرهم و غنيهم و كبيرهم و صغيرهم . و قال وهب بن منبه . بينما سليمان عليه السلام سائر بساحل البحر ، و الريح من تحته ، و الإنس عن يمينه ، و الجن عن شماله ، و الطير فوقه تظله ،

(١) فى الأصل : الجهال ـ كذا .

(٢) فى الأصل : خمسين .

Marfat.com

إذ نظر إلى تفطفط[1] أمواج البحر، فرأى[2] قبة تضربها الأمواج فى لجة البحر، فأمر الجن بالإتيان بها إليه . فلما وضعت القبة بين يديه، انفتح لها بابان، فخرج من القبة شاب حسن عليه ثياب بيض، وكان رأسه يقطر ماء . فقال له سليمان : يا فتى ! من الجن أنت أم من الإنس ؟ فقال : لا بل من الإنس . قال : فتعجب سليمان من حسنه و مكانه الذى هو فيه، فقال له : ما بلغ بك ما أرى من سكناك هذه القبة، و القبة تمشى بك على وجه الماء؟ فقال : يا نبى الله ! كانت لى والدة، وكنت أبر الناس بها، أطعمها و أسقيها بيدى، و لا أترك شيئا من صنائع البر إلا صنعت بها، فلما أدركتها الوفاة، سألتها أن تدعو الله عز و جل لى . قال: فرفعت رأسها إلى السماء و قالت : يا رب ! قد عرفت بر ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لإبليس و جنوده عليه سبيل . قال : ثم ماتت لوقتها، فلما خرجت أتمشى على ساحل هذا البحر، إذا أنا بهذه القبة على وجه الماء إلى جانب الساحل، ٩٥ / ب ففتحت أبوابها لى، فدعتنى نفسى إلى الدخول إليها / لأنظر ما فيها، فلما دخلتها انطبقت[1] علىّ أبوابها . و تزاحمت الأمواج عليها، دخلت بى البحر، فكان آخر العهد بى يا نبى الله ! فقال له سليمان : فأخبرنى يا عبد الله من أين مطعمك و مشربك، فقال : إذا جاء الليل جاءنى طائر أخضر فى منقاره

(١) أى حركة الأمواج العالية .

(٢) فى الأصل : إذ رأى .

Marfat.com

شيء أبيض ، يدخل إلى من طاقة بأعلى القبة ، فيدفعه إلى ، فهو يعصمنى من الطعام و الشراب ، فقال له سليمان : فهل لك فى صحبتنا ؟ قال : لا يا نبى الله ! أريد أن تأذن لى أن أدخل قبتى ، أختلى فى خلوتى ، لأنى قد آنست بها . فأذن له فدخلها ، فحينئذ انطبقت عليها أبوابها ، و زخرت عليها الأمواج ، فدخلت بها البحر . فعجب سليمان من أمر الفتى ، و سارت به الريح إلى حيث أراد الله - انتهى .

نعود إلى ذكر صفة كرسى يوسف الصديق عليه السلام ، و دخول إخوته إليه و هو جالس عليه إن شاء الله تعالى - و ذلك أن إخوة يوسف لما أتوا من أرض كنعان حين القحط بسبب شراء الطعام من خزائن يوسف التى خزنها[1] فى سنى[2] الخصب بسبب سنى[2] الجدب ، و أعلم يوسف بقدومهم ، لبس أحسن ثيابه ، و قعد على كرسى ملكه ، وكان طول كرسيه ثلاثين[3] ذراعا و عرضه عشرة أذرع ، و هو من ذهب مرصع بالدر[4] و الجوهر و الياقوت ، قد ضرب عليه ... [5] ثم أرخى على وجهه برقعا من

---

(١) فى الأصل : الذى خزنه .

(٢) فى الأصل : سنين .

(٣) فى الأصل : ثلاثون .

(٤) فى الأصل : بالدرة .

(٥) موضع النقاط فى الأصل : اكله من استبرق . - وهو ما لا يؤدى أى معنى، =

Marfat.com

الديباج منظوما بالجواهر و اللآلئ ، يرى الناس من داخله ، و لا يرى هو من ظاهره . و أقام على يمينه ألف جارية بزينتهن و حليهن ، و على يساره مثلهن بأيديهن أعمدة الذهب و الفضة . ثم أمر قواده[1] أن يلبسوا[2] دروعهم ، و يحضروا[3] أجنادهم و جموعهم ، ففعلوا ذلك ، و صفوا صفوفا ركبانا على يمين الكرسى ويساره . و أمر الرجال و الغلمان ، فصفوا من خلف الفرسان ، بأيديهم / الحراب و المقامع ، و أظهروا زينة لم يرقط مثلها . فلما دخل[4] إخوة يوسف عليه ، رأوا ملكا جليلا ، و أمرا عظيما ، ذا هيئة و وقار ، و نظروا الرجال و الفرسان ، و القهارمة و العبدان ، و الجوارى و الوصائف ، و الحلى و الحلل ، و الهيبة و الخول ، و الأستار و الكلل ، فرأوا ما لم يروه قبل ، و لا سمعوا به فى الزمان . فسلموا عليه بتحية الأنبياء ، و أقاموا وقوفا قد طأطأوا الأعناق ، و نكسوا الرؤس و غضوا الأحداق ، كل ينتظر ما يؤمر به و يحكم فيه . و جعل يوسف ينظر إليهم و يتأملهم واحدا بعد واحد ، و يعرفهم بأسمائهم ، و يراهم من حيث لا يرونه[5] ، و يطيل النظر

٩/ الف

= رأينا الأنسب ترك مكانها بياضا .

(١) فى الأصل : قياده .

(٢) فى الأصل : تلبس .

(٣) فى الأصل : يحضرون .

(٤) فى الأصل : دخلوا .

(٥) فى الأصل : لا يروه .

Marfat.com

إليهم . فلما كان بعد ساعة ، قيل لهم اعتزلوا حتى يفرغ الملك لكم ، فخرجوا إلى موضعهم الذى أمر يوسف قهرمانه أن ينزلهم فيه و يطعمهم و يكرمهم . فحينئذ وقعت التهمة عندهم ، و تشوشت خواطرهم من نظره إليهم ، أكثر ما كان ينظر إلى غيرهم . فقال يهوذا : يا إخوتاه ! إنه كان ينظر إلينا نظرا لم ينظره لغيرنا ، فاما أن يكون نظره إلينا على جهة الغبطة لنبوة آبائنا ، و إما أن [يكون] نظر إلى هيئاتنا و تجلدنا ، فيريد الإعانة بنا على عدو من أعدائه ، و سد ثغر من ثغوره ، و إما أن يكون بلغه فعلنا بأخينا يوسف فيريد بنا الفضيحة و العار ، و العقوبة و الدمار ، و هذا هو المصرع الذى كنت أحذركم ، فياخجلنا[1] و يا سوء مقامنا ! ثم إنهم دخلوا عليه مرة أخرى باذنه لهم فى ذلك ، و كان يكلمهم بترجمان . فقال لهم الترجمان : إن الملك يقول : أنتم ذوو[2] هيئة و قوة ، أخبرونى ما أنتم و ما نسبكم ؟ و من أى البلاد جئتم ؟ فقالوا : نحن الأسباط أولاد يعقوب إسرائيل [عبد] الله ابن إسحاق / ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، نحن الأنبياء بنو الأنبياء . ٩٦ / ر
وكان له صاع من ذهب مرصع بالجواهر ، و كان إذا نقره يسمع له طنينا . و يدنيه إلى أذنه و يقول للصادق فى كلامه : صدقت ، و للكاذب :

---

(١) فى الأصل : فيا خجلتنا .

(٢) فى الأصل : ذوى .

Marfat.com

كذبت ، و يقول : إن الصاع أخبرنى بصدقكم أوكذبكم . فنقر الصاع و قال : صدقتم فى قولكم . ثم قال لهم : هل لوالدكم ولد[1] غيركم ، هو معكم أو هو عنده ؟ فقالوا له : كان له ولدان[2] غيرنا يقال لأحدهما : بنيامين ، و الثانى يوسف ، فأما بنيامين فهو عنده ، و أما ولده الآخر ففقده . فنقر الصاع نقرة أخرى ، فخرج طنينه عاليا ، فقال للترجمان : قل لهم : إن الصاع يخبرنى أنكم تكذبون فى هذا الواحد المفقود أنكم لا تعرفون خبره . قال : فتغيرت ألوانهم ، و تلجلجت ألسنتهم ، و ارتعدت فرائصهم . ثم قال لهم : فكيف كان سبب فقده حتى لم تعلموا[3] حقيقة أمره ؟ فقال واحد منهم : أكله الذئب . و قال آخر : أسره العدو . و قال آخر : غرق فى البحر . فهز يوسف رأسه ، فنقر الصاع و أدناه من أذنه و قال لترجمانه : قل لهم : أما ذكرتم أنكم أنبياء و أولاد الأنبياء ! فانى لا أرى عليكم آثار ما ذكرتم ، إنما أنتم لصوص أو جواسيس لأحد الملوك بأخبارنا ، فاذا رجعتم إليه باخبارنا ، جئتم بأمثالكم من القوة و الجلد [4]تقاتلوننا ، و تدخلون[4] علينا الفتنة و القتال ، أما أنا لا أسرحكم من سجنى حتى أعلم خبركم حقيقة ، و أستيقن ما جئتم به و بسببه ، و إن الصواع يخبرنى بأمور كثيرة عنكم ، و يقول بضد ما قلتموه .

---

(١) فى الأصل : والدا .

(٢) فى الأصل : والدين .

(٣) فى الأصل : لم يعلموا .

(٤-٤) فى الأصل : تقاتلونا و تدخلوا .

Marfat.com

فلما سمعوا ذلك منه ، أظهروا الخضوع ، و سكبوا الدموع ، و قالوا : أيها الملك ! إنا نسألك بالذى أنعم عليك و فضلك الا ما نظرت بعين الحنان إلينا ، و سترت ستر الامتنان / علينا . و عجلت بتسريحنا ، و ردنا ٩٧ / ا إلى أبينا ، فانه اليوم أعظم حقا عليك و على أهل الأرض ، و إن لم ترحمنا فارحم الشيخ يعقوب ، فانك لو رأيت حاله . و شاهدت باله ٥ ذلك لرحمته ، و إنه قد احدودب ظهره ، و ابيضت عيناه ، و كابده الوهن و الشيب قبل أوانه ، و قد توسلنا إليك به ، فلا تضيع وسيلتنا و لا تخيب ظنوننا . فبكى من قولهم ذلك ، و جهزهم و أطلق سبيلهم - و بقية القصة مشهورة ، فلنقتصر على هذا القدر منها هنا و الله الموفق للصواب .

[خبر إبراهيم التازى و الفرنج - ١]

١٠

ذكر خبر إبراهيم التازى رائس دار الصناعة بالإسكندرية ، و ما فعله فى الإفرنج من المخازى و غير ذلك من الواردات المستطردات .

و لما عزل الأمير الأكز من الإسكندرية فى التاريخ المتقدم ذكره ، و ارتقت منزلته عند السلطان الملك الأشرف شعبان [٢] إلى أن صيره و زيره ، صار يعرض عنده بذكر الرائس إبراهيم التازى ، و يشكره ١٥ لحسن رئاسته و شجاعته و معرفته بقتال الإفرنج حين قاتل بمينة الإسكندرية قراقر [٣] البنادقة و الجنوية المتقدم ذكرهم . فوقع من قلب السلطان موقعا ،

(١) العنوان مقتبس من النص .
(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .
(٣) انظر موضوع السفن فيما سبق و راجع الفهارس .

و تشوق لرؤيته . فأمر باحضاره ، فطلب على خيل البريد فحضر ، فقيل و الله أعلم إنه لما أذن له بالدخول ، قال : أدخل فى حلية لباس المسلمين أو حلية محاربه الإفرنج؟ فقيل له : ادخل فى الحلية التى تحارب بها الإفرنج ، فدخل فى قمجون [1] و شيرون [1] وكباس [2] و بيدرون [3] و شاية [4] و جياصة [5] و جلد [6] و سيف و خنجر [7] ، و صار بقوة الجنان السليم ، يفزع منه الشيطان الرجيم ، فلما دخل على السلطان / فى تلك الحالة العجيبة ، تعجب ٥/ب من صفته و قال له : من أنت؟ و من تكون؟ قال : أنا مملوك مولانا السلطان و عبده إبراهيم التازى رائس دار صناعة الإسكندرية . قال ، ما الملبوس الذى أراه عليك؟ قال : به أقاتل الفرنج أنا و قوادى [8] ، نقاتلهم به و نقتلهم و نغنمهم بعون الله تعالى و حوله و قوته . و شرع

(١) وردت الكلمة فى دوزى بمعنى قميص .

(٢) لعل ذلك من ملابس الحرب .

(٣) الكباس آلة يكبس بها فى الحرب الخاطفة ، ذكرها دوزى بهذا المعنى .

(٤) قميص سميك مبطن بالقطن يلبس فى الحروب لحماية لابسه من السهام و ضربات السيوف .

(٥) لعلها غطاء الصدر ، و تستعمل اليوم فى لغة العامة بهذا المعنى مع الأطفال .

(٦) الحياصة سير طويل من الجلد يشد به حزام السرج على الدابة ، و المعنى هنا الحزام الجلد الذى يربط به وسط المقاتل فوق ملابسه الحربية .

(٧-٧) فى الأصل : سيفا و خنجرا .

(٨) فى الأصل : قيادى .

يشرح له غزواته فيهم ، و غنائمه التى غنمها منهم ، و تنكيسه لأعلامهم و أسره لحريمهم . فقال له السلطان : تقدر تفتح جزيرة قبرس ؟ قال : نعم بسعادة مولانا السلطان . فقال : تفتحها بكم من غراب ؟ قال : بمائة غراب . قال : هى حاضرة خذها و سافر بها .

وكانت هذه الغربان التى عمرها يلبغا الخاصكى بعد وقعة الإسكندرية ، ٥ قصد [أن] يسافر فيها بالجيوش الإسلامية من الديار المصرية و الشامية ، فأدركته المنية ، فتأخر سفرها ، و صارت ببحر النيل واقفة . ثم إنه قال : يا مولانا السلطان ! بل أسافر بغرابين لأكشف بهما جزرهم ؛ و لأعرف خبرهم . فقال له السلطان : تمن على ! قال : و ما الذى عملته حتى بلغت درجة التمنى ! انت بمتمن حتى يرى مولانا السلطان فعل ١٠ المملوك و عمله . فازداد السلطان فيه رغبة ، فرسم له بالسفر من الإسكندرية فى غرابين ، و النفقة فيه و فى رجاله شهرين مستقبلين . ثم إنه خلع عليه ، و رسم له بفرس من خواص خيله ، و انحدر إلى الإسكندرية ، فجهز الغرابين ، و سافر بهما مستصحبا معه فيهما خمسمائة قائد بأسلحتها و رماتها . ١٥

و كان سفره من الإسكندرية يوم الاثنين التاسع و العشرين من رجب سنة تسع و ستين و سبعمائة [١] . فلما كان يوم الأربعاء التاسع من شعبان من السنة المذكورة ، ورد إلى ميناء الإسكندرية زورق كبير بقلعين فيه رجال مسلمون . فقيل لهم : من أين أتيتم بهذا الزورق ؟ قالوا : من

(١) يقابل هذا التاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٣٦٨ م .

Marfat.com

٩٨/الف عند الرئيس إبراهيم / التازى، أتينا به غنيمة غنمها و أرسلها معنا بعد أن أخذ معه ما كان فيه من الإفرنج، جعلهم فى الغرابين أسارى. و أرسل معنا كتابا، فقرئ الكتاب، و إذا فيه «لا تفرغ الغنيمة التى بالزورق إلا بحضرة القضاة و العدول». ففعل له ما ذكر فى الكتاب المذكور. و كانت الغنيمة سكرا و قطنا و خشب بقس[1] و غير ذلك، فحصر و تخزن، و طولع السلطان[2] به، ففرح و فرح[3] المسلمون بسرعة إرساله هذه الغنيمة بعد سفره بأيام قلائل.

ثم[4] أخبر القادمون[4] فى الزورق عنه أنه قال لتاجر الزورق و لرئيسه: إنكما قد صرتما معنا أسارى و من معكما أيضا من البحرية و غيرهم. فأخبرانى بالخبر الصحيح عن صاحب قبرس حتى أستوهبكما من السلطان و أطلق سبيلكما. فقالا: إن الباب[5] استدعاه لمحاكمة الجنوية بين يديه بما ضيعه من أموالهم، و قتل رجالهم، و تعويق صاحب مصر لتجارهم، بسبب ما فعل بالإسكندرية. و إن مراكبه التى غزا بها طرابلس الشام جالسة فوق البر، و ليس بمينتها الآن غير ثلاث

---

(١) شجر كشجر الآس صلب الخشب مطلوب فى عمل الأبواب و بعض الأدوات الخاصة.

(٢) فى الأصل: للسلطان.

(٣) فى الأصل: فرحت.

(٤-٤) فى الأصل: اخبرت القادمين.

(٥) أى بابا رومة.

Marfat.com

شياطى[1] تحرسها، و إن إبراهيم بن الخبازة خرج من قبرس فى غرابين وشيطى يتلصص فى البحر . و قيل بل كان ذلك المتلصص بيتور أخا[2] إبراهيم المذكور، فبينما أهل الإسكندرية منتظرون[3] قدوم الرائس إبراهيم التازى، و إذا قد ظهر فى يوم السبت ثانى عشر شعبان[4] من السنة المذكورة ثلاث[5] قلاع أرست خارج المينة، فتشوش[6] المسلمون لعدم دخولهم المينة، و قالوا: لو كانت مراكب الرئيس إبراهيم التازى، كان دخل المينة، و لم يبرز فى البحر . فبات[7] الناس على الساحل فى تشويش بسببهم . و كان للغاربة زورق قد تكمل وسقه، / و هو مرسى بأقصى المينة، قاصدا السفر إلى طرابلس الغرب، فيه ما يساوى على ما قيل بضعة [عشر -[8]] ألف دينار[9] . [10]فخاف المسلمون[10] على الزورق ٩٨/ب

(١) انظر موضوع السفن فيما قبل و راجع الفهارس .

(٢) فى الأصل : أخو . و المقصود أخ ابن الخبازة لا التازى و اسمه بيتور أى (Peter) أو بطرس .

(٣) فى الأصل : منتظرين .

(٤) أى ١١ ابريل سنة ١٣٦٨ م .

(٥) فى الأصل : ثلاثة .

(٦) فى الأصل : فتشوشت .

(٧) فى الأصل : فباتت .

(٨) الكلمة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش .

(٩) فى الأصل : دينارا .

(١٠-١٠) فى الأصل : خافت المسلمين .

Marfat.com

من تلك المراكب المبرزة، فصعد إليه بعض رماة الإسكندرية الجرخية[1] يحرسونه منهم. فقالت أرباب الأمور لرئيس الزورق: ادخل به المينة، و قربه من الساحل، ليمتنع إن كانوا حرامية[2] بحجارة المجانيق، فامتنع و قال: إذا كانوا حرامية قاتلتهم القتال الشديد، و أفعل فيهم ما أريد. و قد كان حصل بالزورق المزبور جماعة من المغاربة مع بعض رماة الإسكندرية، متأهبين لقتال من يأتيهم. فبينما هم متأهبون[3] فى تلك الليلة المقمرة، و إذا بشيطى دخل على الزورق كشفه، فرمى من بالزورق عليه بالسهام، فطار كطيران الحمام. فأخبر من بالغرابين خبره، فحذفوا قاصدين الزورق، فاندفع[4] عليهم المسلمون منه يرمونهم بالسهام و الحجار، فتباعدوا عنه، ثم عادوا كرة أخرى، فرماهم[5] المسلمون أيضا منه، فخرجوا عنه أيضا غابوا و عادوا إليه مرة ثالثة، فرماهم المسلمون بالسهام و الحجار إلى أن نفدت سهامهم و حجارهم، فكسروا ما معهم من أوانى الفخار، رموهم بها حتى أنهم رموهم بشقاف الأزيار التى حملوا فيها الماء للسفر، فعلمت الفرنج أنهم ما رموا بالشقاف إلا لنفاد سهامهم و حجارهم، فهجموا عليهم، حصلوا معهم بالزورق،

(١) أى رماة السهام و النفط (Arbalesters).
(٢) أى لصوص، راجع ما قبله حاشية سابقة.
(٣) فى الأصل : متأهبين.
(٤) فى الأصل : فاندفعت.
(٥) فى الأصل : فرمتهم.

Marfat.com

فقتل[1] المسلمون منهم بسيوفهم و خناجرهم جماعة، و قويت الفرنج عليهم، ملكوا[2] منهم الزورق، فمن المسلمين من قتل، و منهم من أسر، و لا وجد من بالساحل من المسلمين سبيلا إليهم، ينصرون من بالزورق، لغيبة التازى بالغرابين اللذين فيهما سافر، و ما حمل الإفرنج على الدخول على الزورق و أخذه من المسلمين إلا لعلمهم / عند كشفهم المينة بالشيطى ٥ ٩٩/الف أنها لم يكن بها أغربة حرب، فخرج إليهم، و لو كان فى تلك الليلة غربان مجهزة للقتال، و كان الرائس إبراهيم التازى حاصلا[3] بغربانه التى سافر بها مغازيا، و قنع بالزورق الذى أرسله بغنيمته الى الإسكندرية، و كان رجع معه أحد الغرابين و الشيطى من تلك الحرامية سرعة، و لكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا، و لو كان رائس زورق المغاربة دخل به ١٠ إلى الساحل، و سمع من أرباب الأمور ما ذكروا[4] له كان سلم، و لكن غرر فوقع فى الغرر.

قيل فى منثور الحكم و احذر الغرور، فما يعرف الإنسان يحصل له السرور، أو يحصل له الشرور!، قال الشاعر:

ليس المغر بمحمود و لو سلما ١٥

---

(١) فى الأصل: فقتلت.

(٢) فى الأصل: ملكت.

(٣) فى الأصل: حاصل.

(٤) فى الأصل: ذكرت.

Marfat.com

فلما ملكت الإفرنج الزورق ، خرجوا به الى واسع البحر ، و أصبح الصباح : °غطس الغطاسون° يرفعون مراسى الزورق التى قطعت الإفرنج سرياقاتها بالخناجر و مضوا به . فبينما تحت الماء يرفعونها و إذا هم برجل ميت ، فرفعوه إلى القارب ، و أتوا به إلى الساحل ، و اذا به حسن العسال - بالعين المهملة - و صدره و وجهه مرشوقان بالسهام ، و يده اليسرى قابضة على آذان قفة فيها جرخته ، و القفة مرشوق فيها ثلاثة أسهم كان يلقى بها عن نفسه ، و بيده اليمنى خنجر قابض على نصابه ، قد يبست يده على الخنجر ، و اليد اليسرى يبست على آذان القفة و هو ميت ، و ملك الأمراء أسنبغا و جيشه وقوف على الساحل ، و ناظر الإسكندرية فخر الدين بن الخازن إلى جانبه . فنزل حينئذ الناظر المذكور عن فرسه ، أتى إليه ، قَبّل ما بين عينيه هو وغيره من الأكابر ، و قلع بيده الأسهم التى بوجهه و صدره ، و قلع من يده اليسرى القفة ، و من يمينه الخنجر ، و قال : هذا هو الشهيد الذى قتل مقبلا لا مدبرا ، أما ترون إلى ظهره ليس به جرح و لا خدش ، و وجدت عورتـــه مستورة بثيابه ، فدفن بالمقبرة المجاورة لتربة الشيخ أبى العباس المرسى ، و سمى قبره بقبر الشهيد .

٩٩/ب

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : حدثنى الشيخ الصالح عبد الله بن نجم الصرفندى بثغر الإسكندرية المحروس بعد أخذ الفرنج للزورق المزبور بمدة ، قال إن هذا الملعون إبراهيم بن

(١ - ١) فى الأصل : عظست الغطاسين .

Marfat.com

الخبازة القبرسى الذى قاتل المسلمين و أخـــذ زورقهم ، ما أتى إلى الإسكندرية إلا بعد أن أتانا بلد الصرفند[1] بساحل الشام. و ذلك أن رجلين[2] من أهل الصرفند تخاصما ، فمضى أحدهما يشتكى الآخر[3] عند والى صيدا . فلما كان[4] الليل ضرب البوق و الزمر ، فظن[5] أهل البلد أن الرجل أتى بالوالى يكبس الصرفند ، فخرج[6] أهل البلد منه هاربين ، فبينما هم خارجون[7] من البلد ، و إذا بالناس يصيحون[8] : ارجعوا إلى بلدكم ، و قاتلوا عدوكم ، فانما هم إفرنج . فرجعت الناس . فهربت الفرنج بعد أن قتلوا من المسلمين ثلاثين نفرا ممن أدركوه فى أزقة البلد ، و أسروا ثلاثة عشر ، منهم ثلاث نسوة و أربعة[9] صبيان و أربع بنات و طفلان[10] على أكتاف أمهاتهما ، و لم ينالوا من البلد شيئا غير المأسورين المذكورين . ثم إنه أخبر

---

(١) وردت بمعجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٣٨٢) « قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام » تقع بين صور و صيدا .

(٢) فى الأصل : رجلان .

(٣) زيد هنا فى الأصل : من .

(٤) فى الأصل : « فى » .

(٥) فى الأصل : فظنت .

(٦) فى الأصل : فخرجت .

(٧) فى الأصل : خارجين .

(٨) فى الأصل : يصيحو .

(٩) فى الأصل : اربع .

(١٠) فى الأصل : و طفلين .

عن بعض أسارى المسلمين الذين قدموا من جزيرة قبرس إلى الشام أن إبراهيم بن الخبازة القبرسى قال لنائب صاحب قبرس فى غيبة صاحب قبرس عند الباب كبير النصارى : أعطنى غرابين و شيطى مكملى[1] العمارة برجالهم و أزوادهم أهجم بها على الصرفند ، فانى لما كنت أدخلها تاجرا ، أرى فيها الأموال الكثيرة و النساء الحسان ، أنهبها و أرجع إليك بأموالها و حريمها . فلما لم يحصل له فى غزوته تلك غير الأسارى المذكورين ، قال : كيف أدخل قبرس بغير مال و قد أنفق[2] نائبها النفقات الكثيرة على الغرابين و الشيطى فقصد الإسكندرية ، صادف زورق المغاربة ، فظفر به و دخل به جزيرة قبرس / بالطبول و الأبواق و الزمور ، فانقلبت ١٠/الف جزيرة قبرس بالفرح لدخوله إلى مينتها به . لكنهم لما تبين لهم قتل جماعة كثيرة من أصحابه الفرنج بسهام المسلمين و سيوفهم ، انقلب فرحهم ترحا لما عاينوه من كثرة الجرحى ، فأطلقت النساء و العجائز على المقتولين الجنائز .

و فى يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من شعبان من السنة المتقدم ذكرها و هى سنة تسع و ستين و سبعمائة[3] ، قذف البحر على بن معلى أحد رؤساء دار الصناعة بالإسكندرية ، و كان المذكور هو و غيره من المسلمين فى الزورق

---

(١) فى الأصل : مكملين .

(٢) فى الأصل : نفق .

(٣) تقابل سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

Marfat.com

المزبور ، فمضيت مع الناس لأنظره ، فرأيته على الساحل ملـقى على ظهره متوجها للقبلة ، قد سمر بالمسامير فى يديه و رجليه ، و قلعوا منها فصارت طاقات المسامير بأقدامه بينة ظاهرة ، و نخذه الأيسر مهشم من وسطه ، و يداه[1] معورتان[2] بضرب السيوف ، و يده اليمنى مرتفعة إلى جهة رأسه و يده اليسرى بجانبه الأيسر ، و وجهه بضرب السيوف معور ، غير عينه اليسرى فانها مفتوحة بياضها ظاهر ، و قد انتفخ و لم أرله لحية . فقيل إن الفرنج سلختها بجلدتها ، رأيت عورته مستورة بديس[3] البحر . فذكر لى بعض الحاضرين أنه مقطوع الذكر و الأنثيين و الأذنين أيضا ، و هذا القش الذى على عورته ، سترة[4] المسلمون به . ثم كفن و صلى عليه و دفن بالقرب من الباب الأخضر . و لم تمثل الفرنج به هذه المثلة إلا لعلمهم أنه أحد رؤساء دار الصناعة . ثم ألقوه فى البحر من غير تثقيل بحجر ليقذفه البحر بعد ثلاث إلى ساحل الإسكندرية ، ليغيظ المسلمين تمثيلهم له . و لم يعلم الملاعين الفجرة الكافرون[5] أن الله تعالى قد أنعم عليه بالشهادة ، و رزقه فى الآخرة السعادة ، فانه من قاتل من المسلمين الكفار ، و قتل بسيوفهم أمن من النار ، و صار فى الجنة حيا يرزق ، كما جاء فى القرآن و صحيح الأخبار . و أما من تسبب فى قتل نفسه بزعمه أنه يرحم بذلك ، فالرحمة عنه بعيدة ، و الشقاوة به موجودة .

---

(١) فى الأصل : يدين .
(٢) فى الأصل : معودة .
(٣) أى غشب البحر .
(٤) فى الأصل : سمرته - كذا .
(٥) فى الأصل : الكافرين .

/ ب حدث بعضهم قال : / رأيت قوما على نهر من أنهار الأغباب التى تجرى إلى البحر الملح ، و لها جرى عظيم تمدّ و تجزر ، و إذا بعجوز[1] قاعدة فى وسط النهر على رمل ، و قد هرب الماء بجزره ، فقلت لها : ما أقعدك هاهنا ؟ قالت : أنتظر الماء حتى يجىء بمده فيحملنى إلى البحر . فقلت لها : و لم تفعلين[2] بنفسك ذلك ؟ فذكرت لى أنها عاشت مدة طويلة ، و أكلت و شربت ، فأرادت أن تقرب نفسها لخالقها كما زعمت ، فهذه الرحمة عنها بعيدة بتسببها لقتل نفسها ، فما زالت قاعدة فى موضعها حتى جاء الماء ، حملها و سار بها .

حدث بعض المسافرين أنه رأى بمدينة كنبايت[3] من أرض الهند ، الواحد يجىء إلى الخور فيغرق نفسه ، و من خاف منهم أعطى أجرة لمن يغرقه ، فيقبض عليه و يضع يده فى قفاه ، و يغطس رأسه فى الطين و الماء حتى يتلف ، فان صاح و استعفى و سأله أن لا يفعل و يتركه حيا ، فلا يقبل منه ذلك ، و لم يزل به حتى يهلكه ، لأن ذلك عندهم فى إحيائه بعد إذنه فى إماتته - انتهى .

---

(١) فى الأصل : بعجوزة .

(٢) فى الأصل : تفعلى .

(٣) و هى كنبايه أوردها ابن بطوطة (طبعة بيروت سنة ١٩٦٠ ص ١٠٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٧٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥) و تعرف أيضا باسم (Cambay) مدينة تجارية معروفة فى العصور الوسطى واقعة على خليج بهذا الاسم أيضا فى شمالى بومباى .

Marfat.com

فلنرجع إلى خبر إبراهيم التازى من إتيانه إلى الإسكندرية بأسارى النصرانية من الجزائر الرومانية . و فى يوم الخميس الرابع و العشرين من شعبان سنة تسع و ستين و سبعمائة [1] قدم الرائس إبراهيم التازى من جزر الفرنج إلى الإسكندرية بأسارى النصارى مخشبين ، و غربانه الاثنان [2]، بالغنائم موسوقان [3] . فكانت مدة غيبته فى غزوته من حين سفره من الإسكندرية إلى حين عودته إليها ثلاثة و عشرين يوما ، فارتجت الإسكندية لقدومه ، و ماجت بأهلها ساعة وروده ، فخرجت أهلها منها إلى موضع منارتها التى لم يبق من أساسها فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة [4] إلا البقعة لا غيرها – و قد تقدم ذكرها و ذكر انتقاضها بمر السنين عليها فأغنى عن إعادته .

و أما الترك المجردة بالإسكندرية لحراستها ، فانهم اصطفوا بطول الساحل على ظهور خيولهم ناظرين للغرابين القادمين ، / مرتفعة بهما ١٠١ / الف أعلام السلطان ، و أعلام النصارى منكسة فى البحر عائمة يجذف برؤسها فيه يمينا و يسارا ، و المسلمون بالساحل يضجون بالتكبير ، للعلى الكبير و يصلون على البشير النذير ، و لم تبق مخدرة إلا خرجت من خدرها ، و لا مصونة إلا برزت من كنها ، لينظرن إلى النصارى الأسارى . و كان

(١) يقابلها سنة ١٣٦٧ – ١٣٦٨ م .
(٢) فى الأصل : الاثنين .
(٣) فى الأصل : موسوقين .
(٤) يقابلها سنة ١٣٧٣ – ١٣٧٤ م .

Marfat.com

وصول التازى إلى المينة ضحى نهار ، فدعا له الصغار و الكبار ، و زعزعت[1] له الأحرار و الجوار . فدخل الإسكندرية على فرس عربيـة ، على رأسه طرطور يقال له بلغة الإفرنج «كستير[2]» و بلغة الروم «كباس[3]» و بلغة المصريين «رأس الغول» من وبر شبه الصوف المرعز[4] ، و على بدنه فشطون[5] محتزم عليه بحياصة[6] جلد معلق بها خنجر مجوهر ، و هو مهيأ معه لذبح العلوج ، وقت المعمعة فى الدخول و الخروج . و كان من خلف فرس الرائس المذكور أسارى الفرنج ، يقدمهم راهب مكرش[7] الوجه ، شنع القالب ، مزنر بزناره[8] ، متوشح بصلبانه ، رأسه مكشوف ، و لحيته شبه القطن المندوف ، كبير السن ، جلده ناشف كالشن[9] ، بعيد عن دينه ، مسلوب عن خيره ، قيل : لما قبض[10] المسلمون عليه ، بال على ساقيه و قدميه ،

---

(١) فى الأصل : و زرغتت .

(٢) جائز أن تكون الكلمة (Castoro) بالإيطالية و هو (Beaver) بالإنجليزية ، و هو القندس من القوارض بالعربية ، و فراؤه يستعمل فى عمل غطاء الرأس .

(٣) انظر حاشية سابقة ، و قد يقصد بالكلمة هنـا «الخوذة» التى تلبس على الرأس فى المعارك ، و قد يكون الطرطور من الفراء .

(٤) اللين من الصوف أو الشعر الناعم الذى ينبت تحت شعر المعز الخارجى .

(٥) أى لباس الحرب ، و الكلمة غريبة لم نعثر عليها فى المراجع المعروفة ، و ربما كان يقابلها بالإنجليزية (Fustian) أى جلباب .

(٦) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٧) مكرش الوجه ـ أى عبوس الوجه ، و فى الأصل : مكرمش .

(٨) أى محزم بحزامه .

(٩) أى مثل جلد القربة البالية .

(١٠) فى الأصل : قبضت .

و ضرب

Marfat.com

و ضرب على صدره بيديه ، و صار يضرب الأرض برجليه ، حتى كلمه من يعرف لغته فقال له : ما اسمك ؟ قال : حنين . فقال له : كم سنك يا حنين ؟ قال : مائة و ستون[1] . فقال له : يا خبيث ! قطعت عمرك فى الكفر و التثليث ! فلما صار سأرا[2] خلف فرس إبراهيم التازى بثغر الإسكندرية ، صار فى كربة و بلية ، يقدم قومه العلوج الأسرى المناحيس و هو راكب على حمار وجهه لذنبه بالتجريس ، و هو يقدمهم على ذلك الحمار كما يقدم فرعون قومه إلى النار ، و لسان الحال يقول : يا حمار ! ما نفعك صليبك و الزنار ، بل فى قبضة المسلمين الأخيار ، و الرهجية[3] تضرب على رأسك بالطبل و الطار ، / و يزمرون عند أذنك بالمزمار ، ١٠١ / ب
يا رأس الكافرين الفجار ! و كان يمشى خلف الراهب المذكور الفرنج العلوج فى أعناقهم الحبال ، و هم حفاة بلا نعال ، و هم فى أسوإ حال و شر وبال ، شعورهم منشورة ، كشعور الخنزيرة ، و بأيديهم الخشب المسمورة ، منهم التجار و الفلاحون[4] ، و هم من سوء حالتهم كالمجانين ، و عدتهم خمسة و ثلاثون[5] ، و صحبتهم صبى مراهق و بنت بكر[6] بالغ مخطوبة بعض الأسارى المذكورين ، فصار ينظر إليها ، [من] نار بقلبه عليها .

(١) فى الأصل : و ستين .
(٢) فى الأصل : ساير .
(٣) حملة الآت الموسيقية .
(٤) فى الأصل : و الفلاحين ، و لعله لرعاية السبحع .
(٥) فى الأصل : و ثلاثين .
(٦) فى الأصل : بكرا .

Marfat.com

قيل كان أسرهم من جزيرة الفيران و جزيره الروج[1] و جزيرة الرهبان ، و من الزورق المغنوم أولا ، ثم إن جماعة الرائس إبراهيم التازى الغزاة المسلمين[2] أراقوا خمورهم بجزائرهم ، و نهبوا دورهم ، و قتلوا خنازيرهم ، التى لحومها حرام بالإجماع . و سأذكر ما قيل فى سبب تحريمها إن شاء الله تعالى .

اعلم أن لحوم الخنازير حرام ، قال الله تعالى[3]: "حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير" و النصارى تأكل لحومها الكبير منهم و الصغير . قال بعض العلماء: إنما حرم الله تعالى فى الابتداء لحم الخنزير ، لأنه تعالى أراد أن يقطع العصمة بين العرب و بين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم مع اليهود و النصارى، فحرم الله على المسلمين ذلك ، إذ هو معظم مأكولاتهم و عظم الأمر فى تناوله و مسه ليعجزه المسلمون عن الاجتماع معهم فى المؤاكلة و الأنس ، فأما العالم فلا بأس بمجالسته إياهم بخلاف العوام ، لأنه جارى سلطان ذى أجناد ، و عدة و عتاد[4] ، لا يخاف عليه العدو حيث ما توجه ، و لهذا جوز له الاستماع إلى الشبه ، بل أوجب عليه أن يتتبع بقدر جهده كلامهم ، و يسمع شبههم ليجاهدهم و يدافعهم . فالعالم أفضل

---

(١) جزر صغيرة شرق رودس و شمال قبرس بقرب الجزيرة المعروفة باسم قشطيل الروج أى (Castello Rizzo) .

(٢) فى الأصل : المسلمون .

(٣) قرآن كريم سورة ٥ آية ٣ .

(٤) فى الأصل : عناد .

فالعالم أفضل المجاهدين، الذابين عن الدين، و الجهاد جهادان : جهاد البيان ، وجهاد بالبنان . / وسمى الله تعالى الحجة سلطانا فى غير موضع من كتابه كقوله[1] ١٠٢ب/ الف حكاية عن موسى عليه السلام[2] "انى اتيكم بسلطٰن مبين ۞". وأما العوام فكره لهم أن يجالسوا أهل الهوى والأبداع لئلا يغووهم، فالعامى إذا خلا بأهل البدع، فكالشاة إذا خلت بالسبع ، افترسها ، و كذلك العامى إذا خلا بأهل البدع ، يفترسونه ببدعهم . قال الله تعالى[3] : " لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل ۞" - انتهى .

نعود - و فى اليوم الذى أتى فيه التازى إلى الإسكندرية ، بالأعلاج الرومية ، خلع ملك الأمراء أسنبغا على الرائس إبراهيم التازى خلعة سنية ، و أمره بالسفر إلى حضرة السلطان الملك الأشرف شعبان[4] على حالته التى أتى بها ، فسافر فى يومه ذلك ، و سافر[5] الأسارى عقيبه ، قيل إنهم لما وصلوا إلى الديار المصرية ، و قفت الخلق لهم صفوفا[6] ، تضرب من طيقانها النسوان بالدفوف ، و وقدت العوام الشموع ، والناس ينظرون[7] إليهم من الربوع ، و العوام قدامهم و خلفهم ينظرون إليهم ، و يصرخون

(١) فى الأصل : لقوله .
(٢) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ١٩ .
(٣) قرآن كريم سورة ٥ آية ٧٧ .
(٤) راجع حاشية سابقة و انظر الفهارس .
(٥) فى الأصل : و سافرت .
(٦) فى الأصل : صفوف .
(٧) فى الأصل : تنظر .

Marfat.com

عليهم . و قد ضرب بين أيديهم الطبل و الزمر و البوق ، و كل علج بحبله الذى فى عنقه كالمشنوق ، و راهبهم يثن [1] على حمار و يكرب ، و وجهه إلى جهة ذنب الحمار شبيه بالقطرب [2] . فقلت فيه لما هو فيه من شعر :

٥ يا راهب الدير [3] صرت اليوم فى حزن
لأجل فرقة قاع الدير و الوطن
و صرت فى قبضة الإسلام مرتهنا
كأنك الميت فى قطن و فى كفن
ما ذا ضللت [4] من الإفرنج فاجتمعوا
١٠ على عبادة صلبان إلى وثن
١٠ / ب / جازاك كفرك بالتجريس فى ملا
على حمار طويل الذيل و الرسن
فا قدم تلامذة تلمذتهم أبدا
إلى الجحيم كما قدمت من فتن

---

(١) فى الأصل : بين .
(٢) جمعها قطارب أى المصروع أو الذئب الأجرب أو الجرو الصغير ، و جاءت أيضا بمعنى صغار الجن و السفيه من اللصوص و الجهلة .
(٣) زيد هنا الأصل : قد ، و ينتظم الوزن بدونها فحذفناها .
(٤) فى الأصل : اضلات .

Marfat.com

و ذكر بعض الغزاة الذين كانوا مع إبراهيم التازى ، قال أحد القواد [١] : قبض بعض القواد على شوشة راهب بأرض النصارى و هو طالب به نحو الغرابين ليصيره مع الراهب المقبوض عليه ، فقال له بعض القواد [١] ، ما تصنع بهذا الكلب الرجس ؟ قال : نجعله مع الراهب الأول ، يتفرج المسلمون عليهما إذا قدمنا إلى الإسكندرية بهما . قال : ما لنا بهذا الكلب حاجة ، يكفى للفرجة راهب واحد ، و رفع السيف و ضرب عنقه ، فوقعت جثته على الأرض ، و صار رأسه بشوشته فى كف ماسكه [٢] معلقا ، فرمى به من كفه ، و شرعت الإفرنج تتهارب منهم إلى رؤس الجبال ، فنهب [٣] المسلمون أمتعتهم ، و حرقوا قواربهم الموسوقة بالقمح و الشعير و الفول و الملح . ثم إنهم أذنوا بجزائرهم وصلوا فيها ، و قالوا : هذه أرض الكفار ، نوحد بها العزيز الجبار ، و نسجد له فيها بالعشى و الإبكار ، فنكون قد جاهدنا فى سبيل الله ، و سجدنا فيها لوجه الله ، و قتلنا بها الخنازير التى حرم الله أكلها ، و أرقنا الخمور التى منع الله شربها ، و لو كان معنا عشرة من الغربان ، أخربنا قبرس و أعمالها ، و أسرنا نساءها و رجالها ، لغيبة صاحبها عنها ، و بعده منها . و قد قلت أبياتا فى المعنى - هذه الأبيات :

إن إبراهيم أعنى التازى رائس الإسلام أضحى الغازى [٤]

---

(١) فى الأصل : القياد .

(٢) فى الأصل : ماسكها .

(٣) فى الأصل : فنهبت .

(٤) فى الأصل : غازى .

Marfat.com

فى الفــرنج الكافــرين فابتلوا بعمــــوم الذل و المخــازى
ســار فى البحر إليهم صار فى حــرزهم كالأســد المجتاز
١/ الف /أطلق الأسد عــلى كلابـهم[1] قطعـوا[2] أوداجهـــم بـالكاز
أخــربوا بعض الكنائس التى كفــرهم فيهـا صريح رازى
٥ و أراقوا خمرهم من بعد ما عقروا الأبقـار و الأعنـاز
سفــكوا دم الرهـابين الــتى ينـحنوا[3] عمدا عــلى المكاز
فغدوا صرعى على أذقانــهم[4] و عــلى الأصلاب و الأعجـاز
شربوا كأس المنون مرة لا كـشرب المـاء بـالأكواز
سلبـوهم كل شـايـات لهــم مــــع لبوس إلى غنـباز[5]
١٠ أسروا جمعـا علوجا فــيــهم راهب الدير الشيخ الخـازى[6]
جرسته المسلمون جرسة فــوق ظــهــــر لحمار نازى
لحيــة الملعون حذوا سنة و بــــه كل الأنـام هـازى

---

(١) فى الأصل : كلابها .
(٢) الكلمة فى الشطر الأول و نقلناها للثانى بسبب ميزان الشعر .
(٣) كذا فى الأصل ، و صحته « ينحنون » و لا يستقيم بها الوزن فتركنا على ما هى عليه .
(٤) يعنى لحاهم - جمع لحية .
(٥) جمعها غنابز أو غنابيز و وردت الكلمة قنباز بمعنى الثوب الطويل الرث يرتديه الشخص على اللحم .
(٦) كذا فى الأصل ، و يلوح بالشطر كسر يقتضى النظر .

خلفــه أسرى الفرنج أوثقوا بحبـال اللـيف كالأكــراز
ثم أعلام النصارى نكست و غــدت تــكنس للجتاز
سار للسلطان فى يوم أتى يبتغى الحضــرة للاعــزاز
بالذى قد جاء فى صحبــته من كلاب الروم و المخازى
أقبل السلطان فى الحال على الــرئيس المذكور أعــنى التازى[1] ٥
فــكساه خلــعــة سنيــة طــرزهـا من أحسن الطراز
فالنويــرى[2] سره الفعل الذى فعل التـازى الهزبر الغـازى
قال فيــه مدحة منــظومــة نبـذة فى غـايــة الإيـجـاز
ربنـا افتـح قــبرسا و دع بها عــلم الإســلام بـالإركاز

فلقد شفى التازى قلوب المسلمين ، بما فعله فى الفرنج الكافرين ، ١٠ و قتله لهم فى جزرهم ، و إتيانهم إلى الإسكندرية و القاهرة بأسراهم فى الحبال ، و السلاسل و الأغلال . و فى ذلك بعض أخذ الثأر من الفرنج الكفار ، و نرجو من الله تعالى سفر المسلمين إلى جزيرة قبرس يقتلون من فيها من الكفار ، و يخربون منازلهم و الديار ، لينقطع منها نصارى الروم ، لتصير مأوى للبوم .

١٥ قال العلماء : من أسر من الكفار على ضربين : ضرب يصير رقيقا بنفس السبى ، و هم النساء و الصبيان / البالغون ، و ضرب لا يرق بنفس ١٠٣/ب

(١) فى الأصل : الرازى .

(٢) اسم المؤلف ، و قد ورد قبلئذ فى قصائد أخرى من نظمه فى موضوع الحملة الصليبية على الإسكندرية ، و يعرو شعره بعض الركاكة ، أثبتناه كما فى الأصل بقدر الاستطاعة لمناسبته التاريخية .

السبى و هم الرجال . فالإمام مخير فيهم بين [1] أربعة أشياء: القتل، و الاسترقاق، و المن ، و الفداء بالمال؛ و بالرجال يفعل من ذلك ما فيه المصلحة، و من أسلم قبل الأسر أحرز ماله و دمه و صغار أولاده .

[فى التشفى من أعداء الملوك [2]]

فلنذكر الآن ما قيل فى التشفى من أعداء الملوك حين قدروا عليهم . قيل فى منثور الحكم «من نازع السلطان مات قبل يومه» . و قال جعفر الصادق فى قصيدته المشهورة و هى:

من نازع السلطان فى قصره أضحى نزيع الرأس عن جثته

قال المؤرخون: لما ولى أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس الملقب بالمنصور [3] الخلافة ، و بقى فى أمية بقية ، قال لغلمانه الخراسانية : إن لى فى بقية آل مروان تدبيرا [4]، فأهبوا يوم كذا و كذا فى أكمل عدة . ثم بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم ، فجمعهم و أعلمهم أنه يعرض لهم فى العطاء ، فحضر منهم ثمانون رجلا ، فساروا إلى بابه ، فلما استقر بهم المجلس، خرج رسول المنصور فقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه و سلم ليدخل ! فأيقن القوم بالهلكة ، و [٥] كان بنو [٥] أمية قتلوه فى وقعه

(١) فى الأصل : من .
(٢) العنوان مأخوذ من النص .
(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .
(٤) فى الأصل : تدبير .
(٥-٥) فى الأصل : و كانت بنوا .

Marfat.com

أحد ، أرصدوا له و جثى عبد هند بنت عتبة بن ربيعة حتى قتله و مثلوا به حتى أن هندا[1] بنت عتبة مضغت فلذة من كبده ، فلم تقدر على إساغتها فلفظتها من فيها . و ذلك لأن حمزة قتل أباها عتبة فى وقعة بدر ، و لكن عتبة قتل كافرا مشركا ، و حمزة قتل مسلما شهيدا ، ثم خرج رسول المنصور ثانيا لآل مروان ، فنادى بأعلى صوته : أين الحسين بن على بن أبى طالب ؟ و كان بنو أمية قتلوه[2] بأرض العراق /[أ] يقال لها كربلاء فى خلافة يزيد بن معاوية ، قتله عمر بن سعد ، و احتز[3] رأسه و حملها إلى يزيد بدمشق ، و هو أول رأس حمل[4] فى الإسلام ، و أول رأس حمل على خشبة[5] ، و كان قتله فى يوم عاشوراء سنة إحدى و ستين[6] للهجرة . ١٠٤/ الف

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يقتل الحسين بن على على رأس ستين سنة من هجرتى » .

و لما أفضت الخلافة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، و كان معاوية بن [أبى] سفيان واليا على الشام من قبل عمر و عثمان رضى الله عنهما ،

---

(١) فى الأصل : ان هند .

(٢) فى الأصل : قتلته .

(٣) فى الأصل : اجتز .

(٤) فى الأصل : حملت .

(٥ - ٥) فى الأصل : حملت على خشبت .

(٦) يقابلها سنة ٦٨٠ - ٦٨١ م .

Marfat.com

فاستشار على فى أمر معاوية ، فقال له بعضهم : [1]أقره على إمرته[1] و أرسل إليه بعهده ، فاذا دخل فى تبعتك فاعزله . فقال له : يرحمك الله ! أتأمرنى أن أطلب العدل بالجور ! ثم عزله ، و كان عزله سبب عصيان معاوية ، فجرى ما جرى فى وقعة صفين[2] [3]التى هلك[3] فيها ما يزيد على مائة ألف من المسلمين . و لما قتل الحسين و من معه من أقاربه ، قالت بنت لعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب حيث قالت هذه الأبيات :

ما ذا تقولون إذ قال النبى لكم ماذا فعلتم و أنتم آخر الأمم
بعترتى و بأهلى بعد منطلقى منهم أسارى و قتلى ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائى مذ نصحت لكم أن تخلفونى بقتل فى ذوى رحمى

فما سمعها أحد إلا و بكى . و كان يوسف ابن الأمير حسام الدين البغدادى حسن الصوت ، حسن الوعظ ، صعد الكرسى يوما ، و قد سئل أن يذكر للناس شيئا فى مقتل الحسين بن على بن أبى طالب ، فجلس طويلا لم يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه و بكى ، و أنشد يقول :

و يل لمن شفعاؤه خصماؤه و الصور فى نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن تأتى القيامة فاطمه و قميصها بدم الحسين ملطخ

١٠٤ / ب / فصاحت الخلائق صيحة واحدة ، و بكوا بكاء شديدا . و هجا بعضهم أهل دمشق بأبيات منها هذه الأبيات :

تجنب ما استطعت من الأخلا و لا سيّما إذا قالوا دمشق

(١-١) فى الأصل : قره على امرتيه .
(٢) وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ٩/٦٥٧ م .
(٣-٣) فى الأصل : الذى هلكت .

Marfat.com

[1]يرون السبت عيدا إن فيه[1] أتى رأس الحسين إلى دمشق

و قال محمد الباقر بن على[2] زين العابدين : لا رعى الله هذه الأمة ! فانها لم ترع حق نبيها فى أهله ، أما و الله ! لو تركوا الحق لأهله لما اختلف فى الله اثنان ، و أنشد يقول :

إن اليهود لحبهم لنبيهم أمنوا بوائق حادث الأزمان
و ذوو الصليب بحبهم لصليبهم يمشون زهوا فى قرى نجران
و المؤمنون بحب آل محمد يرمون فى الآفاق بالنيران

فلنذكر الآن ما قيل فى الحسين و مقتله إن شاء الله تعالى - و ذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما تزوج بفاطمة رضى الله عنها و دخل بها ، التقى البحران : بحر ماء النبوة ، و بحر ماء البنوة من على ، فهنالك "مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان[3]" بينهما برزخ التقوى لا يبغى على على فاطمة بدعوى ، و لا فاطمة على علىّ بشكوى ، خرج منهما اللؤلؤ و المرجان[4] ، اللؤلؤ الحسن ، و المرجان الحسين . فجاءت بسبطين سيدين شهيدين حبيبين إلى سيد الكونين ، فهما روحاه و ريحانتاه ، كلما راح عليهما و ارتاح إليهما ، يقول : « ريحانتاى فى الدنيا » و كلما اشتاق إليهما و أثنى عليهما ، يقول : « و لداى هذان سيدا شباب أهل الجنة ، و أبو هما خير

(١-١) الشطر كما يلى فى الأصل : تركن للسبت عيد لأن فيه ، و أغلب الظن أنه خطأ لفظى يستقيم المعنى فيه بالتعديل الذى أوردناه .
(٢) زيد بعده فى الأصل « بن » .
(٣) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ١٩ .
(٤) اقتباس من تمام الآية و فيها « يخرج » مكان « خرج » .

Marfat.com

منهما ، و « فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ، و يؤذينى ما يؤذيها » " قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى[1] " ، قيل : من قرابتك يا رسول الله ؟ قال : الذين وجبت علينا مودتهم علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين ، و فىّ و فيهم نزل / قوله[2] تعالى : " انما يريد الله ١٠ / الف
٥ ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا * " . يا حسين ! فاذا كنت غصن هذه الشجرة ، و شعاع نور هذه الجوهرة المطهرة ، كيف يباح دمك ، و لا تحفظ ذممك ، و لا يحترم حرمك ! فقال : يا قوم ! قضى الأمر و جف القلم ، و عدل الحاكم فيما حكم ، فأولياؤه و خواصه خصوا فى هذه الدار بالبلاء و النقم ، و العناء و السقم ، صبّ عليهم بلاء لو صب على جبل لانهدم ، و ركن لانثلم ، و من أشبه[3] أباه فما ظلم . أبى قتل مظلوما ، قتله عبدالرحمن بن ملجم و هو يؤذن لصلاة الصبح فى مسجد الكوفة ، و جدى مات مسموما ، بسم اليهودية ذراع الشاة ، و كذلك أخى الحسن كان بالسم موسوما . سمته زوجته جعدة لتتزوج بيزيد بن معاوية و تعطى مائة ألف ، فأعطيت المائة ألف ، و قال معاوية : لنا حاجة فى يزيد ! فلم يزوجه بها خوفا أن تفعل به كما فعلت بالحسن . ثم قال الحسين : فلو لم أسلك سبيلهم فيما اتفق لهم لكنت فيهم ملوما ، فنحن السعداء فى الحياة و الشهداء فى الممات ، و لو لا شرف البنوة ،

---

(١) قرآن كريم سورة ٤٢ آية ٢٣ .
(٢) قرآن كريم سورة ٣٣ آية ٣٣ .
(٣) فى الأصل : شبه .

Marfat.com

ما ألحقت بدرجة النبوة ، أما رمى فى النار إبراهيم الخليل ! أما أضجع للذبح إسماعيل ! أما ضنى بالضنى أيوب ! أما عنى بالعنا يعقوب ! أما ناح نوح حتى ثوى ! أما بكى داود حتى ذوى ! أما نشر بالمنشار زكريا ! أما ذبح الحصور يحيى ! فكيف لا أسلك سبيل الأنبياء و طريق الأولياء ! فنحن أهل بيت خصصنا بالبلاء ، كان جدى كلما كر عليه كرب الموت يقول « واكرباه ! » وكانت أمى فاطمة تقول « واكرباه ! لكربك يا أبتاه ! » فكان يقول « يا بنية ! لا كرب على أبيك بعد اليوم » فأخذت من هذه العبارة إشارة ، فكنت كلما كرّ بلاء فى كربلاء أقول « لا كرب لا » وأنشد فى المعنى / هذه الأبيات :

أما و الذى لدمى حـلـــلا و خصـص أهل الولا بالبلا
لئن ذقت فيكم كئوس الحمـام لمـا قال قلبى لساقيـــه لا
و لا كنت من يشتكى بالجوى[2] و لو قـدّنى مفصلا مفصلا
رضيت و جدك كل الرضى إذا كان يرضيك أن أقـتـلا
أنا ابن البتول و سيف الرسول فجـــدى بحدى فيـكم عـــلا
أنا ابن الفتى الهاشمى الذى لمرحب فى خيـــبر جدلا
فلا غرو إن مت موت الـكرام كما مات فى الحب من قد خلا
أينـكر بـــين الورى قتلى و رأسى يطاف بـه فى الملا

(١) فى الأصل : الا بنوه .

(١) فى الأصل « ممن » مكان « من » و « الجوى » مكان « بالجوى » ولا يستقيم بهما الوزن .

فيا حبذا يوم صلى علىّ صلاة[1] الشهيد على كربلا
و مت كما مات أهل الهوى كذا رسم الحب أن يفعلا
مضت سنة الله فى خلقه فان الحبيب هو المبتلا
يقول لهم عند بلواهم أليس لى الحكم قالوا بلى
فكم فى الهوى من فتى عاشق على مركب الموت قد عوّلا
و مزق بالشوق أستاره و خالف فى حبه العُذّلا
و نادى على نفسه جهرة كذا من أحب و إلا فلا

عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما فتح مدائن كسرى على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[2] رضى الله عنه ، أخذ الأنطاع فبسطها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أفرغ الأموال عليها قال : فلم ينقص القوى لقواه ، و لم يزد الضعيف لضعفه ، فأول من قام إليه الحسن بن على بن أبى طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطنى حتى من هذا المال الذى فتح الله [به - ٣] عليك للمسلمين . قال : حبا و كرامة يا ابن بنت رسول الله ! قال : فأمر له بألف دينار ، ثم انصرف . قال : فأقبل الحسين بن على فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطنى حتى مما فتح الله به على المسلمين . قال : فأعطاه ألف دينار ، ثم انصرف . قال : فأقبل عبد الله بن عمر فقال : أعطنى حتى يا أبت من هذا المال الذى فتح الله به على المسلمين ، فقال : حبا و كرامة . ثم أمر له بخمسمائة دينار . / فقال : يا أبت ! أنا جزل كنت أضرب

(١) نقلت الكلمة من الشطر الأول للثانى لاستقامة الوزن .
(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .
(٣) ليست بالأصل و أضفناها كما جاءت فى الجمل التالية .

Marfat.com

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، و الحسن و الحسين [1]صبيان صغيران[1] يدرجان فى أزقة المدينة ، أعطيت كل واحد منهما ألف دينار و أعطيتنى خمسمائة دينار ! فقال: نعم يا بنى ! ان أباهما على المرتضى ، و ليس أبوك على المرتضى ، و أمهما فاطمة الزهراء ، و ليس أمك فاطمة الزهراء ، وجدهما محمد المصطفى ، و ليس بجدك محمد المصطفى ، و جدتهما خديجة الكبرى ، و ليس جدتك خديجة الكبرى ، و خالهما القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و ليس خالك القاسم ابن رسول الله ، و خالاتهما زينب و رقية و أم كلثوم بنات رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و ليس بخالاتك ، و عمهما جعفر الطيار ، و ليس عمك جعفر الطيار ، و إن عمتهما أم هانئ ابنة أبى طالب . قال : فبلغ ذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه - قول عمر لولده عبد الله ، فقال على : و الله لا كتمت شيئا و لا أكتم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول « عمر سراج أهل الجنة فى الجنة » . قال : فبلغ ذلك عمر من قول على فأتى إلى منزل على فى نفر من المسلمين ، فقال له : يا أبا الحسن ! أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول « عمر سراج أهل الجنة فى الجنة » ؟ قال : اللهم نعم . قال فدعا عمر بدواة و قرطاس و قال : اكتب لى خطك بهذا . فكتب على : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ضمن علىّ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن جبريل عن رب العالمين جل و علا أن عمر سراج أهل الجنة فى الجنة » . ثم دفع عمر الرقعة إلى ولده عبد الله ، فقال له :

(١-١) فى الأصل : صبيين صغيرين - كذا .

Marfat.com

يا بنى ! إذا أنا مت ، فغسلنى و كفنى ، و أدرج هذه الرقعة فى كفنى ، حتى ألقى بها على بن أبى طالب بين يدى ربى عز و جل . فلما طعن عمر و مات من طعنته تلك ، وضع عبد الله الرقعة فى كفنه - و سيأتى ذكر سبب طعن عمر و من طعنه إن شاء الله تعالى . / ب

قال الغزالى فى كتاب « كشف علوم الآخرة » إن النبى صلى الله عليه و سلم قال : « إنى أكرم على الله أن يدعنى فى الأرض أكثر من ثلاثة » و كانت ثلاث عشرات ، لأن الحسين قتل على رأس الثلاثين منه ، فغضب على أهل الأرض ، و عرج به إلى السماء . و قد رآه بعض الصالحين فى النوم ، فقال : يا رسول الله بأبى أنت و أمى ! ما ترى فى فتنة أمتك ؟ قال : زادهم الله فتنة ! قتلوا الحسين ، و لم يحفظونى فيه - انتهى .

و كان سبب قتل الحسين رضى الله عنه أنه لما مات معاوية بن أبى سفيان[1] ، و أتى الوليد بن عقبة المدينة ليأخذ البيعة ليزيد بن معاوية[1] ، خرج منها الحسين يريد مكة حتى أتى على عبد الله بن مطيع ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ! إلى أين تريد ؟ فقال : العراق . قال : لم ؟ قال : إن معاوية مات . و جاءنى أكثر من خمل صحف يدعونى للبيعة بالخلافة . قال : لا تفعل أبا عبد الله ! و الله ما حفظوا أباك و كان خيرا منك ! و الله لئن قتلت لا بقيت حرمة إلا انتهكت ! و قد كان الحسين بعث إلى الكوفة

(١) انظر حواشى سابقة و راجع الفهارس .

بابن

بابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب و كان على الكوفة حينئذ النعمان ابن بشير الأنصارى أميرا ، فقال لأهل الكوفة : ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب إلى من يزيد بن معاوية بالخلافة. فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فبعث اليها عبيد الله بن زياد بن أبيه الدعى ، فقدمها قبل أن يقدم الحسين ، و قد كان بايع لمسلم بن عقيل بالكوفة أكثر من ثلاثين ألفا . فلما خرج بهم يريد عبيد الله بن زياد ، جعلوا كلما انتهوا إلى زقاق ، انسل منهم أناس حتى بقى فى شرذمة . فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادى ، و كان له شرف و رأى ، فقال له هانئ : إن لى من عبيد الله بن زياد مكانا ، و سأتمارض له ، فاذا جاء يعودنى أضرب عنقه . فلما سمع عبيد الله بمرض هانئ ، أتاه يعوده . و كان هانئ شرب المغرة و سعل / [و] بقى كأنه يتقيأ[1] الدم . ١٠٧ / الف

و قد كان هانئ قال لمسلم بن عقيل : إذا قلت : اسقونى فاخرج إليه . فلما جاءه عبيد الله يعوده قال هانئ : اسقونى ، فلم يخرج مسلم من البيت الذى هو مختف به ، فقال هانئ : اسقونى و لو كان[2] فيها خروج نفسى . قال : فخرج عبيد الله من عنده ، و لم يصنع مسلم شيئا . و كان مسلم من أشجع الناس ، و لكن أخذ بقلبه ، و بلغ عبيد الله الخبر . فأمر بقتل هانئ . ثم أرسل لمسلم بن عقيل رجالا[3] يأتونه ، فخرج عليهم مسلم بسيفه قاتلهم

(١) فى الأصل : يتقايا .
(٢) فى الأصل : كانت .
(٣) فى الأصل : رجال .

Marfat.com

حتى أئخن بالجراح ، و سيق إلى عبيد الله ، فلما قدمه للقتل قال : دعنى حتى أوصى . قال : افعل ، فنظر فى وجوه القوم فقال لعمر بن سعد بن أبى وقاص : ما أرى هاهنا قرشيا غيرك ، ادن منى . فدنا منه فسارّه و قال : هل لك أن تكون سيد قريش ما دامت قريش ! إن الحسين و من معه و هم تسعون إنسانا ما بين رجل و امرأة فى الطريق ، فارددهم و اكتب لهم بما أصابنى . ثم ضربت عنق مسلم بن عقيل . فقال عمر[1] بن سعد لعبيد الله : أتدرى أيها الأمير بما سارنى مسلم ؟ قال: اكتم على ابن عمك ، قال : الأمر أكبر من هذا . قال : فما قال لك ؟ فأخبره بما قال ، فقال له عبيد الله : أما إذ دللت عليه ، فو الله ما يقاتله سواك ! اخرج إليه . ثم جاء الخبر للحسين بقتل مسلم ، فهم بالرجوع ، و كان معه من بنى عقيل خمسة ، فقالوا للحسين : أترجع و قد قتل أخونا و جاءك من الكتب ما تثق به من طاعة أهل الكوفة لك ؟ فقال لباقى أصحابه : ما بى على هؤلاء من صبر ، فلقيهم الحسين و هم بكربلاء ، فقال الحسين : أى الأرض هذه ؟ قالوا : كربلاء . قال « كرب و بلاء » و لما أحاطت به خيل عمر بن سعد قال الحسين لعمر : اختر منى خصلة من ثلاث خصال : إما أن تتركنى أرجع من حيث جئت ، و إما أن تسير بى / إلى يزيد بن معاوية بدمشق ، ١٠٧/ب و إما أن تتركنى أسير إلى الترك أقاتلهم حتى أموت . فأرسل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد بن معاوية ، فقال له

---

(١) فى الأصل : اعمر .

Marfat.com

شمر ابن ذى الجوشن [1] لعنه الله : أمكنك الله من عدوك ، فتتركه إلى أن ينزل على حكمك . فأرسل إليه بذلك ، فقال : أنا أنزل على حكم ابن مرجانة ! لا و الله لا أفعل ذلك أبدا ! قال : و أبطأ عمر بن سعد عن قتال الحسين ، فأرسل إليه عبيد الله بن زياد بشمر و قال : إن تقدم عمر ابن سعد و قاتل و إلا فاضرب عنقه و كن مكانه . و كان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلا من الكوفة ، فقالوا له : أيعرض عليك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم خصلة من ثلاث خصال ، فلا تقبل منها شيئا ؟ فتحولوا مع الحسين ، و قاتله شمر و من معه حتى قتله سنان النخعى ، قطع رأسه و أتى به عبيد الله بن زياد و هو يقول [2] :

أوقر ركابى فضة و ذهبا أنا قتلت الملـــك المحجبا
خير عباد الله أما و أبا

فقال له عبيد الله : فان كان خير عباد الله أما و أبا فلم قتلته ؟ فأمر به فضربت عنقه . ثم أمر بحمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ، و حمل معه نساءه و أبناءه الأصاغر . فلما وضع الرأس بين يدى يزيد ، تمثل بقول حصين المرى :

نفلق هاما من رجال أعزة علينا و هم كانوا أعق و أظلما

فقال له على بن الحسين و هو فى السبى : كتاب الله أولى بك من الشعر ،

---

(١) الجوشن : الدرع أو الزرد يلبسه المحارب على الصدر .

(٢) زيد بعده فى الأصل : قال .

Marfat.com

يقول الله عز و جل[1] : "ما اصاب من مصيبة فى الارض و لا [2]فى انفسكم[2] الا فى كتب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تاسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما اتيكم و الله لا يحب كل مختال فخور *" .

فغضب يزيد ، و جعل يعبث بلحيته ، ثم قال : ما ترون يا أهل الشام ؟ فقال كل منهم على قدر دينه . فقال النعمان بن بشير الأنصارى : / انظر ١٠/ الف ٥ ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه و سلم لو رآهم فى هذه الحالة ، فاصنعه بهم . قال : صدقت ، خلوا عنه ، و اضربوا عليها القباب ، و كساهم و أخرج لهم الجوائز الكثيرة . و قال : لو كان بين ابن مرجانة و بينهم نسب ما قتلهم . ثم ردهم إلى المدينة .

١٠ عن الشعبى قيل لعبد الله بن عمر إن الحسين قد توجه إلى العراق ، فخرج و راءه حتى لحقه على ثلاث مراحل من المدينة ، و كان غائبا عند خروجه ، فقال للحسين : أين تريد ؟ قال : أريد العراق . و أخرج إليه كتب القوم ثم قال له : هذه بيعتهم و كتبهم لى بالطاعة . فناشده الله أن يرجع ، فأبى . فقال : أما ! إنى سأحدثك بحديث ما حدثت به أحدا قبلك . إن جبريل أتى النبى صلى الله عليه و سلم فخيره بين الدنيا و الآخرة ، فاختار الآخرة ، و إنكم بضعة منه ، فو الله لا يلى الخلافة أحد من أهل بيتك ! و ما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم ، فارجع

---

(١) قرآن كريم سورة ٥٧ آية ٢٢ - ٢٣ .

(٢-٢) وقع فى الأصل « فى السماء » و هو خطأ صححناه .

فأنت

Marfat.com

فأنت تعلم غدر أهل العراق و ما كان يلقى أبوك منهم ، فأبى . فاعتنقه و قال : أستودعك الله من قتيل !

و حكى الفرزدق قال : خرجت أريد مكة ، فاذا بقباب مضروبة و فساطيط ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : للحسين بن على . فسلمت عليه . فقال : من أين ؟ قلت : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلت : القلوب معك ، و السيوف و النصر فى السماء . و لما قتل الحسين لم تقم لبنى [أبى] سفيان بن حرب بعده قائمة حتى سلبهم الله ملكهم .

و كتب عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفى و هو عامله على العراق « جنبنى دماء أهل هذا البيت ، فانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين » . و قد أخذ ثأر الحسين من أقوام كثيرة ، منهم عبيد الله بن زياد الذى وضع رأس الحسين بين يديه ، قتله إبراهيم ابن الأشتر ، رمى بذراعيه إلى المشرق ، و برجليه / نحو المغرب . و لما ١٠٨/و وصل رأس 'عبيد الله' إلى المختار بن عبيد الله بن مسعود الثقفى ، بعث به إلى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمت عليه انتصاف النهار ، و إذا هو يتغذى . فلما رآه قال : سبحان الله ! لقد أدخل رأس أبى على عبيد الله بن زياد و هو يتغـــذى . ثم إن المختار كتب كتابا لعبد الله ابن الزبير بمكة ، و قال لحامله : امض إلى محمد ابن الحنفية ـ و هو ابن على ابن أبى طالب ـ و اقرأ عليه السلام ، يقول لك المختار : إنى أحبك و أحب أهل بيتك . فلما فعل ، قال له محمد : كذب ، لو كان كذلك ما جلس

(١-١) فى الأصل : الحسين ـ خطأ .

Marfat.com

عمر بن سعد على وسائده و هو قتل الحسين . فلما بلغه الرسول ما قال له ، أمر بقتل عمر بن سعد ، ثم قال لولده حفص بن عمر : أتحب أن تلحق بأبيك ؟ قال : لا خير فى العيش بعده ، فقتله . ثم لم يزل يتبع قتلة الحسين حتى أفنى أكثرهم .

٥ و كان من ذريـة على بن أبى طالب رضى الله عنه المرأة المباركة السيدة نفيسة بنت [1]الحسن بن زيد بن الحسن[1] بن على بن أبى طالب القرشية الهاشمية . دخلت إلى مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ، و كانت ذات حال و إحسان إلى الزمنى و الجـــذمى و المرضى و عموم الناس . و لمـا ورد الإمام الشافعى إلى مصر ، كانت تحسن إليه ، و ربما ١٠ صلى بها فى شهر رمضان ، و كان يسمع عليها الحديث ، و هى منه خلف سترها . و حين توفى الشافعى ، أمرت بجنازته . فأحضرت إليها فصلت عليه . و لما توفيت عزم زوجها أن ينقلها إلى مدينة يترب[2] ، يدفنهـا عند قبور أسلافها ، فمنعه أهل مصر من ذلك و سألوه أن يتركها عندهم ، فدفنت فى المنزل الذى[3] كانت تسكنه فى محلة كانت تعرف قديما بدرب ١٥ السباع[4] . و قيل إن زوجها لما قصد نقلها الى المدينة ، / جردت جماعة ١/الف

(١-١) فى الأصل : أبى محمد بن الحسين . و التصحيح من الأعلام للزركلى .

(٢) أى المدينة المنورة .

(٣) فى الأصل : التى .

(٤) من أحياء القاهرة لم يرد بالمقريزى أو ابن تغرى بردى .

Marfat.com

السيوف و قالوا: ما تنقل أبدا من عندنا! فتركت بقبرها [إلى] الآن، و قبرها يزار على الدوام - انتهى.

[خبر المنصور مع بنى أمية - ١]

نعود إلى ذكر خبر أبى جعفر المنصور [٢] مع آل مروان - ثم خرج رسوله إليهم و هم بمجلسهم كرة ثالثة، فنادى: أين زيد بن على بن الحسين؟ و كان زيد هذا قتله [٣] بنو أمية فى خلافة هشام بن عبد الملك [٤] بن مروان، و صلبوه على جذع، قيل إنه أقام سنة مصلوبا، فقال شاعرهم:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة
ولم أر مصلوبا على الجذع يصلب

ثم خرج رسول أبى جعفر المنصور و نادى: أين يحيى بن زيد؟ و كان بنو [٥] أمية قتلوه [٥]. و لكل ممن تقدم قتلهم لهم خبر عجيب يطول هذا الكتاب بجلب أخبار مقتلهم.

و آل مروان من نسل بنى أمية، و كانت خلافتهم تزيد على

---

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش.

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس.

(٣) فى الأصل: قتلته.

(٤) انظر حاشية سابقة.

(٥-٥) فى الأصل: و كانت بنوا.

Marfat.com

الثمانين سنة . و كانوا قد غلبوا بنى[1] عبد المطلب و بنى[1] العباس على الخلافة . فلما انقضت دولتهم ، و ولى[2] بنو العباس الخلافة ، قصد أبو جعفر المنصور بأخذ ثأر بنى العباس و بنى عبد المطلب بما فعله بنو أمية بهم فى أيام دولتهم .

فلما قال رسول المنصور لآل مروان - و هم الثمانون[3] نفرا الجالسون[4] بالمجلس - ما تقدم ذكره ، خافوا من قوله لهم ذلك . قال المنصور لرسوله : ائذن لهم بالدخول . فنهضوا من المجلس و دخلوا على المنصور و هو جالس بالرواق ، و فيهم الغمر بن زيد ، و كان صديقا للمنصور ، و لم يكن من بنى أمية ، بل كان من أخوالهم ، فأومأ المنصور إلى الغمر بن زيد أن ارتفع ، فأجلسه المنصور معه على طنفسة ، و قال لآل مروان : اجلسوا ، و الغلمان الخراسانية قيام بأيديهم / العمد ١٠٩/ب الحديد . و كان ابن العبدى الشاعر جالسا بين يديه ينشده قصيدته التى قال فيها :

أما الدعاة[5] إلى الجنان فهاشم و بنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد منها أبياتا ، قال له الغمر بن زيد : يا ابن الزانية ! فانقطع

---

(١) فى الأصل : بنو .

(٢) فى الأصل : وليت .

(٣) فى الأصل : الثمانين .

(٤) فى الأصل : الجالسين .

(٥) فى الأصل : دعا .

ابن

Marfat.com

ابن العبدى[1] الشاعر، و أطرق المنصور ساعة ثم قال للشاعر: امض فى نشيدك. فلما فرغ من قصيدته، رمى إليه المنصور بصرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل المنصور يقول عن بنى أمية بهذه الأبيات:

و لقد ساءنى و ساء سواى قربهم من منابر و كراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان و الإتعاس
لا تقبلن عبد شمس عثارا و اقطعوا كل نخلة و غراس
و اذكروا مقتل الحسين و زيد و قتيل بجانب المهراس

يعنى حمزة بن عبد المطلب، قتلوه فى وقعة أحد بمكان يعرف عند جبل أحد بالمهراس. ثم قال المنصور للخراسانية التى بأيديهم عمد الحديد: اقتلوهم! فنزلوا على آل مروان الثمانين بتلك العمد، شدخوهم حتى سالت أدمغتهم. ثم التفت المنصور إلى صديقه الغمر بن زيد الجالس معه على الطنفسة، فقال له: لا خير فى الحياة لك بعدهم. قال: لست من بنى أمية. قال: الخال من القوم، اقتلوه. فضربه واحد من الخراسانية بعموده فى دماغه نثره.

ثم دعا المنصور ببرادع فألقاها عليهم، و بسط عليها الأنطاع، و دعا بغذائه فأكل فوقهم. و إن أنين بعضهم لم يهدأ[2] حتى فرغ من أكله. ثم قال: ما تهنأت بطعام منذ نهلت دم الحسين ابن عمى إلا يومى هذا. و قام فأمر بهم فجروا بأرجلهم، و أعطى خدامه الخراسانية أموالهم. ثم صلبوا فى بساتينه المجاورة لمجلس رواقه.

---

(١) فى الأصل: العبد، و قد سبق. (٢) فى الأصل: يهدى.

Marfat.com

٩/الف و كان يأكل يوما ، فأمر بفتح الرواق إلى البستان فاذا / رائحة جيفهم تملأ الأنوف . فقيل له لو أمرت يا أمير المؤمنين برد هذا الباب ! فقال : و الله لرائحتها أحب إلى و أطيب من ريح المسك ، ثم قال يترنم بهذه الأبيات :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم[1]
عنها[2] و يذهب زيدها و حسينها
كلا و رب محمد و إلهه
حتى تباح كنوزها و حزونها[3]
و تذل كل خليلة لخليلها
بالمشرفى و تسترد ديونها

ثم خرج المنصور يطلب من بقى من بنى أمية فى أقطار الأرض ، إن وجد منهم حيا قتله ، و إن وجد لهم قبرا نبشه و أحرق من فيه حتى أتى دمشق ، فدخلها و قتل فى جامعها المنسوب لبنى أمية فى يوم جمعة فى شهر رمضان خمسين ألفا من بنى أمية و مواليهم ، كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم .

و لما وصل المنصور إلى الرصافة[4] ، أخرج هشام بن عبد الملك بن

(١) فى الأصل : هاشما .
(٢) هذه الكلمة فى الأصل فى المصراع الأول .
(٣) جائز أن تكون الكلمة « خزونها » بالخاء بدل الحاء فتنسجم مع ما سبقها أى « كنوزها » .
(٤) توجد مدن و قرى بهذا الإسم فى مناطق عديدة ذكرها ياقوت (معجم البلدان ج ٣ ص ٧٨٢ - ٧٨٨) منها رصافة أبى العباس بالأنبار و رصافة البصرة و رصافة =

Marfat.com

مروان[1] من قبره ، فضربه مائة سوط و عشرين سوطا ، حتى تناثر جلده من على عظمه . و قال : إنه ضرب أبى ستين سوطا فأضعفتها له . فاذا كان المنصور فعل ببنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف [هذه الفعال جزاء بما فعله[2] بنو أمية ببنى عمه أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف -[3]] و بحمزة بن عبد المطلب ؛ و هم أولاد أب واحد ، يجمعهم عبد مناف ٥ ابن قصى بن كلاب ، فكيف تتأخر ملوك مصر عن أخذ ثأر الإسكندرية من النصارى الكافرين ، أعداء الدين .

[خبر ابن الأحمر و القند[6] بالأندلس]

فالواجب عليهم النهوض لأخذ الثأر من الكفار ، كما نهض

= بغداد و رصافة الحجاز و رصافة الشام و رصافة قرطبة بالأندلس و رصافة الكوفة و رصافة نيسابور و رصافة واسط بالعراق . و أغلب الظن أن يكون المقصود بالنص رصافة الشام و هى رصافة هشام المذكور هنا على حافة الصحراء غربى الرقة و كان يسكنها صيفا .

(١) من خلفاء بنى أمية و خلافته ١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٢) فى الأصل : فعاته .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل ، و وردت فى الهامش بقلم المراجع .

(٤) العنوان المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش ، انظر فيما سبق من هذا الكتاب (ج٣ ص ١٨٣ - ٢٠٢) ما جاء فى موضوع حروب المسلمين بالأندلس .

(٥) إذا اعتبرنا التاريخ المذكور فى هذه الوثيقة (انظر ما بعد) كان سلطان غرناطة وقتئذ ثامن ملوكهم محمد الخامس الغنى بالله فى ولايته الثانية أى سنة ٦٧٣ - ٧٩٣ هـ/١٣٦٢ - ١٣٩١ م و هو من أسرة بنى نصر التى اشتهر سلاطينها بلقب ابن الأحمر .

(٦) القند لقب من الكلمة الإسبانية Conde يقابلها Count بالإنجليزية و Comte =

Marfat.com

السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف سلطان المسلمين بالأندلس ، المعروف بابن الأحمر على القنـد ملك النصارى بالأندلس ، أطلق فيه و فى جنده النار بالسيوف القواطع ، و أخرب مدنه و الديار ، و كتب بذلك كتابا يبشر سلطان المسلمين بمدينة فاس[1] بما فتحه الله على يديه ، و نص الكتاب المذكور هذا[2] :

سلام كريم يتم بفتح الفتوح ، المؤيد بالملائكة و الروح ، / عرفه ب
يهـدى أنفاس ريحان الجنان ، فيغنى عبارة اللسان ، و مدارك عالم الإنسان ، و وصفه يختص مقامكم الأعلى ، و مثابتـكم الفضلى ، و رحمة الله و بركاته .

أما بعد ، حمدا لله كافى من استـكفاه ، و هادى[3] من استهداه ، الذى نصر الحق و أعلاه ، و دحض الباطل و أرداه ، و وعد من توكل عليه ، و فوض أمره إليه ، بحسن عقباه ، و أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر و قد ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله[4] . فما أسبغ نعماه ، و أوسع رحمـاه ! و الصلاة

= بالفرنسية ومشتق منها Condestable يقابلها بالإنجليزية Constable و بالفرنسية Connetable و تعريفها قند الأسطول بالعربية . و ربما كان المقصود هنا أحد أشراف مملكة قشتالة Castille و ملكها فى ذلك الوقت بطرس الرهيب Pedro the Cruel و حكمه ١٣٥٠ - ١٣٦٩ م .

(١) سلطان مراكش و قتئذ عبد العزيز المرينى ٧٦٨ - ٧٧٤هـ/١٣٦٦ - ١٣٧٢م .

(٢) فى الأصل : هذه .

(٣) فى الأصل : هدى .

(٤) اقتباس من القرآن الكريم سورة ٥٩ آية ٢ .

Marfat.com

و الصلاة على سيدنا محمد رسوله سر الوجود و معناه ، الذى نصره الله بالرعب على أعداه ، و زوى له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما له منها وراه ، و الرضى على آله و صحبه ، و عترته و صحبه ، المخصوصين بمزية قربه ، و منقبة حبه . [1]فان ما[1] كتبنا لكم كتب لله لكم فخذا رباه ، و سعدا مشيدا مبناه ، من حمراء[2] مدينة غرناطة[3] و الحمد لله ، مبدإ كل سعد و منتهاه ، ٥ فما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، فكتبنا لكم نجلو عليكم خبر الفتح المخبور لزمننا و زمنكم ، المدخور[4] فضلا من الله سبحانه و تعالى علينا و عليكم ، من ديون فى الكفر تقتضى ، و معارج للذكر الجميل ترتقى ، و سبل للسلف الصالح تقتفى ، فى الجهاد تقرب إلى رب العباد زلفى ، و نعود منه بالجزاء الأوفى . إن مدينة جيان[5] التى هى تلفا[6] الشهرة ، و غاب البسالة ١٠ و منبت الشوكة ، و عقاب القواعد المغتصبة للمسلمين . مدد الكروم ، التى استثمرها الروم ، مفخر الأسود ، المختالة فى جلود الزرود ، و الليوث الباطشة ، فوق فيول الخيول و مصرخ النواقيس الصائلة ، و منصب

(١-١) فى الأصل : فانما .

(٢) قصر الحمراء Alhambra .

(٣) مقر بنى نصر بالأندلس .

(٤) أى المدخر .

(٥) فى الأصل : جفان ، كما وردت فيما بعد فى هذه الوثيقة ، وهى Jaen الواقعة فى جنوب الأندلس ما بين غرناطة و مدريد .

(٦) كذا وردت الكلمة بالأصل و مدلولها غير واضح ، و لعلها : تلعات ، جمع تلعة : ما علا من الأرض.

Marfat.com

التماثيل الهائلة . فنوينا أن نرفع بها هضم جانب الإسكندرية ، و نقوم
١١١ / الف بفرض الكفاية عن الكافة المرضية . فاستدعينا / أهل الجهاد ، و نقصنا
أطراف البلاد ، عن أولى الجلادة على الجلاد ، و استكثرنا من آلات
القتال ، و رفعنا المجانيق على أفلاك الأعجال ، و أوصلنا الجيوش من
٥ المطوعة الغازين ، و المرتزقة المدونين ، إلى حقوقها فى المغنم المتقدم ،
و النفل المبارك المتعين ، فأخلصت الضمائر النصفة ، و أطابت القلوب التى
كانت دلفة . و لما تكامل الحشود ، و توافت الجنود ، و تعددت بظاهر
حضرتنا الرايات و البنود . فاجتمع من النسم ما لا نحصيهم إلا من كتب
خطاهم فى طاعته ، و أحصى أنفاسهم المطية بذكره ، و يستحفظ بقع
١٠ الأرض شهادتهم بتوحيده . و كان إطلالنا[1] على مدينة جيان يوم
الاثنين الثالث و العشرين من شهر الله المحرم سنة ثمان و ستين و سبعمائة[2] ،
فأحضرت إلينا حامية العدو ، ذابة عن الحوزة ، مبلبلة من دون العرصة ،
فلما كاثرهم[3] السواد الأعظم ، و البحر الذى لا يزحم ، من المسلمين الموحدين
اجتمعوا بحمى الأبراج المنيعة ، و فرج الأبراج العديدة ، و تلاحق أوائل[4]
١٥ الأمم المحشودة ، من الجموع المنصورة الموفورة ، يموج بهم عُرفات موقف
الجهاد ، و تعرضهم ساهرة نشر البلاد ، و تتراكم منهم رجل الجراد ، فبرز

---

(١) من أطل ، يطل .
(٢) أى ١٦ نوفمبر سنة ١٣٦٦ م .
(٣) أى غالبهم فى الكثرة .
(٤) أى الطليعة أو المقدمة.

Marfat.com

الناس إلى حومة الحرب ، لم يلو المتقدم منهم[1] على المتأخر ، و لا انتظر المسرع إلحاق المتلوم ، فجنحت الرايات إلى حومة الربض الأعظم ، و مالت كأنها[2] سحائب الخريف حركتها الزعازع ، و ضربت آباط ركائبها البروق الخواطف ، و أحاطوا به من قبل أن يوزع عليهم الآلات ، و تنوى مقاعد القتال كماة الحماة ، وفرة الرماة ، فقرعوا للحين سوره ، و اقتحموا منازله و دوره ، و صدقوا حامية الضمة / حتى أزعجوهم عنه عنوة ، و استلحموا منهم جملة ، و شمل الربض[3] النهب ، و رعى فوق أهله للعذاب السقب[4] ، و تعلقوا بسور البلد بعدا ، و بادرنا الهيعة[5] إليه ، و قد هزت رياح النصر عذبات الرايات ، و سد ما بين الخافقين علو كلمة الشهادة باختلاف الأصوات ، فلا ترى إلا هاويا من ذرى السور ، و نزل النصر على المسلمين ، و قذف الله الرعب فى قلوب الكافرين ، و أمد أولياءه بالملائكة المسومين ، ففتحت المدينة عنوة ، و جاز فرسانها السكك يطيرون من هيعة إلى الأخرى ، و المسلمون يأخذون عليهم الفوهات ، و يسبقونهم إلى الممتنعات ، و قد شهرت السيوف و تخارقت الرماح ، و حق على الكافرين القول و أخذتهم الرجفة ، ففتحوا أبواب المدينة ، و ألهبوا الخيل ركضا و أجهدوها بالحتوف ، و استولوا على أقطار المدينة استيلاء أعجل المجانيق عن الركوع ،

٥

١٠

١٥

١١١/ب

---

(١) فى الأصل : فهم ، و لعله : فيهم .
(٢) فى الأصل : كانهم .
(٣) أى مساكن القوم .
(٤) السقب : العضن الريان الغليظ الطويل .
(٥) بمعنى الصوت تفزع منه و تخافه من عدو .

Marfat.com

و صواعق الصخر عن الوقوع، و خيل الحرب عن الإحكام، و الاعتداد عليها بالهندام، و انطلقت الأيدى على مالا ينـاله الحصر من الأموال الدثرة، و الأمتعة الـثرة[1]، و الذخائر المصونـة، و آنية الرفه الثقيلة، و الأسلحة المستجادة[2]، و عائث فى الخزائن الطامية، و الأقوات الهائلة، و الأدهان المدخرة، و الخمور المقدمة، إبادة و نهبا و إراقة و نقلا، إلى ما يكاثر الحصى من الحيوان المختلف الأجناس، صواهل ضامرة، و يعافير فارهة، و من المـاعون و الحربى، و أخربت الدور و القصور و البيع و هياكل العبادة و الرباع الشهيرة و الحانات المطروقة، و الديورة المقصودة، و القياسر الميسورة، أبدى الإبادة فسلطت النار على أهاليها، و الهدم على ما يليها، و جللها الدخان، و ظللها الخسران، و نادى منادى الحميـة، يا لثارات الإسكندرية! / و قيدته نواقيسها بالحيل التى حركت حبالها، و قلقلت هضابها، فأبرزت خاسئة صاغرة، و تركت بعد سل ألسنتهـا داميـة فاغرة، و جنب من الأسرى و هـم الغل، الذى تخطاه الأجل المكتوب، و القدر المحتـوم، أو شفع الحسن الموموق. و هلـك بـين جدران المدينة من النسم الكافرة المجانبة لطرق الحق ما بـين مقدم و شجاع معلم، و فارس مغوار، و متنجع فلاحة، و معانى صناعة، و ملتمس تجر ما لم تستأصله الهزائم المشهودة و الوقائع المبيرة. كفى الله شرهم، و دفع ضرهم، و تخلص من أسرى المسلمين الذين كانوا تحت يد الكافرين

١١٢/الف

(١) فى الأصل: الثرة.
(٢) فى الأصل: المستجاره.

Marfat.com

جفلة طرقهم فى المطامير[1] المطبقة عليهم الفرج ، فكل منهم فى الضيق خلص و خرج . و تحصن كثير[2] من الكفرة بقلعة المدينة ، فعاطينا تلك القلعة الشماء المضرسة التى لم يعهد مثلها فى سالف عصر و دهر غابر ، بلغ فيها الصبر أغي ما تتجاذبه مطولات القصص و غرائب الأسمار ، و تجمع إليه ألسنة الأخبار ، فدخلنا قصبة القلعة الأولى ، و ارتفعت فى أبراجها البنود ، و انتقل من بها إلى القصبة الثانية ، فرمتهم الرماة ، ففشت فيهم الجراحات ، و نبا[3] بهم الوطن ، و اقتطفتهن المحن ، فأعطوا الأمان ، و بذلوا[4] فى جماجمهم من الفدا على الإفراج عنهم ، و الإقلاع عن ساحتهم ، فاقتضينا مائة من متخير رهائنهم ، هذا بعد جهر المنادى بعقر الأشجار ، و انتساف الأقطار ، فأمسى الجنان الخضر لا تظل ضاحيا ، و لا تقل فراشا هافيا . و تناولت الفؤس جراثيم العقار ، فعقرتها ألسنة النار سورة " و التين و الزيتون " فحرقتها ، و استؤصلت عاديات الأشجار ، و فجع بخندق / الجنة أهل النار ، و طاف عليها طائف من الله فأصبحت ١١٢/ب كالصريم ، و تقاسمت الأيدى تخرب أسوارها ، فهمت أسنان الشرفات ، و جذعت أثافى[5] الأبراج المشرقات ، فهى اليوم اليباب البلقع ، التى

(١) أى الحفر فى الأرض التى تخزن فيها الحبوب .

(٢) فى الأصل : كثيرا .

(٣) فى الأصل : تبا .

(٤) فى الأصل : و ابذلوا .

(٥) فى الأصل : اثافى .

Marfat.com

لا يرفع ، و اتفق من تمام الصنع أن يلاحق بعسكرنا عليها وزير صاحب قشتاله[1] فى كتيبة حسناء من قومه ، و عدد جم من أتباعه ، مستجيرا بنا من مطالبة سلطانه ، طارحا نفسه علينا فى تكفل أمانه ، فرأى الوزير من وفود عساكر المسلمين ما بلّد فكره و حير لحظه ، و شاهد من عظم أثرهم فى البلد المستباح الذى رمزوه ، و عدد من أسروه و استرقوه ، ما ضاعف حسرته ، و أذرف عبرته . فكان ذلك طرازا على الحلة ، و تماما للنعمة . و قد نجع الكفر بمدينة جيان كرسى ملك الإفرنج ، تركها[2] المسلمون أوحش من القفر ، و أخوف من القهر ، مرصوفة السكك بالخشب[3] و الأشلاء ، مظللة بغيم الدخان تبلغ أعنان السماء ، قد شاه مرآها الجميل ، و أوحش مربعها الأنيس ، فولى ملأ بلاد الكفر رعبا و جأشها زعرا ، و أقام لدين الإسلام وزنا ، و يا لها من شوكة كفر حصدها الله و أبادها ، و أذهب كيادها ! " و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره " . فانصرفنا عنها و قد دمرها الحريق فصارت رمادا ، و ألبسها الثكل[4] حدادا ، ثم استجشنا و مضينا

(١) ربما كان هذا هو « القند » الوارد فى مطلع الرسالة . و فى الأصل : فشتاله .

(٢) فى الأصل : تركتها .

(٣) أى الجماعة من الناس ، فى الأصل : بالخشب أو الحسب .

(٤) فى الأصل : للثكل .

Marfat.com

إلى مدينة أبـده[1]، لنهيض[2] منها ثـانى جناحى الـكفـر، و نؤمن جهة الأندلس الشرقية عادية الضر، إلى أن حللنا بعد مراحل ضفة الوادى الـكبير[3]، و لما صبّحنا بساحتها، و أزمعنـا بعزة الله استباحتها، نظرنـا إلى مدينة حصينة. فقلنا: اللهم! سهل صعبها، و أسفل كعبها، و اجعلها لعبادك أنفالا، و اترك معالمها أغفالا، و بواديها لرياح النصر ثقـالا. ٥

فعاطينا حربا تبرجت لأبطـال المسلمين الحور، و تجلت بشذور الدُمى لها النحور، و علت بالشهادة الأصوات، و حامت على موارد الشهادة الـكماة، / و بيعت من الله النفوس، و دارت للآجال الـكئوس، حتى ١١٣/ الف أثمر الصبر ثمراته المعهودة، و أنجز الصبر مواهبـه الموعودة، فافترعت الشرفات المشرفات، و أصبحت منها المسافات، تطؤها الآفات. و دخلت ١٠ المدينة و القدرة لله غلابا، و تقسمتها أيـدى الإسـلام قتلا و استلابا، و فتحت المقاصر و المقاصير و القصور، و اقتحمت الديورة و الدور،

---

(١) و هى بلدة (Ubeda) الواقعة شمال شرق جيان المذكورة (Jaen) عبر نهر الوادى الـكبير ـ انظر أيضا الإدريسى (صفة المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ـ نشر دوزى و دى خويه فى امستردام ١٨٦٦ و ١٩٦٩) ص ١٩٦ و ٢٠٣ و هو مستخرج من «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق». و انظر كذلك الحميرى (الروض المعطـار فى خبر الأقطار ـ نشر لبفى بروفنسال ـ القاهرة ١٩٣٧) ص ١١، تحت «ابـذه».

(٢) أى لنكسر، و فى الأصل: لنهبض.

(٣) نهر (Guadalcavir) شهير بأسبانيا.

Marfat.com

و خسفت فى مطالع بروجها البـــدور ، و انتسفت الأقوات ، و أوقع بالـكفرة الفوات ، و أخلى من سروج فرسانهم الصهوات ، و أيتمت من آبائها البنون و البنات . و كان سورها[1] الذى تعاصى على الذرع و المساحة فوره ، و تعدى حدود المدن طوره ، قد استودع أفنيته نعم لمسارحها التى أخفـاها الخـلاف ، فألفـاها[2] المسلمون ألوفا لا تحصى ، فتناول تلك المواشى الاقتسام ، و أما الأهراء الموصلة ، و الخزائن المجملة و المفصلة المحصلة ، فأعيى نقلها الظهور ، فاستغرق الأيام لا بل الشهور ، ثم تركنا قصورها السامية قيعانا ، و كنائسها الحافلة آثارا لا عيانا ، و قد أخزى صلبانها ، و أحرقت النـار رهبانها ، و أتى الله بيوتها من القواعد فخرت و زلزلت مصانعها العالية فاستوت على وجه الأرض و استقرت ، و لما فرغت الأيدى المجاهدة من داخلها تدميرا و تخريبـا انطلقت على خارجها عقر الأشجار ، و تعفية الآثار ، و تغوير الأنهار . فالحمد لله على تخريب مدينة أبده بعد تخريب مدينة جيان ، فكيف لا يحمد الله على تخريب هذين المصرين الشهيرين ، و القطبين الحصينين ، بحيث تمضى الأحقاب و هما عـــبرة للمعتبرين ، و موعظة للمستبصرين . و نحن نشرع إن شاء الله تعالى فى غزوة مدينة قرطبة دمرها الله تعالى ، و جعلها خاوية على عروشها ، و أهلك جندها و فتوشها[3] ا / و أما مدينة ١١٢/ب

(١) فى الأصل : مسورها .
(٢) فى الأصل : فألقاها .
(٣) جمع فنش ، أو الفنش أى (Alfonso) .

أطريره

Marfat.com

أطريره[1] فلما جزنا عليها، وجدنا أهلها أخلتها و تركت أثاثها خوفا فنهبتها أيدى المسلمين، و قفلنا إلى بلادنا و الألوية بالنصر خافقة، و ألسنة الحمد و الشكر لله ناطقة . قد سقنا الأموال و الأسارى، و تركنا النصارى بما فعلنا فى أراضيهم حيارى - و السلام[2] . - آخر الكتاب الذى أرسله السلطان ابن الأحمر يبشر به السلطان صاحب مدينة فاس . ٥

و كان السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف سلطان المسلمين بالأندلس[3] [المعروف بابن الأحمر رسم فى غزوته أن كل من غنم غنيمة هى له، فاستغنى[4] المسلمون المجاهدون غنى كثيرا حتى قيل إنه لم يبق من المسلمين بالأندلس] فقير[5] . و قيل إن السلطان ابن الأحمر المذكور، لما كثرت عليه أسارى الفرنج من النسوان و الولدان، قيل له لم يكن ١٠

---

(١) فى الأصل : أطريزه، و صحتها (Utrera) مدينة بالقرب من إشبيلية (Seville) فى جنوب الأندلس .

(٢) حاولنا قدر الاستطاعة الاحتفاظ بأسلوب هذه الوثيقة على ما قد يكون ببعض أجزائها من الألفاظ و الجمل الغريبة . هذا و لم نجد لها أثرا أو ذكرا فى لسان الدين بن الخطيب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » أو دراسة محمد كمال شبانه (يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة - طبع القاهرة ١٩٦٩) بقصد المقارنة

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و وردت فى الهامش بقلم المصحح .

(٤) فى الأصل : استغنت .

(٥) فى الأصل : فقيرا .

Marfat.com

لهؤلاء محمل ، و ليس لهم قدرة على المشى ، بخلاف الأسارى الأعلاج فان لهم قدرة عليه . قال السلطان : بل للنسوان و الولدان محمل ، فافعلوا مثل ما أفعل ، يحملون[1] كلهم ، و أخذ امرأة جميلة أردفها خلفه ، و أخذ ولدا صغيرا حمله قدامه . ففعل كل من فى العسكر كفعله ذلك ، و مضوا بهم إلى بلاد المسلمين ، فتسرى[2] المسلمون بالنسوان ، و جعلت الولدان فى المكاتب يقرؤن القرآن .

و لما كان فى شعبان سنة تسع و ستين و سبعمائة[3] ، ورد فى ركب المغاربة القاصدين للحج رجل من أهل مليج[4] ، كان دخل الإسكندرية يتسوق منها لدكانه الذى[5] ببلده على جارى عادته ، فصادف بها وقعة القبرسى حين ظفر بها ، فأسر بجملة من أسر من أهلها . فأخبر عن نفسه أنه وقع فى سهم رجل من نصارى الأندلس . قال : فصرت أسيرا فى مملكة القند ملك مدينة جيان[6] . فلما ظفر السلطان ابن الأحمر بها ، كنت فى جملة من أسره منها ، فوقفت بين يدى سلطان المسلمين ، و هو أبو عبد الله محمد بن الأحمر مستغيثا .

---

(١) فى الأصل : يحملوا .

(٢) فى الأصل : فتسرت .

(٣) مقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

(٤) احدى مراكز مديرية المنوفية بالقرب من عاصمتها شبين الكوم .

(٥) فى الأصل : التى .

(٦) انظر الحواشى السابقة و راجع الفهارس .

Marfat.com

و قلت له: / أيها الملك المنصور! إنى رجل مسلم من ذرية المسلمين، ١١٤/ الف
ولم أكن نصرانيا[1]، و لا آبائى و لا أجدادى نصارى. قال: و من
أين أنت؟ قلت: أنا من بلدة يقال لها مليج من أرض مصر، بين
مصر و الإسكندرية. دخلت الإسكندرية أتبضع منها على جارى عادتى
لدكانى الذى[2] هو ببلدتى. فصادفت وقعة القبرسى بها، فنهبت و أسرت، ٥
فأتت بى النصارى إلى هذه الأرض، و استوفيت ما كتب على، و قد
خلصنى الله تعالى من الأسر على يديك بما فتح الله عليك. و قد حصلت
بين يديك، و أنا الآن فى جملة أسراك، و أنا مسلم مثلك، أقرأ
ما تيسر من القرآن، و أصلى على سيد الأنبياء محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم سيد ولد عدنان. ثم تشهدت[3] و قرأت سورة ١٠
من القرآن، فعلم أنى من المسلمين لا من النصارى الكافرين. ثم قال
لى: و وقعة الإسكندرية صحيحة كما قيل؟ قلت له: ظفر بها صاحب قبرس
نهبها و أسر منها و أنا من جملة تلك الأسارى. ثم أخبرته بخبر ظفره بها،
و فرار أهلها منها، حتى تسلمها الملعون منهم فى يوم واحد، و هو يوم
الجمعة فى أواخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة[4]. فقال عند ذلك: ١٥
لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، انا لله و انا اليه راجعون. لقد

(١) فى الأصل: نصرانى.
(٢) فى الاصل: التى.
(٣) فى الأصل: تشاهدت.
(٤) أى سنة ١٣٦٥ م و المحرم يقابل سبتمبر و اكتوبر - انظر حواشى سابقة.

Marfat.com

هتكتنا أهل الإسكندرية بين النصارى، أتاهم كلب من كلاب الجزر أقل[1] عددهم، و نهب بلدهم، و لا أخذ لهم بثأر، فآه آه! لو كنا بالقرب من قبرس لكانت قبرس أكلة رجل من أهل الأندلس! قال: ثم إنه أحسن [إلى] و أطلق سبيلى، و لى نحو سنة أقطع السهل و الوعر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية صحبة الركب المغربى. و قد حصل لى أمر مريح، و ها أنا سائر / لبلدى مليح. ١١/ب

قال المؤلف رحمه الله تعالى و غفر له و لوالديه و الأقربين إليه و المسلمين أجمعين: حدثنى بعض المغاربة القادم فى الركب المغربى بسبب الحج أن القند صاحب المملكة النصرانية أرسل للسلطان ابن الأحمر يطلب منه الصلح لما داخله منه من الرعب بسبب إخرابه لمدائنه، فقال لرسوله: أرسل القند بصالحنى، و تمضى النصارى إلى سواحل المسلمين بأرض مصر يقاتلونهم، لا كان ذلك أبدا حتى ترد أموال الإسكندرية إليها مع أسراها، و يأتينى[2] كتاب صاحب مصر بأنكم اصطلحتم معه، لأنه خادم الحرمين الشريفين، و أنا خادمه بسبب ذلك، و حينئذ أصالح صاحبك القند، و إلا السيف بينى و بينه حتى أملك [3]إشبيلية و قرطبة و طليطلة[3]، و أعيدها للمسلمين كما كانت لهم. فلما بلغ القند مقالته، قصر لسانه عن رد جوابه. و قالت المغاربة الحجاج: إن المسلمين

(١) فى الأصل: قل.
(٢) فى الأصل: و ياتنى
(٣-٣) المدن الرئيسية بالأندلس و هى (Seville, Cordoba, Toledo).

أخذوا

Marfat.com

أخذوا من حصون الفرنج بالأندلس حصونا[١] عدة منها حصن أشر[٢]، و حصن الرود[٣]، و حصن قنبيل[٣]، و حصن الجوابر[٣]، و حصن طورن[٣]، و حصن فرضالس[٣]، و حصن قنيط[٣]، و حصن بيغوا[٤] الحجر، و حصن برج الحكيم[٥]، و مدينة اشونه[٦]، و مدينة برشانه[٧]، بعد أخذه للمدن المتقدم ذكرها، فجملة ما أخذ السلطان ابن الأحمر للنصارى فى تلك السنة ما بين مدينة و قرية ثمانية و أربعون غير الحصون المذكورة[٨].

---

(١) فى الأصل : حصون .

(٢) كذا فى الأصل ، و ربما كانت « الش » التى ذكرها الإدريسى فى صفة الأندلس (ص ١٧٥ ، ١٩٢ - ١٩٤) .

(٣) من الحصون و القلاع الصغيرة بالقرب من ابده و اطريره لم نعثر عليها فى وصف الإدريسى للأندلس و لا الروض المعطار للحميرى أو الأطالس التاريخية .

(٤) وردت « بيغو » فى (الروض المعطار ص ٦٠ - ٦١) « مدينة بالأندلس من عمل غرناطة » .

(٥) من ضمن الحصون الصغيرة التى لم نعثر على موضعها .

(٦) فى الأصل : اسونه . و وردت بالشين فى (الروض المعطار ص ٢٣) من من كور أستجه فى الجنوب الغربى من قرطبة . و جاءت بالإدريسى (ص ١٨٤ و ٢٠٦) .

(٧) جاءت فى (الروض المعطار ص ٤٢) « بالأندلس و هى حصن على مجتمع نهرين ، و هو من أمنع الحصون مكانا ، و أوثقها بنيانا ، و أكثرها عمارة » . و أوردها الإدريسى (ص ١٧٥) .

(٨) فى الأصل : المذكورون .

Marfat.com

و قالت[1] المغاربة أيضا : إنه كان بمدينة جيان حمام فى نهاية الحسن كانت أعجوبة من الأعاجيب فى البناء ، فأخربها[1] المسلمون . و قالوا أيضا : و من العجائب بالأندلس جامع قرطبة ، و هو أن الرجل الذى يقف فى أوله لا[2] يرى الذى فى آخره / من اتساعه و حسن عمارته . و من العجائب ١١/ الف
أيضا مئذنة بمدينة إشبيلية ، يصعد فيها فارسان[3] فى مدرجها إلى أن يصيرا بأعلاها .

فبغزوة السلطان أبى عبد الله محمد بن الأحمر هذه ، حصل للمسلمين أخذ ثأر الإسكندرية ، و ثأر السلطان أبى[4] الحسن المرينى[5] المتقدم ذكره . ظفر انتقس[6] بعسكره كما تقدم ذكر ذلك مفصلا .

[حصون المؤمنين -[7]]

و إذ قد ذكرت الحصون ، فلنذكر ما قيل فى حصون المؤمنين . و ذلك أن الله تبارك و تعالى جعل لكل مؤمن سبعة[8] حصون : الحصن الأول من ذهب - و هو معرفة الله تعالى ، و حوله حصن من فضة - وهو

(١) فى الأصل : فأخربتها .
(٢) فى الأصل : لم .
(٣) فى الأصل : فارسين .
(٤) فى الأصل : ابا .
(٥) انظر حواشى سابقة و راجع الفهارس .
(٦) فى الأصل : النقس .
(٧) العنوان مشتق من النص فى مطلعه .
(٨) فى الأصل : سبع .

Marfat.com

الإيمان بالله تعالى ، و حوله حصن من حديد - و هو التوكل على الله تعالى ، و حوله حصن من حجارة ـ و هو الشكر و الرضى بقضاء الله تعالى ، و حوله حصن من نحاس - و هو الأمر و النهى و القيام به ، و حوله حصن من اللؤللؤ الرطب ـ و هو أدب النفس ؛ فالمؤمن داخل تحت هذه الحصون ، و إبليس وراء هذه الحصون ، ينبح كما ينبح الكلب ، و المؤمن لا يبالى به ، لأنه قد تحصن منه بهذه الحصون . فينبغى للمؤمن أن لا يترك أدب النفس فى كل أحواله ، فأن من ترك أدب النفس و تهاون به ، يأتيه الخذلان من فوقه لتركه أدب النفس ، فلا يزال إبليس يعالجه و يضع فيه أقدامه إذا ترك أدب النفس ، فيأخذ منه حصنا حتى يأتيه الخذلان من الله تعالى ، فاذا أخذ منه كل الحصون ، رده إلى الكفر ، و يخلده فى النار ، فنعوذ بالله منه و من النار !

سأل بعض الفقراء شيخه ، فقال له : أوصنى بوصية أنتفع بها . قال : نعم جبرك الله ! اجتهد فى رضى خالقك بقدر ما تجتهد فى رضى نفسك ، و اعمل فى دنياك بقدر مقامك فيها ، / و اعمل لربك بقدر حاجتك ١١٥/ب إليه ، و أطع إبليس بقدر نصحه لك ، و ارتكب من المعاصى بقدر طاقتك على النار ، و احفظ لسانك ما استطعت ، و اترك أربعا لأربعة ، ثم لا تبال[1] متى مت ، اترك الشهوات إلى الجنة ، و النوم إلى القبر ، و الراحة إلى الصراط ، و الفخر إلى الميزان ، و اسلك الأدب ، تسلم من العطب .

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و الاقربين إليه و للمسلمين أجمعين :

وقفت على قصيدة طويلة جدا لقاضى القضاة عز الدين عامر بن عامر

(١) فى الأصل : لا تبالى .

Marfat.com

البصرى المتصوف . عارض بها قصيدة ابن الفارض التائية ، فرأيته ذكر فيها عجائب و غرائب ، فكتبت منها هنا فصل الآداب ، و أولها هـذه الأبيات :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة فشاهد منى كل معنى و صورة

فيما قاله فى الآداب :

تخلق بأخلاق الإله مقدسا لنفسك عن أوساخ كل رذيلة
تبتّ فارغا عن جملة الخلق راضيا محلى بأخلاق الإله الشريفة
و قم بحدود الله و احفظ حقوقه و راع له ترعى به كل حرمة
و لازم ألبّاء الرجال وكن لهم خدوما لكيما تحظ منهم بخدمة
و راع حقوق الأهل والجار واحذر ا نخيانة فى سر و حفظ أمانة
و عف بتقوى و اعف عن قدر وكن لبيبا رضيا ذا وقار و هيبة
و حدث بحق إن نطقت تفز به و إلا فلا تنطق بجهدك و اصمت
و إياك و السلطان و البحر طالبا لدنيا تنلها منهما بكفاية
فكن خائفا فى حال أمنك منهما و فى حال خوف موئسا من سلامة
فلا تك منقادا لطبعك طائعا فيلقيك يا مسكين فى كل نكبة
و لا ترتكن[1] يوما إلى الغيد و اجتنب دهاهن[2] فى تدقيق كل مكيدة
و إياك أن تمسى أسيرا لقينة و إياك أن تغدو صريعا لقهوة
و لا تك حبا للمدام مداوما فيصرع منك العقل آية صرعة

(١) فى الأصل : تركن . و لا يستقيم بها ميزان الشعر .
(٢) فى الأصل الكلمة مقسومة بين الشطرين .

و خذ

Marfat.com

و خذ باعتدالك من لطائف ذوقها و إن كنت ذا ذوق بذاتك فامقت
و لا تك بالشطرنج و النرد مغرما فترجع مغبونا بأخسر صفقة
/ و لا كلفا بالخيل و الصيد ذاهلا و لا غرقا فى بحر لهو و عشرة ١١٦/الف
و لا تكثرنّ الهزل فى كل مجلس و لا القول إلا فى الأمور المفيدة
و لا تبسطنْ[1] فى مجلس بتمسخر و لا تمزحنْ فى محفل بسفاهة ٥
و لا تكثرن الجمع للمال مائلا إليه بحرص مفرط و محبة
و لا تكُ[2] متلافا و لا ممسكا له فتصبح ممقوتا به شر مقتة
و لا تك عبد البطن والفرج واستعن بتقليل نوم[2] مع كثير رياضة
و صن منك عرضا تبذل المال دونه تغظْ من تعادى إن فعلت وتبكت
و لا تك فى سفك الدماء مهوّرا فقتل بقتل إن خلا من عناية ١٠
وحارب إذا حاربت فالحرب خدعة بفكر و رأى و احتيال و لينة
وكن مبديا للخصم وجه بشاشة و لا تبدين[3] يوماله وجه غلظة
و قابل بحلم منك ذا الجهل و اجتهد بأن لا تقابل منه جهلا بجهلة
و خالف هوى النفس التى طالما وهت[4] به نفس حر فى هوان و هوة
وكن فى سبيل الله جدا مجاهدا و لا تخش فيه من أليم ملامة ١٥
فذل رجال الله فى الله عزة وعز بنى الدنيا مشوب بذلة

---

(١) فى الأصل : تبسط . و لا يستقيم بها الوزن - و نون التوكيد موجودة فى الشطر الثانى و فى البيت التالى مما يستدعى وجودها هنا ايضا .
(٢) فى الأصل : يوم .
(٣) فى الأصل : و لا تبديا .
(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الثانى فى الأصل . و فى الأصل : طال ما .

Marfat.com

ولا ترهبنّ الموت قبل حلوله ولا تخش منه ان أتاك بهجمة
فكل امرئ يوما و إن طال مكثه له أجل يأتى لوقت موقت
ولا دافع عنه له إن أتى ولو تمنّع منه بالحصون المنيعة
فطعم الرزايا فى أمور حقيرة .. .. [1]
٥ وكن ناطقا بالحق إن شاء أو أبى [2] كليمك مقداما به ذا بسالة
ولا تخش إلا الله فى كل حالة يعنك وكن حرا قنوعا ببلغة
فذو الجهل لا يرضيه شىء و ذو الحجى [3] يعيش بنفس حرة مطمئنة
و إن نلت فى نيل المعالى مشقة فان المعالى بالمكاره حفت
يصح انجبار النفس بعد انكسارها إذا قنعت فى ظل بيت بكسرة
١٠ فجرّد عن الأشياء نفسك و اقتنع بأيسر شىء من لباس و طعمة
ولا تحزنن يوما على فوت خرقة و لا تأسفن يوما على ذوق لقمة
و ساعد إذا ما ساعد الدهر قبل أن يفوتك مكان بتضييع فرصة
ولا تمس شبعانا و جارك جائع فتصبح موسوما بأرذل خصلة
وكن فطنا شهما لبيبا مهذبا أديبا كريما مؤثرا عن خصاصة
١٥ و سامح أخاك الحر فى فعله إذا أتى ذلة و اغفر له جرم هفوة

---

(١) الشطر الثانى مكانه بياض بالأصل ، و ربما كان الشطر الأول هو الثانى بدليل القافية .
(٢) فى الأصل : أبا .
(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأخير إلى مكانها ، و فى الأصل : وذو الحجا .

Marfat.com

/وكن أبـدا هشـا له متبسـما و لا تك ضحاكا و لا ذا[1] عبوسة /١١٦ب
يدم لك مهما عاش أو عشت وده و تصبح معروفا[2] بعهد و ذمـة
و لا تك مكثارا إذا زرت صاحبا و لا قاذفا من غاب عنك بغيبـة
و لا ذاكرا بالسوء من قد عرفته و لا ناسيا يوما لعهد و صحبـة
و سرك فاحفظه و كن كاتما له تعش فى أمان من أذى ذى عداوة
و كن آخذا بالعهد فى كل حالة تحاول تسلم من سهام ندامة
و لا تك حقادا إذا صاحب أسا[3] إليك و أبدى عنده ذا ضغينـة
و لا حاسدا خلقا على فضل نعمة و لا ناسيا حقا لمبدى صنيعـة
و لا ناقضا عهدا لخل محافظ و لا قاطعا حبلا لصاحب وصلة
و لا تك فى حال الغنى طاغيا و لا إذا مس فقر مظهرا لكآبـة
و إن[4] بك خطب[4] حل فاثبت و دارِه بصبر جميل[5] عند أول صدمـة
و خذ من صريح العلم والفضل كل ما يزينك فى حالى مقام[6] و رحـلة
فلا تك ذا خبث و مكر منافقا فتبلى بذى مكر و نفس خبيثـة
و عوّد بصدق القول ما دمت ماثلا[7] لسانك و احذر أن تفوه بكذبـة

---

(١) فى الأصل : ذو .
(٢) فى الأصل : معروف .
(٣) فى الأصل : اسى .
(٤-٤) فى الأصل : يك خطبا .
(٥) فى الأصل : جميلا .
(٦) فى الأصل : مقيم .
(٧) فى الأصل : ما يلا .

Marfat.com

و لا تك سفسافا لخوف من امرئ و لا طمعا عن رغبة أو لرهبة
و لا تك دخالا على الناس[1] خارجا بصورة إيذاء و نقل نميمة
و لا تك هجّاما على من عرفته فتدعى ثقيلا أهوجا ذا حماقة
و لا تك جذابا بحرص تكالب لأسباب دنيا من وجوه خسيسة
و لا تك كسلانا عن الكسب واحترز من الذل للاخوان فى نيل حاجة
و كن حاملا أثقال أهلك دافعا بسعيك عنهم همّ كل مهمة
و كن راعيا عهدا لخل و إن جفا أخوك[2] فصل واحفظ حقوق الأخوة
و لا تك مغرورا بجاه تناله فتسلبه الأيام أعجل سلبة
و لا تك جبارا إذا دولة أتت ولا تك خوّارا إذا هى ولت[3]
و كن نابذا من صحبة الناس هاربا فعز الفتى فى أن تراه بعزلة
و لا تلهُ عن محو الرذائل و اقتن الـ ـفضائل و اجهد فهى أفضل قنية[4]
و كن شاكرا لله فى كل حالة و لا تظهر الشوى إذا النعل زلّت
تخاطبنى نفسى بأشياء فى الكرى إذا عاينتها عين غيرى أقرّت
و من خطب العلياء يوما و لم يكن صبورا على وقع القنا[5] و الأسنة

(١) فى الأصل : النار .
(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول فى النص .
(٣) الشطر فى الأصل : ولا خورا منها إذا هى ولت ـ و هو مكسور ولا يتزن مع الشطر السابق ، و الوضع الذى اقتبسناه أصح بدون تغيير فى المعنى و مقابلته مع الشطر الأول .
(٤) فى الأصل : قعنة .
(٥) فى الأصل : الضبا ـ كذا بالضاد المعجمة . ولعله : الظبى ـ بالظاء المعجمة المضمومة .

فليس

Marfat.com

فليس له فى أن يعرّض نفسه لها[1] و ليعش عنفا بأدنى معيشة
/أحباءنا إن الليالى بعدكم رمت[2] بسهام البين شملى فأصمت ١١٧/الف
تفتّت مذ بنتم فؤادى بالنوى و أى فؤاد بالنوى لم يفتّت
لئن كنتم يوما أنستم بغيرنا فعندى لكم و الله أعظم وحشة
بعيد عن الأوطان فرد مشرّد طريد عن الإخوان فى كل بلدة ٥
فلست أبالى أن أكلت لقيمة و بت و رأسى مسند فوق لبنة
ولا فرق عندى بين يابس كسرة إذا نلتها يوما و بين قليّة
ولا بين نومى فوق خز مطرز و بين منامى فوق صفحة تربة
لسانى قوسى و التفكر جعبتى و لفظى سهامى و المعانى رميتى[3]
وعقلى سلطانى و نطقى حاجبى و جسمى تختى و الملوك رعيتى ١٠
و نفسى نديمى و المباحث مطربى و ذهنى كأسى و الحقائق خمرتى
مخيّلتى تجلو علىّ عرائسا بديعات حسن و التميّز سمعتى
و صدقى صديقى و العفاف ملازمى و سرى سميرى و المعانى حبيبتى
و صبرى معينى و احتمالى مساعدى و حلمى نصيرى ثم سلمى وسيلتى
و فقرى غنائى[4] و اشتغالى فراغتى و مالى تجريدى و كنزى قناعتى ١٥
تجرّعت أحداث الزمان و ذقتها بطعمى جناها حلوة بعد مُرّة
فلم أر فى الدنيا أشد نكاية بقلب محب من فراق أحبة

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول ليستقيم الوزن فى كل من الشطرين .
(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول ليستقيم وزن الشطرين .
(٣) فى الأصل : رمية .
(٤) فى الأصل : غناى .

و بكر أتت لا فارض بعد علمها إذا ما بدت أخفت سنى الفارضية
لها زىّ مسكين لضعف معينها على أنها سلطان كل قصيدة
تخال معانيها خلال حروفها كواكب تبدو فى حنادس[1] ليلة

[أخبار المغاربة و أسارى الفرنج -[2]]

فلنرجع إلى ذكر ما أخبرت به المغاربة القادمون[3] إلى الإسكندرية فى الركب بسبب الحج . قالوا: و قد أتى إلى مدينة فاس من أسارى الإفرنج الذين[4] أسرهم السلطان ابن أحمر كثيرا حتى أنهم من كثرتهم لم يسمع الإنسان كلام صاحبه من كثرة جلجلة قيودهم عند مرورهم ابتاعتهم أهل فاس من وقعة الأندلس . و حدثنى أبو الفضل قاسم بن محمد قاضى رنده[5] القادم فى الركب المغربى أن الأسارى التى حصر عددها من الرجال و النساء و الأطفال سبعة آلاف و ثمانمائة رأس .

و إذ ذكرت الأسارى . فلنذكر الآن ما قيل فى أسارى الكفار إن شاء الله تعالى - قال العلماء : يقتل الإمام من أسارى الكفار من

---

(١) فى الأصل : خنادس .

(٢) العنوان مقتبس من النص ، و هو غير وارد فى الهامش .

(٣) فى الأصل : القادمين .

(٤) فى الأصل : التى .

(٥) « رنده » مدينة قديمة بالأندلس على نهر ينسب إليها ، أوردها الحميرى (ص ٧٩) .

Marfat.com

لا يؤمن منه شره .

/ روى ابن وهب أن النبى صلى الله عليه و سلم قتل سبعين أسيرا ١١٧ / ب
ببدر ، و قتل عقبة بن أبى معيط ، و كان قد أخذه أسيرا يوم بدر فقتله .
فقال : من للصبية ؟ قال : النار . و الأصل فى هذا قوله تعالى[1] " ما كان
لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض " ، قيل بالقتل الكثير ، ٥
و قال تعالى[2] " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" ، و قال تعالى[3] "فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما
منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب اوزارها" . فأجمع مالك و أهل
العلم أن الإمام مخير فى الأسارى بين خمسة أشياء : إما أن يقتلهم ،
أو يسترقهم ، أو يمن عليهم بالفداء ، أو يعقد لهم الذمة و يضرب عليهم ١٠
الجزية ، لأنه استعمل الآية كلها . و فسر التخيير فى الأسارى ليس على
الحكم فيهم ، و إنما هو على وجه الاجتهاد فى النظر للمسلمين ، كالتخيير
فى الحكم على المحارب ، إما أن يقتل أو يصلب أو يقطع يده و رجله
من خلاف ، أو ينفى فى الأرض بالسجن .

قال فخر الإسلام أبو بكر الشاشى : إذا أخذ قاطع الطريق نصابا ١٥
فى المحاربة قطعت يده اليمنى و رجله اليسرى . و إن قتل فى المحاربة انحتم[4]

---

(١) قرآن كريم سورة ٨ آية ٦٧ .
(٢) قرآن كريم سورة ٩ آية ٥ .
(٣) قرآن كريم سورة ٤٧ آية ٤ .
(٤) فى الأصل : انحم - كذا بغير النقط .

Marfat.com

قتله ، و إن قتل و أخذ المال قتل و صلب . قال الله تعالى[1] "انما جزؤا الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و ارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض" - الآية .

قال ابن عباس فى قطاع الطريق : إذا قتلوا و أخذوا المال ، قتلوا و صلبوا ، و إن أخذوا المال و لم يقتلوا ، قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف ، و إذا هربوا طلبوا حتى يوجدوا ، فيقام فيهم الحد . و إن تاب قاطع الطريق قبل القدرة عليه ، سقط عنه ما لم يختص بالمحاربة . فأما حدود الله فى غير المحاربة ، فانها تسقط بالتوبة مع إصلاح العمل فى أصح القولين ، فان كان الأسير من أهل النجدة و القوة و النكاية فى المسلمين قتله ، و إن لم يكن كذلك و كان ذا صنعة استرقه ، و إن كان فيه محمل[2] لأداء الجزية أعتقه ، و إن رأى فداء الأسير أولى أخذ فيه الفداء / إن ١١/الف بذل فيه مالا كثيرا أكثر من قيمته . و إن كانت صنعته تحتمل خراجا أخذ منه سيده على قدر عمله فى صنعته . ألا ترى ما كان من أبى لؤلؤة لعنه الله و اسمه فيروز ! وكان علجا للمغيرة بن شعبة . و الذى كان من أمره مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

إنه كان نجارا يصنع الأرحية بالمدينة ، فسأل عمر أن يأمر سيده و أهله [أن -٣] يخففوا عنه من خراجه ، فأبى عمر لما علم من كثرة متحصله

---

(١) قرآن كريم سورة ٥ آية ٣٣ .

(٢) فى الأصل : محملا .

(٣) ساقطة من الأصل .

من

Marfat.com

من عمل الأرحية ، فحقد أبو لؤلؤة فى نفسه منه ، فسأله عمر أن يصنع له رحى ، فقال : لأصنعن لك رحى يتحدث بها فى المشارق و المغارب ! فقال عمر : هددنى والله عدو الله . ثم إن العلج المذكور طعن عمر فى صلاة الصبح بخنجر ، فصاح عمر و قال : من طعنى ؟ قالوا : علج المغيرة . فقال : إنى كنت نهيتكم : لا تجلبوا إلينا من علوجهم شيئا ، فعصيتمونى . ثم دعا[1] بلبن فشربه فخرج من الطعنة ، فأيقن بالموت ، و قيل : إن كعبا طبيب العرب سقاه اللبن فخرج من طعنته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! تعيش ثلاثا ، فأنشد عمر يقول هذين البيتين :

و واعدنى كعب ثلاثا يعدّها ... و عندى أن القول ما قاله كعب

و ما بى حذار الموت إنى ميت ... و لكن أخاف الذنب يتبعه الذنب

و كان عمر رأى فى منامه أن ديكا أحمر نقره ثلاث نقرات ، فتأوله عمر : رجل من العجم يطعنه ثلاث طعنات ، فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ، و ذلك فى صلاة الصبح ، إحداها بين سرته و عانته خرقت الصفاق[2] و هى التى قتلته . و طعن أبو لؤلؤة فى المسجد ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم سبعة . فأقبل رجل من بنى حطان ، فألقى كساءه عليه ، ثم احتضنه ، فلما علم العلج أنه مأخوذ ، نحر نفسه بخنجره ، و قدم عمر صهيبا يصلى بالناس الصبح ، فقرأ بهم "قل هو الله احد" فى الركعة الأولى و "قل يا ايها الكفرون" فى الثانية ، و احتمل عمر إلى بيته مثبتا مثخنا ، فعاش

(١) فى الأصل : ادعا .

(٢) الجلد الذى تحت الجلد الظاهر .

Marfat.com

ثلاثة أيام . وكان قد استأذن عائشة أن يدفن فى بيتها مع صاحبيه ، فقالت : وِ الله ! لقد كنت أردت ذلك / المضجع لنفسى ، وِ لأوثرنه اليوم ١١ / ب على نفسى . وكانت خلافته عشر سنين . وصلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ، وِ دفنوه عند غروب الشمس .

وجعل الخلافة شورى بين عثمان وعلى والزبير وِ سعد بن أبى وقاص وِ عبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين ، فوقع اتفاقهم على عثمان ، فولى الخلافة بعده .

قال أبو الحسن : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا أدم[1] مشربا حمرة ، طويلا مشرفا على الناس من طوله كأنه راكب ، كث اللحية ، حسن الخدين وِ الأنف وِ العينين ، ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة[2] من الهجرة . وطعن لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين[3] ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان عمر يلقب بالفاروق ، لأن الشيطان كان يفرق منه ، أى يهرب منه ، ولى الخلافة بعد أبى بكر رضى الله عنه ، وكان اسم أبى بكر فى الجاهلية عبد الكعبة ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وِ عتيقا - قيل لجماله ، وِ قيل لعتقه من النار .

---

(١) أى أسمر اللون .

(٢) يقابلها شهر يوليو سنة ٦٣٤ م .

(٣) يقابلها ١٨ نوفمبر سنة ٦٤٤ م .

Marfat.com

صفته : كان آدم طويلا نحيفا خفيف العارضين ، غائر العينين ، مشرف الجبهة نائى الوجنتين ، يغير شيبه بالحناء - انتهى .

[ذكر مناقب عمر - ١]

نعود إلى ذكر مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كان عمر بن الخطاب فى خلافته يجرى على نفسه من بيت المال درهمين فى كل يوم . فلما ولى عمر بن عبد العزيز[٢] الخلافة ، قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ! قال : كان عمر لا مال له و أنا مالى يغنينى ، فلم يأخذ عمر بن عبد العزيز من بيت مال المسلمين شيئا . و قيل لعثمان بن عفان بعد أن ولى الخلافة : ما لك لا تكون مثل عمر بن الخطاب ؟ قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم ، و قال : كان إسلام عمر فتحا ، و هجرته نصرا ، و إمارته رحمة .

١١٩ / ا

عن الحسن البصرى قال : ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان أطولهم صلاة و أكثرهم صياما ، و لكن فضلهم أنه كان أزهدهم فى الدنيا ، و أشدهم فى أمر الله .

قال ابن عباس : خرجت أريد عمر بن خطاب[٣] فى خلافته ، فألفيته راكبا حمارا قد رسنه بحبل أسود ، و فى رجليه نعلان مخصوفان ،

---

(١) العنوان مستخرج من النص .

(٢) الخليفة الأموى و خلافته ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م .

(٣) خلافته ١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م .

Marfat.com

و عليه إزار قصير و قميص قد انكشف منه ساقاه ، فمشيت إلى جنبه ، و جعلت أجذب الإزار عليه ، فينكشف الساق الآخر . فجعل يضحك و يقول : إنه لا يطيعك . حتى أتى العالية ، فصنع له طعام[1] من خبز و لحم و دعوه إليه ، و كان عمر صائما ، فجعل ينبذ إلى الطعام و يقول : كل لى و لك ، و كان زيد بن ثابت كاتب عمر بن الخطاب فى أيام خلافته ، و حاجبه يرفا مولاه ، و خازنه يسار . و على بيت ماله عبد الله بن أرقم .

قال الليث بن سعد : كان عمر بن الخطاب أول من جند الأجناد ، و دون الدواوين . و ولى الخلافة بعد عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه . كنيته أبو عبد الله و أبو عمرو . صفته : كان مربوعا حسن الوجه أسمر ، وافر اللحية يصفرها ، مشدود الأسنان بالذهب . و كان يلقب بذى النورين ، و ذلك لأنه تزوج بنتى النبى صلى الله عليه و سلم ، تزوج الثانية بعد وفاة الأولى . و أقام فى خلافته اثنتى[2] عشر سنة . و قتل بداره ، فسمى شهيد الدار .

و ولى الخلافة بعده على بن أبى طالب[3] ، فكانت خلافته سنتين و ثمانية أشهر . و قتل لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة أربعين من الهجرة . و كان الذى قتله عبد الرحمن بن ملجم وقت صلاة الصبح بمسجد الكوفة ، و أعمى قبره . و كان يكنى بأبى الحسن .

---

(١) فى الأصل : طعاما .

(٢) فى الأصل : اثنى .

(٣) خلافته ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

صفته

Marfat.com

صفته : / كان أسمر ، عظيم البطن ، أبيض الرأس و اللحية ، أدعج عظيم ١١٩/ب
العينين ، ليس بالطويل و لا بالقصير ، تملأ لحيته صدره ، لا يغير شيبه .
قال الخطيب فى « تاريخ بغداد » عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه : دفنت أبى على بن أبى طالب فى حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة . و فى قول آخر : دفنت أبى فى الكوفة ، فلا يعلم أحد مكان قبره . ٥
عن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن الوليد أساس داره بالكوفة ، فاستخرجوا شيخا مدفونا أبيض الرأس و اللحية . فقال لى : أتحب أن أريك على بن أبى طالب ؟ فكشف عنه فرأيته و كأنه قد دفن بالأمس . و قال شريك بن عبد الله : بلغنى أن الحسن ولده نقله إلى المدينة . و كان الحسن بن على كنيته أبو محمد . و كان أحد المشبهين ١٠
برسول الله صلى الله عليه و سلم . قال شريك بن عبد الله : أوحى الله تعالى إلى النبى صلى الله عليه و سلم أنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا[1] ، و إنى قاتل بابن ابنتك حسين ألف ألف و سبعين ألفا[2] . و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : سيكون بعدى خلفاء ، أعطوهم حقهم ، فان الله سائلهم عما استرعاهم . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا الأمر ١٥
فى قريش ! لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا .

(١) فى الأصل : ألف .
(٢) فى الأصل : ألف ، و زيد بعده : ألف . ـ و خطأ ذلك واضح لتضعيف الألف السابقة .

و لما قتل على بن أبى طالب ولى الخلافة بعده الحسن بن على ، ثم وليها معاوية ابن أبى سفيان .

[خلافة بنى امية -١]

و كانت خلفاء[٢] بنى أمية لهم ألقاب واقعة عليهم ، و هى « الناصر لحق الله » معاوية . « المستنصر على أهل الزيغ » يزيد بن معاوية . « الراجع إلى الله » معاوية بن يزيد بن معاوية . « المؤتمن بالله » مروان بن الحكم . « الموثق لأمر الله » عبد الملك بن مروان . و قيل كان عبد الملك يلقب « رشح الحجر » لبخله ، و يكنى أبا ذباب لبخره ، و هو أول من سمى فى الإسلام عبد الملك ، و كان أفوه مفتوح الفم ، مشبك الأسنان / بشرائط الذهب . و كان حازما فى أمره ، لا يكل أمره إلى غيره . « المنتقم بالله » الوليد بن عبد الملك . « المهتدى بالله » يزيد بن الوليد بن عبد الملك . « الداعى إلى الله » سليمان بن عبد الملك . « المعصوم بالله » عمر بن عبد العزيز . « القادر بصنع الله » يزيد بن عبد الملك . « المنصور » هشام بن عبد الملك ، و كان يدعى بعبد العزيز بن مروان ، و كان ولى العهد بعد أخيه عبد الملك ابن مروان [يلقب -٣] بـ « المعظم لحرمات الله » ، و لم يل[٤] الخلافة . و كان مسلمة

١٢ / الف

(١) العنوان مشتق من النص و لا وجود له بالهامش .
(٢) فى الأصل : خلافة . و صحة الكلمة يدل عليها السياق .
(٣) ساقطة من النص و أدخلناها لاكتمال الجملة .
(٤) فى الاصل : لم يلى .

ابن عبد الملك يلقب بـ « القاهر بعون الله » لما حارب أهل القسطنطينية ، و بنى مدينة بباب القسطنطينية ، و سماها مدينة القهر . و لم يل[1] الخلافة « المكتفى بالله » الوليد بن يزيد . « الشاكر لأنعم الله » يزيد بن الوليد . « المعتز بالله » إبراهيم بن الوليد . « القائم بحق الله » مروان بن محمد بن الحكم - و هو آخر خلفاء بنى أمية .

[خلافة العباسيين -[2]]

و أول خلفاء بنى العباس السفاح[3] أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . صفته : كان طويلا أبيض أقنى ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، له وفرة ، سديد الرأى ، ماضى العزيمة ، كريم الأخلاق ، مألفا للرجال ، سمحا بالأموال ، أهون عليه أن يأمر بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك .

المنصور و هو أبو الخلفاء من بنى العباس إلى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة[4] . و اسم المنصور عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . كنيته أبو جعفر . صفته : كان طويلا أسمر خفيف العارضين ،

---

(١) فى الأصل : لم يلى .

(٢) العنوان مشتق من النص ، و لم يرد بالهامش .

(٣) خلافته ١٣٢ - ١٣٦ هـ ٧٥٠ - ٧٥٤ م .

(٤) يقابلها سنة ٩٥٦ م و خلافته ١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ ؛ و ينتج من هذا أن التاريخ الوارد بالإلمام خاطئ على كل حال .

Marfat.com

يخضب لحيته بالسواد محتنك السن ، حازم الرأى ، قد عركته الأيام ، و حلب الدهر أشطره ، روى العلم ، و عرف الحلال و الحرام ، لا يدخله فتور عند حادثة ، و لا يعرض له وله[1] عند مخوفة ، يجود بالأموال حتى يقال : هذا أسمح الناس ، و يمنع فى أوقات حتى يقال هذا أبخل الناس ، يسوس سياسة الملوك ، و يثب وثوب الأسد العادى ، لا يبالى أن يحرس ملكه بهلاك غيره .

المهدى[2] محمد بن عبد الله المنصور . كنيته أبو العباس . صفته : كان حسن الوجه و الجسم ، أسمر طويلا ، بعينه اليمنى نكتة بياض ، كريما حفيا بذولا للمال ، حسن العفو ، كريم الظفر ، لا تدخله غفلة عند مخوفة ، و لا يتكل فى الأمور على غير ثقة ، وصولا لأرحامه ، برا بأهله ، فيه لين الجانب ، كثير الولاية و العزل بغير سبب .

الهادى[3] موسى بن محمد المهدى . كنيته أبو جعفر ، أمه أم ولد يقال لها الخيزران . صفته : كان طويلا ، أبيض جسيما أفوه ، بشفته العليا بياض ، شجاعا بطلا ، أقوى الناس بدنا ، و أجرأهم مقدما ، فيه تيه و جبرية ينسب بها إلى الهوج ، قاضيه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفى صاحب الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت .

---

(١) الكلمة بفتح الواو و اللام ، و فى الأصل : وليه .

(٢) خلافة المهدى ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م .

(٣) خلافة الهادى من بنى العباس ١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م .

Marfat.com

هارون الرشيد[1] بن المهدى ، كنيته أبو جعفر ، أمه الخيزران عمره أربع و أربعون سنة و أربعة أشهر ، خلافته ثلاث و عشرون[2] سنة و شهران و ستة عشر يوما . توفى بقرية سناباد من طوس[3] من أرض خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث و تسعين و مائة[4] . صفته : كان تام الخلقة ، جميلا طويلا ، أبيض مسمنا ، قد وخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها . و كان كامل الأخلاق ، سمحا شجاعا ، كثير الجهاد و الحج ، استوزر البرامكة : يحيى ابن خالد بن برمك و ابنيه جعفر و الفضل ، ثم نكبهم ، و دفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بالبرامكة إلى على بن يقطين ، و غلب عليه الفضل بن الربيع و إسماعيل صبح[5] إلى أن مات ، و اختلّت أموره بعد قتله للبرامكة ، و بان للناس قبيح تدبيره و سوء سياسته .

الأمين[6] أبو عبد الله محمد بن هارون الرشيد . كنيته أبو موسى ، أمه زبيدة أم جعفر ابنة جعفر بن أبى جعفر المنصور . كانت تسمى أمة العزيز ، و كان أبوها عم الرشيد ، و كانت أحب الناس إلى الرشيد ،

---

(١) خلافته ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م .

(٢) فى الأصل : عشرين .

(٣) من بين مدن إيران القديمة التى حلّت محلها مدينة مشهد بعد انقراضها - ذكرها ابن بطوطة (ص ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨) .

(٤) يقابلها ٨٠٨ - ٨٠٩ .

(٥) كذا فى الأصل ، و لعله : إسماعيل بن صالح .

(٦) خلافته ١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م .

Marfat.com

و إنما لقبت بزبيدة لأن أباها[1] جعفر بن المنصور كان يلاعبها و هى صغيرة و يرقصها و يقول لها: إنما أنت زبيدة! فغلب ذلك عليها، فلا
الف تعرف / إلا بزبيدة. و كانت من المال و الجمال و الخير و الديانة على جانب عظيم. و لها من الصدقات و الأوقاف و وجوه القربات شىء كثير، فأنفقت[2] فى ستين يوما أربعة و خمسين ألف ألف درهم. و كان لها مائة جارية، كلهن يحفظن القرآن العظيم، و ورد كل واحدة منهن فى كل ليلة عشر القرآن، و كن يسمع[3] لهن فى القصر دوى كدوى النحل. و رئيت زبيدة فى المنام بعد وفاتها، فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لى بأول مِعْول ضرب فى طريق مكة، لأنها كانت سهلت الأماكن الصعبة للحاج فى طريقها، فهانت عليهم فى السفر بعد مقاساتهم المشقة الشديدة، ثم قيل لها: ما هذه الصفرة التى فى وجهك؟ فقالت: دفن بين أظهرنا رجل معتزلى يقول: إن القرآن مخلوق و ليس بمنزل يقال له بشر المريسى، زفرت جهنم له زفرة فاقشعر لها جلدى، فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

قال بعضهم أبياتا فى الرد على من يقول: إن القرآن مخلوق، و هى هذه:

أوصيكم بالقول فى القرآن يقول أهل الحق و الإيقان

---

(١) فى الأصل: أبوها.
(٢) فى الأصل: فنفقت.
(٣) فى الأصل: يسمعن.

Marfat.com

ليس بمخلوق و لا بفان لكن كلام الملك الديان
آياتـــه مشرقـــة المعـانى متـــلوة لله بـاللسـان
محفوظة فى الصدر و الجنان مـكتوبة فى الصحف ذى البيان
و القول فى الصفات يا إخوانى كالذات و العلم مـع البيان
أبرزها من غير ما كفران من غير تشبيه و لا عدوان

سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه: بما ذا فضل القرآن على التوراة و الإنجيل ؟ فقال: إن الله عز و جل أنزل على موسى عليـــه السلام [1] "و كتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظـة" . و أنزل على عيسى عليه السلام [2] "و لابين لكم بعض الذى تختلفون فيه" . و قال عز و جل [3] فيما أنزل عـلى محمد صلى الله عليـــه و سلم "ما فرطنا فى الـكتب من شىء" . فهذا فضل القرآن على التوراة و الإنجيل .

قال أبو محمد عبد الله بن زيد القيروانى فى العقيدة التى ذكرها فى الرسالة فى الفقه : و إن القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق فيبيد ، و لا صفة لمخلوق فينفد . قال الزناتى [4] : القرآن طائفـة من كلام الله ،

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٤٥ .
(٢) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٦٣ .
(٣) قرآن كريم سورة ٦ آية ٣٨ .
(٤) فى المشتبه ١/٣٠٠: و زناتة قبيلة من البربر . و فى تاج العروس : (زناتة بالكسر) وقد يفتح أهمله الجوهرى و صاحب اللسان ... (منها الزناتى) الرمال (المنجم) المشهور فيهما و الزناتى الفقيه شارح تحفة ابن عاصم و محشى مختصر الشيخ خليل .

Marfat.com

و الإنجيل / طائفة ، و التوراة طائفة . و كلام الله هو القائم بذاته ، ليس ١٢/ب
بحرف و لا صوت ، و لا يتجزأ و لا ينقسم ، فاذا عبر عنه بالعربية سمى
قرآنا ، و إذا عبر عنه بالعجمية سمى إنجيلا ، و إن عبر عنه بالسريانية
سمى زبورا ، و إن عبر عنه بالعبرانية سمى توراة .

و اختلف لما ذا سمى القرآن ، فقيل : بذلك سمى فى الأزل ، ٥
و لم يشتق من شىء . و قيل : سمى القرآن مأخوذا [1] من البيان ،
فلا شك أنه بين فيما يحل و ما يحرم و غير ذلك . و قيل : سمى القرآن
مأخوذا [1] من الجمع ، كقولك : قرأت الماء فى الحوض ، أى جمعته ،
و سمى بذلك لأنه جمع أوامر و نواهى [2] و ناسخا و منسوخا [2] و غير
ذلك - انتهى . ١٠

نعود إلى ذكر مقدار عمر الأمين [3] و مدة خلافته و صفته - كان
عمره ثلاثا و ثلاثين سنة ، و مدة خلافته أربع سنين و سبعة أشهر
و عشرة أيام . صفته : كان حسن الوجه ، تام الخلقة و القامة ، أبيض
مسمنا ، صغير العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، شديدا فى بطشه [4] ، باسطا يده ١٥
بالعطاء ، قبيح السيرة ، ضعيف الرأى ، سفاكا للدماء ، ركب هواه ،
و يهمل أمره ، و يتكل فى جليلات الأمور على غيره ، و يثق بمن
لا ينصحه .

---

(١) فى الأصل : ماخوذ .
(٢-٢) فى الأصل : و ناسخ و منسوخ .
(٣) خلافة الأمين ولد الرشيد ١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م .
(٤) فى الأصل : بطنه .

Marfat.com

المأمون [1] عبد الله بن هارون الرشيد ، كنيته أبو جعفر ، أمه حبشية تسمى مراجل ، عمره تسع و أربعون سنة . توفى على عين البزندون من أرض الروم مما يلى طرسوس ، و دفن بطرسوس . فكانت خلافته عشرين عاما و خمسة أشهر و ثمانية عشر يوما . صفته : أبيض تعلوه صفرة ، طويل اللحية ، ضيق الجبين ، كاملا عالما جوادا ، عظيم العفو ، كريم القدرة ، ميمون النقيبة ، حسن التدبير ، جليل الصنائع ، لا تجوز عليه الخدائع ، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما قرب و حضر ، و ربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة .

المعتصم [2] محمد بن هارون الرشيد ، كنيته أبو إسحاق . أمه أم ولد تسمى ماردة ، و عمره ست و أربعون سنة / و عشرة أشهر . فكانت ١٠ ١٢٢/ ا خلافته ثمان سنين و ثمانية أشهر و يومين . صفته : كان أصهب أبيض ، حسن الوجه و الجسم ، مربوعا ، مشربا حمرة ، عريض الصدر ، شديد البدن ، طويل اللحية ، لم يشب . و كان الرجل الذى لا يقاس به الرجال قوة بدن و شدة بأس ، و شجاعة قلب ، و كرم أخلاق .

الواثق [3] هارون بن محمد المعتصم ، كنيته أبو جعفر ، أمه أم ولد ، ١٥ تسمى قراطيس . توفى بسر من رأى [4] يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة

---

(١) خلافته ١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م .

(٢) خلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م .

(٣) خلافته ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ .

(٤) و اختصرت « سامرا » تقع على الشاطئ الأيسر لنهر الدجلة شمال العراق على بعد ٧٠ ميلا فوق بغداد .

Marfat.com

سنة اثنتين [١] و ثلاثين و مائتين [٢] . فكانت خلافته خمس سنين و تسعة أشهر و ستة أيام . صفته : كان أبيض مشربا بحمرة ، حسن الوجه ، عريض الصدر ، كث اللحية ، فى عينه نكتة بياض ، يذهب فى كثير من أموره مذهب المأمون .

المتوكل [٣] جعفر بن محمد المعتصم : كنيته أبو الفضل ، أمه أم ولد ، تسمى شجاعا [٤] ، عمره إحدى [٥] و أربعون سنة ، قتل بمدينته المسماة الجعفرية [٦] من سر من رأى ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع و أربعين و مائتين [٧] . فكانت خلافته أربع عشرة سنة و تسعة أشهر و تسعة أيام . صفته : كان أسمر ، رقيق البشرة ، يضرب لونه إلى الصفرة ، حسن الوجه ، خفيف العارضين ، كبير العينين ، و كان سليما محببا إلى العامة على إيثاره الهزل و المضاحك، و الأمور التى تشين الملوك ؛ و الله تعالى أعلم - انتهى .

---

(١) فى الأصل : اثنين .

(٢) يقابلها ٨٤٦ - ٨٤٧ م ، انظر حاشية سابقة بمدة خلافته .

(٣) خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٤) فى الأصل : شجاع .

(٥) فى الأصل : احد .

(٦) ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (ج ٢ ص ٨٨) « محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقى من بغداد » و هى مدينته .

(٧) يقابلها ١١ ديسمبر سنة ٨٦١ م .

Marfat.com

ذكر ما جاء فى فتح القسطنطينية

و ذكر ملحمة أبى العباس أحمد بن أبى جمعة - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فاذا تصافّوا قالت الروم: خلّوا بيننا و بين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول[1] المسلمون: لا و الله! لا نخلى بينكم و بين إخواننا فتقاتلوهم، فينهزم[2] ثلث لا يتوب الله عليهم، و يقتل بينهم أفضل الشهداء عند الله، و يفتح الثلث لا يفتنون أبدا، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم و علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهلكم فيخرجون، و ذلك بأطل، فاذا جاءوا الشام خرج الدجال، فبينما هم يغدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم فأمهم، فاذا رآه عدو الله الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء.

١٠ ١٢٢/ب

و عن أنس قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة.

و القسطنطينية مدينة الروم، و تفتح عند خروج الدجال. و قيل: ان المهدى إذا خرج بالمغرب، جاءت اليه أهل الأندلس يقولون له: يا ولى الله! انظر جزيرة الأندلس، فقد تلفت و تغلّب عليها أهل الكفر

١٥

(١) فى الأصل: فتقول.

(٢) فى الأصل: فتنهزم.

Marfat.com

و الشرك من ابناء الروم ، فيبعث كتبه إلى جميع قبائل العرب من أهل المغرب أن انصروا دين الله وشريعة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . فيأتون إليه من كل مكان ، و يجيبون و يقفون عند أمره ، و يكون على خدمته صاحب الخرطوم ، و هو صاحب الناقة الغراء ، و هو صاحب المهدى ، و ناصر دين الإسلام ، و ولى الله حقا . فعند ذلك يبايعه[1] ثمانون ألف مقاتل ، ما بين فارس و راجل ، قد رضى الله عنهم ، " اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون " ، فباعوا أنفسهم من الله ، و الله ذو الفضل العظيم ، فيعبرون البحر حتى ينتهوا[2] إلى مدينة إشبيلية ، فيصعد المهدى المنبر فى المسجد الجامع ، و يخطب خطبة بليغة ، فيأتيه أهل الأندلس ، فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام . ثم يخرج بجميع المسلمين متوجها إلى بلاد الروم ، فيفتح بها سبعين مدينة من مدائن الروم ، يخرجها من أيدى العدو عنوة . و إن المهدى و من معه يصلون إلى كنيسة الذهب ، فيجدون فيها أموالا ، فيأخذها المهدى ، فيقسمها بين المسلمين بالسوية . ثم يجد فيها تابوت السكينة . و فيه / غفارة عيسى و عصا موسى ، و هى العصا التى ١٢٢ / ب هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها ، و كان قيصر ملك الروم قد أخذها من البيت المقدس فى جملة السبى حين سبى البيت المقدس ، و احتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب ، فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدى . فاذا أخذ المسلمون العصا ، تنازعوا فيها ، فكل منهم يريد أخذ العصا . فاذا

(١) فى الأصل : يبايعونه .
(٢) فى الأصل : ينتهون .

أراد الله خذلان أهل الإسلام من الأندلس ، خذل رأيهم ، و سلب ذوى الألباب عقولهم ، فيقسمون العصا على أربعة أجزاء ، فيأخذ كل عسكر منهم جزءا ، و هم يومئذ أربعة عساكر . فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الخلاف بينهم .

قال كعب الأحبار : و يظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحار ، فيبعث الله عليهم ملكا ، فيجوز بهم القنطرة التى بناها ذو القرنين على زقاق سبتة[1] لهذا المعنى خاصة ، فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا الى مدينة فاس و الروم وراءهم ، فلا يزالون كذلك ، كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل[2] المشركون مرحلة كذلك حتى ياتوا إلى أرض مصر و الروم وراءهم .

و فى حديث حذيفة : و يتملكون مصر إلى الفيوم - و الله أعلم .

قال ابن الفارض يصف البحر و البر بهذه الأبيات :

و فى البر تسرى العيس تخترق الفلا و بالبحر[3] تجرى الفلك فى كل لجة
و تنظر للجيشين فى البر مرة و فى البحر أخرى فى جموع كثيرة
لباسهم نسج لبأسهم وهم فى حمى حدى ظبى و أسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس على فرس أو راجل رب رجلة

(١) مشهورة على الساحل المغربى من جبل طارق ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (ج٣ ص ٣٠) ووصفها بأنها « حصينة تشبه المهدية التى بافريقية ». كما ذكرها ابن بطوطة (ص ٦٦٤ - ٦٧٢) .

(٢) فى الأصل : ارتحلوا .

(٣) فى الأصل : بالسفن - كذا .

Marfat.com

فمن ضارب بالبيض فتكا و طاعن بسمر القنا العسالة السمهرية
فمن مغرق فى النار رشقا بأسهم و من محرق فى الماء زرقا بشعلة
ترى ذا مغيرا باذلا نفسه و ذا يولى كسيرا تحت ذل الهزيمة
و تشهد نصب المنجنيق و رميها لهدم الصيا صى والحصون المنيعة
١/ب ٥ / و تلخط أشباحا تراءى بأنفس مجردة فى أرضها مستحية

هذا يفهم منه معنيان : أحدهما ان نصب المجانيق و الرماة و المقاتلة فى التمثيل كالجن ، و هم فى أرض الجسم مستجنون ، و الثانى إشارة إلى الجن ، فهم فى أرض الدنيا و أرض الأشباح - انتهى .

فلنذكر الآن ما قال ابن أبى جمعة فى ملحمته ، و هو قوله هذا[1] :

١٠ كلينى إلى أعمال كيد الكواكب بحرب أراه فى بلاد المغارب
فلست على أهل المغارب آيسا صروف المنايا من صروف الكتائب
إذا احترق البرجيس[2] فى الكبس فاعلمن و قارنه كيوان[3] أعلى الكواكب
و بهرام[4] فى الجوزا ببيت عطارد و زهرتها فى الثور بيت المناسب
ترى ثمّ أهوال و وقت معظّم و حرب يعم الأرض من كل جانب
١٥ و ذى الزهرة البيضا فذلك حدها و أخشى عليها من ظهور المراكب
فيهلك نصفى خلقها بفنائها ليوث أسود مضفرين الشوارب

---

(١) فى الأصل : هذه .
(٢) بهامشه : المشترى . - وهو معناه .
(٣) بين السطرين فوق الكلمة : زحل . - للدلالة عليه .
(٤) بين السطرين فوق الكلمة : المريخ . - للتعريف به .

بقين و لا يعرفن فى الأرض مهربا ولا حاميا منهـا فيرجى لهارب
هنـاك عقوبـات من الله فاعلمن فكم هتكوا من ستر عذراء كاعب
فيقدم أرض الغرب جيش عرمرم كمثل السحاب المظلم المتراكب
فيملك من فاس الى أرض طنجة الى منتهى البحر الكثير العجائب
كأنى بقوم من زناتة قتّلوا صراعا بوجه الأرض يوم التجارب ٥
كأنى أرى الجيشين يوم تلاقيـا على غـير ماء يستلذ لشـارب
وماهى إلا ساعة بعـد ساعـة فتحتـكم الأسياف من كل جانب
فيملك أرض الغرب ليث معظّم قوى على مجرى أمور النوائب
فويل على ذى الأرض من وقع بأسه تصير خلاء خاليـا كالخرائب
و حرب بدا لى عند طنجة كائن من البصرة الدنيـا بأحمر عاضب ١٠
و فى صفر الأصفار يخرج عسكر فيقتله الرحمن أقـدر غالب
و تعلو دواب الأرض فى كل بلدة و لست ترى نسل البغال الضوارب
و فى نصف شهر الصوم يخرج عسكر يبيد و يفنى من عظيم النوائب
فلما رأيت الجيش قد عم غربهـا و ذلك جيش خائب غير صائب
و تبديد شمل الناس فيها و فرقة تفرقهم منهـا إلى كل جانب ١٥
/ و هذا الذى قد قلته هو كائن لعشر ثلاث بعد عقد لحـاسب ١٢٤ / ب
و يلقى الردى كل السياسـة عنوة بحد سنان مثل لدغ العـقـارب
و يملك أمر الناس عبد مجرّب بجيش كليل مـدلهمّ الجوانب
فيملك أحوال الرعـيـة كلهـا فمن بين مسلوب لديه و سالب

وذو الشمس والبرجيس[1] والرأى بعده فذاك قران مؤذن بالعجائب
فيأتون من سبتا[2] برفع تجارة لتموينة[3] الإعلاء ذات المراتب
تعود كما كانت بأول مرة وتعمر من بعد الخلا والخرائب
فمن كان ذا[4] لب يبيتنّ أرضها ويقصدها قبل ازدحام الكتائب
فيا أسفا للأندلس ثم قومها إذا أخذتهم معظمات النوائب
كأنى بجمع القوم لما تجمعوا على البحر أشباه القطا المتراكب
وقد عطلوا تلك الديار و بادروا حضور المنايا بين ماش و راكب
ولم تغنهم أسيافهم و دروعهم و زرق رماح كالنجوم الثواقب
فيدركهم عند الزقاق عدوهم يضيق عليهم فاسحات المذاهب
فمن بين مذهول يطير فؤاده و باك و مخبول و داع و راغب
فيأتيهم جبريل فى الليل ناصرا يجوّزهم بحرا كثير العجائب
على جسر ذى القرنين لما بدا لهم بقدرة رب العرش رب الرغائب

يعنى بزقاق سبتة الخليج الذى حفره الإسكندر و ساقه من البحر المحيط، و يعنى بالجسر القنطرة التى بناها الإسكندر على خليج سبتة المعروف بالزقاق[5].

و قد تقدم ذكر حفر هذا الخليج و صفة حفره و بناء قنطرته فأغنى عن إعادته. قال بعضهم فى قنطرة بنيت على خليج :

---

(١) انظر الحاشية عاليه.

(٢) انظر الحاشية فيما قبل.

(٣) من موّنه : احتمل مؤنته و قام بكفايته، و فى الأصل : لقمونية ـ كذا و لا يستقيم بها الوزن.

(٤) فى الأصل : ذو.

(٥) انظر فيما قبل ج ٣ ص ٨٩ - ٩١.

Marfat.com

قنطرة قد بنيت وصورت[1] من الملح
يكاد من يبصرها يطير عجبا و فرح
قد كملت أوصافها من كل حسن مقترح
كأنما ارتفاعها فى دوره قوس قزح

نعود إلى ذكر بقية الملحمة المذكورة .

فيلقوا بها قوما أسودا كأنهم جبال حديد حُنّكوا بالتجارب
فيبقوا بها عشرين شهرا و أربعا وشهرا وتأتى بعد عشر لحاسب
/وويل وويل [قد] أتى أهل جربة[2] إذا جاءهم مثل الدبى المتراكب ١٢٤ / ب
من الروم والإفرنج قوم[3] تجمعوا غلاظ شداد فى بطون المراكب
و تخلو[4] بلاد الروم من كل ظالم ومن كل مغلوب لديها وغالب
فويل لمن يلفى[5] بقابس[6] قاطنا إذا نزلت بالقوم كل المصائب
و ويل لمن يلفى سفاقس[7] بعد و مهدية[8] الغراء ذات المناقب

(١) فى الأصل : و صورة .
(٢) جربة جزيرة بالمغرب قرب قابس يسكنها البربر كما وردت فى معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٤٧) .
(٣) فى الأصل : قوما .
(٤) فى الأصل : و تخلا .
(٥) فى الأصل : يلفا . ـ و جائز أن تكون « يلقى » بالقاف .
(٦) قابس جنوبى تونس واقعة على الخليج المسلمى باسمها .
(٧) سفاقس على القسم الشمالى من ساحل خليج قابس إلى الجنوب الشرق من مدينة تونس .
(٨) المهدية فرضة القيروان على خليج قابس استحدثها المهدى عبيد الله سنة ٩١٢م و جعلها قصبة لملك الفاطميين فى أول عهدهم .

وفيها من الأتراك والروم معشر يرون حلول الموت ضربة لازب
هناك ترى من مرهفات القواضب و تبكى نساء بالدموع السواكب
وقد سبيت تلك النساء وشققت لهن جيوب بعد قطع الذوائب
فيا ويحها ما ذا تلاقى بوجهها من اللطم والتخميش عند النوائب
و يملك أقطار السواحل كلها فيقفون من جور العدو المحارب
فلا تستمع فيها أذان مؤذن سوى ضرب ناقوس و تقسيس راهب
كأنى بهم بضعا وعشرين بلدة ممزقة تمزيق سد مارب[1]
إذا أخذتهم نقمة بعد نقمة فباؤا بويل و استطاروا بجانب
و قد هربوا كى يطلبون أمانهم و قد علموا ألا أمان لهارب
فكم تركوا من نعمة و كرامة و مشرب عذب قد يلذ لشارب
فيهزمهم فيها و يتبع أثرهم بحد صقيلات القنا و القواضب
فأهلا بأرض القيروان[2] ومرحبا إذا رجعت دار العلى و المراتب
فيا لك من قتل ذريع و غارة و قتل بحد المرهفات الضوارب
وتخلو[3] قصور الملك من كل قاطن بها قاطن فى عاجل متقارب

---

(١) سد مأرب مؤسسات مملكة سبا باليمن ذكره مؤرخو العرب تفصيلا كالمسعودى و كذلك ياقوت فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٨٢ - ٣٨٨) و كذلك النويرى فيما سبق راجع - الفهارس .

(٢) القيروان من مدن تونس الرئيسية أسسها العرب سنة ٦٧١ م على يدى سيدى عقبة و بها جامعه الكبير الشهير و تبعد عن تونس بثمانين ميلا نحو الجنوب .

(٣) فى الأصل : و تخلا .

و تبديل ملك القشعمية منهم و خفض رؤوس و ارتفاع ذنائب
و لا بد من تحقيق ما قال أحمد و إقفارها من كل حسنا و كاعب
وذى الزهرة البيضاء سوسة[1] يأتها جيوش عظام مثل سوق السحائب
فيملك معمور السواحل كلها كذا سونة[2] الغراء ذات المناصب[3]
و تبقى لهم أرض الرمال سليمة و بجمع ذات النخل غير السباسب
فينفذ حكم الله فيما ذكرته ثلاثة عشر فى حساب الحواسب
فيجتمعون الروم يبقوا بضيرة و ذلك رأى خائب غير صائب
هناك هلاك الروم عند اجتماعهم و ينصب دين الله من كل جانب
فيأتيهمُ ندب عظيم معظم و أهلا بندب فى الأمور محارب
و من خلفه جيش عظيم عرمرم فأهلا بجيش صائب غير خائب
/ فيا لك من حرب تدوم وشدة و يا لك من قتل كذات الذوائب ١٢٥/ا
فيهزم جيش الروم من بين قابس [4]والقيروان لشاطئ[4] البحر الكثير العجائب
ويقتل ذو الملك [أهلها] وصحبه[5] و لم ينج إلا بعض تلك الكتائب
كأنى أرى الجيشين حين تقابلا و قد نصر الرحمن خير المذاهب
فيبقون فى أرض السواحل بعدها ثلاثة عشر بعد عشر لحاسب
و يخرج منها عنوة و مخافة بحد سيوف المرهفات القواضب

(١) سوسه - من موانى تونس على ساحل خليج الحمامات على بعد ٧٠ ميلا جنوب شرق مدينة تونس .
(٢) فى الأصل : بسونة ، و سونة لم نعثر عليها فى المراجع الجغرافية العربية المعروفة .
(٣) فى الأصل : ذات المناسب.
(٤ - ٤) فى الأصل : و القيروان إلى شاطئ . و الوزن يستقيم باسقاط « و القيروان » إنما تركناها لا قتضاء المعنى .
(٥) كذا فى الأصل و فيه كسر . و يستقيم الوزن بزيادة « أهلها » التى تكون مفعول « يقتل » .

Marfat.com

و ذلك فى إحدى و تسعين كائنا على رغم أنف الكاذب المتغاصب
و ترجع دار الظلم أمنا و مألفا إذا جاءها الندب الكثير المناسب
فقل لذوى الألباب إنى منحتكم كلاما عجيبا مؤذنا بالعجائب

[ولاية طيدمر البالسى الإسكندرية -[1]]

ذكر تاريخ ولاية ملك الأمراء طيدمر البالسى ثغر الإسكندرية المحروس ، و ما اتفق فى ذلك من ولايته للمسلمين مع طائفة الفرنج الكافرين . و هو أنه فى شهر ذى القعدة الحرام سنة تسع و ستين و سبعمائة[2] ، ولى السلطان الملك الأشرف شعبان[3] الأمير سيف الدين طيدمر البالسى ثغر الإسكندرية المحروس ملك أمراء ، فدخل الثغر المذكور يوم الأحد ثانى عشرى[4] ذى القعدة من السنة المذكورة أعلاه ، عوضا عن ملك الأمراء أسنبغا بن البو بكرى ، و إنفاذه ملك أمراء بحلب .

و كان قبل دخول ملك الأمراء طيدمر البالسى الإسكندرية ورد إلى مينتها ثلاثة أغربة فيها رسل الإفرنج بسبب الصلح ، فلم ينزلوا من غربانهم إلا بعد أن أرسل إليهم قنصلين من الإفرنج المسجونين بالقاهرة حسب ما تقدم ذكر سبب سجنهم بها ، فلما رأت الرسل القنصلين نزلوا هم و غلمانهم ، فدخلوا الإسكندرية ثالث يوم قدوم ملك الأمراء طيدمر ،

---

(١) العنوان مقتبس من بداية النص ، و لا ذكر له بالهامش .
(٢) يقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .
(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .
(٤) فى الأصل : عشرين .

و كان

وكان أحد الرسل جنويا[1] يسمى قازان ، و الثانى بندقيا[2]، قيل : إن قازان المذكور هو الذى ظفر بمدينة القرم ، نهبها و أسر منها من الترك المسلمين كثيرا . ثم إن تلك الرسل حملوا إلى القاهرة ، فأتى بعد سفرهم إليها أربعة قراقر[3]، أرسوا بالقرب من أغربة الرسل ، زعموا أن معهم البضائع / التى انشقت مراكبهم بسبب كسادها مدة طردهم من سواحل المسلمين ، ٥ ١٢٥/ كما تقدم ذكر ذلك ، و زعموا أنهم أتوا خاضعين ذليلين ، فصار[4] المسلمون يقولون : إنما أتوا مكرا و خداعا ليخلصوا الإفرنج المسجونين بالقاهرة ، و بعضهم يقول : إنما معهم بعض البضائع ، و بقية وسقها أسلحة يقاتلون بها المسلمين[5] إذا خلصوا أصحابهم و حصلوا بقراقرهم ، و يرسلون[6] إلى المراكب الكثيرة المجتمعة تأتيهم و تعينهم القراقر الأربعة على قتال المسلمين .

فلما كان فى العشرين من ذى الحجة سنة تسع و ستين و سبعمائة[7]، قدم بعدُ رسل الإفرنج من القاهرة إلى الإسكندرية ، فنودى بها : من

---

(١) فى الأصل : جنوى .

(٢) فى الأصل : بندق .

(٣) انظر الحواشى عن السفن فى مجلد سابق و راجع الفهارس .

(٤) فى الأصل : فصارت .

(٥) فى الأصل : المسلمون .

(٦) فى الأصل : يرسلوا .

(٧) يقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

Marfat.com

كان له أسير ببلاد الإفرنج فليكتب اسمه و نسبه ليتخلص من الأسر ، فكتبت أسماء أسارى كثيرة . و كان السبب فى ذلك أنه قيل للرسل المذكورين بالقاهرة : فيم أتيتم؟ قالوا : فى الصلح . فقيل لهم : و أين رسل المسلمين الذين بجزيرة قبرس : ناصر الدين محمد بن قراجا الشربقى و الجوبان و أصحابهم و أسارى الإسكندرية ، قالوا : يحضرون[1] بسعادة مولانا السلطان . فقيل لهم : لا يبيع أحد[2] منكم عندنا بضاعة و لا ينزل بها من المراكب حتى تأتى رسل السلطان و أسارى الإسكندرية ، فانكم ما جئتم إلا لمصالحكم . فلا سبيل لكم إلا بذلك .

فوقع الاتفاق على أن القراقر المذكورة[3] تقيم بمدينة الإسكندرية ، و تسافر الغربان تأتى برسل المسلمين و الأسارى و زورق المغاربة الذى أخذه إبراهيم القبرسى المعروف بابن الخيازة فى العشر الأول من ذى الحجة بما فيه من كتان و غيره ، حسب ما تقدم ذكر أخذه له . فسافرت الغربان مردودا عليها[4] هداياهم ، بعد أن أخذوا معهم ما كتبه[5] المسلمون لهم من أسماء أسارى الإسكندرية و أنسابهم . و صارت رسل الإفرنج بالقاهرة مقيمين عند الإفرنج المسجونين . / فيهم قازان الجنوى و رفيقه البندقى ١/الف ١٥

(١) فى الأصل : يحضروا .

(٢) فى الأصل : احدا .

(٣) فى الأصل : المذكورين .

(٤-٤) فى الأصل : مردود عليهم .

(٥) فى الأصل : كتبته .

و كانت أصحاب الغربان أتوا يخلصون[1] الإفرنج بمكرهم، فازدادوا برسل الفرنج و غلمانهم معهم فى السجن. فرجع من بالغربان خائبين، و إلى قومهم منذرين، بقولهم لهم إما رجوع رسل المسلمين و أسارى الإسكندرية و الزورق المأخوذ، و إما الحرب و الطعن و الضرب . و كان إذ ذاك بالإسكندرية من الأمراء المجردين لحراستها الأمير أيدمر الشمسى مقدم ميمنة العساكر المنصورة، و ملك الأمراء طيدمر البالسى، و الأمير صلاح الدين بن عرام حاجب الحجاب، و الأمير محمد بن ذنكزبغا، و الأمير أبو بكر بن طاز، و الأمير أسندمر حرفوش، و الأمير طغيتمر العثمانى، و الأمير أرسغا الخليلى، و الأمير عبد الله بن الحاجب : و الأمير ابن بكتمر الساقى، و الأمير أرغون الخازندار، و الأمير جركس بن سولى، و الأمير ابن أرنان، و الأمير أحمد بن ذنكزبغا، و الأمير ابن الذهبى، و الأمير ابن المحمدى، و الأمير ابن دلنجى، و الأمير ابن لاجين، و الأمير بهاء الدين أصلان الحاجب، و الأمير بكتمر العلمى الحاجب أيضا و غيرهم، منهم مقدمون و طبلخانات و عشراوات، غير بعض أجناد الحلقة المنصورة المقطعين، و أجناد الجوامك، و قواد[2] الصناعة، و العربان المركزة، و غلمان الفرسان، غير أهل الثغر الذين صارت قلوبهم على الإفرنج أحر من الجمر.

فبينما الناس على أهبة القتال، و إذا بغرابين قدما إلى مينة الإسكندرية،

(١) فى الأصل : يخلصوا .

(٢) فى الأصل : قياد .

Marfat.com

فيهما رسل المسلمين و ثمانون[1] أسيرا و أسيرة ، منهم دون العشرين نسوة ، و الباقى رجال[2] . فلما أرست الغرابان[3] بالمينة ، لم يتركوا رسل المسلمين و الأسارى ينزلون[4] إلى البر حتى يأخذوا رسلهم و تجارهم و غلمانهم الذين بالقاهرة . و لم ينزل منهم / سوى أربعة من المسلمين غرباء من غير ١٧ ب
الإسكندرية ، و اثنين من الفرنج ، حملا إلى القاهرة يريدان[5] الخبر. فقيل إن الأمراء قالوا لهما[6] : فيم أتيتما؟ قالا : نريد الصلح . فقالوا لهما : من أى الملوك أتيتما؟ قالا : من عند صاحب جنوة و صاحب البندقية ، و قد حملنا صاحب قبرس رسالة نذكرها للسلطان ، فقالت الأمراء لهما : اذكراها[7] لنا و ما جئتما[8] به من صاحب قبرس ، فان رأينا فيها[9] صلاحا ، تركنا كما تذكراها للسلطان ، و إن لم يكن فيها صلاح خفنا عليكما سطوته و غضبه . فقالا : يقول[10] صاحب قبرس : إن السلطان لا يأخذ منه على متاجره

(١) فى الأصل : ثمانين .
(٢) فى الأصل : رجالا .
(٣) فى الأصل : غرابين .
(٤) فى الأصل ينزلوا .
(٥) فى الأصل : يردون .
(٦) فى الأصل : لهم .
(٧) فى الأصل : اذكروها .
(٨) فى الأصل : جئتم .
(٩) فى الأصل : فيه .
(١٠) فى الأصل : لا يقول ، و واضح أن المعنى لا يستقيم هنا بالنفى فحذفنا «لا» .

إلا

Marfat.com

إلا العشر لا الخمس ، و أن يصير قنصله مقيما بالإسكندرية يحكم بين تجار المسلمين و تجار الفرنج فى بيعهم و شرائهم ، و أن كل من حج كنيسة قمامة من أهل جزيرة قبرس لا يؤخذ منه شىء ، و أن يعطى له أرض فى بر الشام محاذية للقدس ، يعمرها ، تصير له و لأصحابه ، و أن يكتب اسمه على كنيسة قمامة .

هذا و الأمراء يسمعون كلامها ذلك ، فلما انقضى كلامها ، قال أحد الأمراء لها : صاحب قبرس [1]سلطان عاقل أو مجنون مطبق[1] ؟ قالا : ليس به جنون . قال : أما ما ذكر من العشر فليس ذلك لنا ، لأن الله تعالى قال فى كتابه العزيز : " الخمس " ، و ليس لنا تغيير ما أمر الله به . و أما قوله : إن قنصله يحكم بين تجار المسلمين و تجار النصارى فى بيعهم و شرائهم ، مقيما دائما بالإسكندرية ، فليس فى إقامته بها ضرر ، و أما حكمه على تجار المسلمين فلا يجوز فى ديننا ، لأن الإسلام يعلو و لا يعلى عليه . و أما قوله : إن كل من حج من القبارسة إلى كنيسة قمامة لا يؤخذ منه شىء ، فالذى يؤخذ منهم بسبب زيارتهم لها ينفق على أصحاب الأدراك[2] الذين يخفرونهم فى ورودهم و صدورهم من العرب التى تنهبهم فى طريقهم / ، و إن كان مراده أن لا يؤخذ من أصحابه شىء[3] ، فلتخفر الإفرنج أنفسها فى طريق بلاد المسلمين ، و ذلك لا يتصور أبدا ، لقلة الفرنج الزائرين

(١-١) فى الأصل : سلطانا عاقلا او مجنونا مطبقا .
(٢) جمع درك - أى خفارة المكان و حراسته .
(٣) فى الأصل : شيئا .

Marfat.com

و كثرة العرب التى تتركهم من ملبوسهم ، فضلا عن أخذهم لأموالهم منها عارين . و أما قوله : يكتب اسمه على قمامة ، فيصير بذلك مضحكة ، لأنه يضع اسمه على غير ملك له ، و ذلك أنى إذا أمرت أن يكتب اسمى على كنيسة قبرس بمكان[1] لا أملكه ، لا يفعل ذلك لى ، و إن فعل صرت مضحكة لأهل قبرس و لغيرهم من النصارى الواردين عليهم . و أما قوله : يعمر فى أرض المسلمين بلدا ، فكيف يتصور له الحكم على بلد يجاوره فيها آلاف آلاف من المسلمين ، كانوا يهدمون البلد على رأسه ، و يخمدون أنفاسه[2] . ثم قال لهما : هذا الكلام الذى تكلمتما به لا يتصور وقوعه من مجنون أبدا ، فكيف من عاقل ! و الحذر الحذر من ذكره للسلطان ! فان عليكما فيه من الأمر المخوف ما تمضون به على حروف السيوف .

٤

و كان السلطان قبل ورود الغرابين إلى مينة الإسكندرية طلب الأمير صلاح الدين بن عرام من الإسكندرية ، و هو إذ ذاك حاجب الحجاب بها لمصالحه ، فحضر بحضرة السلطان ، فأمره بما اقتضته مصالحه ، فامتثل أمره . و لما بلغ السلطان أن أصحاب الغربان منعوا رسل المسلمين و الأسارى أن ينزلوا منها حتى يأخذوا رسل الإفرنج و تجارهم و غلمانهم ، قال لابن عرام المذكور : انحدر إلى الإسكندرية ، و تحيل على نزول

---

(١) فى الأصل : مكانا ـ و لفظة باء الجر ساقطة و لزومها واضح من السياق .
(٢) فى الأصل : لأنفاسه .

Marfat.com

الرسل و الأسارى من مراكب الإفرنج . فقال : ينزلون[1] إن شاء الله تعالى بسعادة مولانا السلطان خلد الله ملكه ، و عجل بوار عدوه و هلكه ، من غير أن ندفع لهم [2]علجا واحدا[2] من أصحابهم ، و لكن يريد المملوك [3]مرسوما شريفا[3] بأن استصحب معى أربعة من الفرنج المسجونين ، أستعين بهم على خلاص المسلمين / من غربانهم . فرسم له بهم ، و استصحب ٥ ١٢٧/ب معه من أكابرهم . فلما وصل بهم إلى الإسكندرية ، أركبهم الخيول العربية بالسروج المذهبة ، و[4] الكنابيش المترتبة ، و[4] أتى بهم إلى ساحل البحر الملح ، فسلموا على من بالغربان ، و سلم من بالغربان عليهم ، و كلموهم فى نزول الرسل و الأسارى . فقالوا : حتى تأتونا بأجمعكم ، و تحصلوا عندنا كلكم . فقالوا لهم : إن السلطان رسم الأمير صلاح الدين هذا بأنكم ١٠ إن منعتم نزولهم من غربانكم أن يقتلنا الأربعة قدامكم . قالوا ذلك بحضرة تراجمة المسلمين لئلا يكلموهم[5] بكلام فيه ضرر[6] على المسلمين فيذكره[7] التراجمة للامير صلاح الدين ، فيحصل لهم ما لا خير فيه . و أيضا

---

(١) فى الأصل : ينزلوا .

(٢-٢) فى الأصل : علج واحد .

(٣-٣) فى الأصل : مرسوم شريف .

(٤ - ٤) فى الأصل : الكبابيش المقرقبة و الكنبوش - بالضم : البرذعة تجعل تحت سرج الفرس .

(٥) فى الأصل : ليلا يكلمونهم .

(٦) فى الأصل : ضررا .

(٧) فى الأصل : فذكره .

قصدت الأربعة نزولهم ليكون ذلك سببا لخلاصهم من أيدى المسلمين . ثم قال الأمير صلاح الدين لمن بالغربان : انزلوا بالمسلمين و بما جئتم به من الهدايا ، و سترون ما يفعل بكم و برسلكم من الإحسان و الإكرام . و صار يسايسهم و يجلب عقولهم بلين كلامه إلى أن أنزلوهم بأجمعهم من المراكب .

و كان لرسل المسلمين بقبرس من حين أرسلهم الأمير يلبغا الخاصكى من جهة دمياط من قبل المقتلة إلى حين نزولهم من غربان النصارى مدة سنة و أربعة أشهر . فدخلت رسل المسلمين الإسكندرية راكبين الخيول العربية ، تضرب بين أيديهم الطبول ، و تصرخ الأبواق و الزمور ، و الأسارى خلفهم يتبعون . فكان من أسارى الإسكندرية سبع نسوة و صى مراهق البلوغ ، و بقية الثمانين من الشام . ثم نزل عقيبهم من تجار الفرنج المحتشمين ستة عليهم الشايات الرفيعة المثمن المزررة بأزرار الذهب و اللؤلؤ المنظوم ، فاجتمعوا بأصحابهم الأربعة ، فقالوا لهم حين سألوهم عن أحوالهم : نحن بخير عند المسلمين ، و أن قازان الجنوى و رفيقه البندقى فى خير و عافية . فعند ذلك تحيل الأمير صلاح الدين على التجار الستة و قال لهم : / أنتم لكم وجاهة و حشمة و شكالة ، فامضوا مع ١٢ / الف أصحابكم هؤلاء الأربعة إلى القاهرة ، تحضروا قدام السلطان ليراكم و يشاهد أشكالكم و حشمتكم ، و تنظروا مملكة مصر و تصيروا مترددين بمتاجركم بعد إيقاع الصلح بين المسلمين و بينكم ، و صار يسايسهم

بهذا

بهذا الكلام و شبهه حتى نزلوا الحراقة [1] التى هى مرسية بخليج [2] الإسكندرية بسبب توديع [3] أصحابهم الأربعة ، و هم مترددون [4] بين السفر و الإقامة بالإسكندرية ، فساعة طلوعهم الحراقة و حصولهم بها أشار الأمير صلاح الدين بحفنه لرائس الحراقة بالسفر ، فما استتم جلوس الإفرنج بها ، إلا و هى سائرة كالطيور الطائرة ، فلما مثلوا بين يدى السلطان ، سر بذلك و زاده إقطاعا على إقطاعه بعد الإكرام و الإحسان لابن عرام ، و ذلك بسبب خلاص رسل المسلمين و أسراهم على يديه ، بعد أن أقاموا فى غربان الفرنج على مينة الإسكندرية خمسة عشر يوما ، ينظرون المدينة ، و لا يستطيعون النزول إليها ، خائفين من رجوع الفرنج بهم أيضا إلى بلادهم .

فلما تخلص [5] المسلمون من أيدى الفرنج بسياسة الأمير صلاح الدين ، ذلت الفرنج بعد ذلك ، و نزلوا بهداياهم من مراكبهم ، و ظهر بعد ذلك خبثهم و مكرهم للمسلمين بمحاققة [6] رسل المسلمين لهم ، لأن رسل الفرنج ذكروا أنه لم يبق أحد [7] من أسارى المسلمين ، فكذبتهم رسل

---

(١) الحراقة نوع من المراكب السريعة الجريان فى النيل - راجع الفهارس .

(٢) القناة الموصلة بين الإسكندرية و فرع رشيد ، و هى الآن ترعة المحمودية .

(٣) كذا فى الأصل ، و لعل الكلمة « توريع » .

(٤) فى الأصل : مترددين .

(٥) فى الأصل : تخلصت .

(٦) بمعنى التحقيق معهم .

(٧) فى الأصل : أحدا .

Marfat.com

المسلمين و أسراهم ، و قالوا : بقى بها[1] و برودس الأسارى و ذكرت الأسارى أسماء من هم عندهم ، فلما قالت الأسارى القادمون[2] ذلك ، صيرت رسل الفرنج و الستة[3] تجار أيضا محبوسين مع الفرنج المسجونين . ثم صارت مراكب الإفرنج تأتى إلى مينة الإسكندرية شيئا بعد شىء إلى أن تكمل إلى يوم الأحد الثانى و العشرين من ربيع الأول سنة سبعين و سبعمائة[4] / الزيادة على ثلاثين قرقورة و عدة غربان أيضا . فصار[5] ١٢/ب المسلمون فى قلق بسببهم ، يزيدون و ينقصون و يقولون : إن القبرسى يأتى فى الأربعين غرابا التى عنده يطلب الصلح بما يشترطه على اختياره ، فان وقع الصلح على مراده ، و إلا أوقع الحرب ، فتهيأ[6] المسلمون للقتال ، و صاروا يبيتون[7] كل ليلة بقلاع السور و أبراجه ، و الفوانيس موقودة بشراريفه و الزفة دائرة فى كل ليلة بأعلى السور ، تضىء فوانيسها بالنور ، و الأمير صلاح الدين بن عرام حاجب الحجاب طائف من داخل السور بجنده و مشاعله و فوانيسه . و قد تهيأت قبائل العرب للحرب و القتال . فبينما هم كذلك وإذا بقازان الجنوى و رفيقه البندقى أتيا من القاهرة إلى الإسكندرية ،

---

(١) أى بقبرس .

(٢) فى الأصل : القادمين .

(٣) فى الأصل : الست .

(٤) يقابل هذا التاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٣٦٨ م .

(٥) فى الأصل : فصارت .

(٦) فى الأصل : فتهيأت .

(٧) فى الأصل : يبيتوا .

Marfat.com

معهما خدمتهما، بما وقع الاتفاق عليه بسفرهما إلى قبرس، يأتيان ببقية الأسارى الإسكندرانيين، بعد أن ضمنهما تجار الفرنج الذين[1] بالقاهرة مسجونون[2]. فسافرا من الإسكندرية. فحينئذ أنزلت[3] تجار الفرنج بضائعهم[4] من القراقر، باعوها بالإسكندرية، و تعوضوا عنها بضائع الكارم[5]، و سافروا شيئا بعد شيء، فاطمأن[6] المسلمون بسفرهم، بخلاف ما كانوا يظنون بهم - و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر رجوع قازان الجنوى إلى مينة الإسكندرية بالأسارى، و منعه من نزولهم من مراكبه و رجوعه بهم حيارى إلى أرض النصارى، إن شاء الله تعالى.

و فى العشر الأول من المحرم سنة سبعين و سبعمائة[7]، قدم مركب من طرابلس الغرب إلى مينة الإسكندرية، أخبر من فيها من المسلمين أن مركبا للفرنج قدم إلى بلد العناب بأرض المغرب موسوقا قمحا، و فيه من الإفرنج ثلاثون علجا، سألوا أهل بلد العناب أن يفتدوا منهم أربعة من أعيان أسارى المسلمين، و طلبوا فيهم أربعمائة دينار، فقال نائب البلد: نعطيكم فيهم مائتى دينار، فامتنعوا من ذلك. فاتفقت

(١) فى الأصل: التى.
(٢) فى الأصل: مسجونين.
(٣) فى الأصل: نزلت.
(٤) فى الأصل: بضائعها.
(٥) لعل المقصود تجار الكارمية - راجع صبحى لبيب وانظر المراجع والفهارس.
(٦) فى الأصل: فاطمأنت.
(٧) أى فى أغسطس سنة ١٣٦٨ م.

Marfat.com

١/ الف خمسة من المسلمين من أهل البلد و قالوا للنائب : نريد / جهاد هؤلاء الفرنج ، لنبذل نفوسنا فى سبيل الله . لتكون كلمة الله هى العليا ، فان انتصرنا عليهم ، نأخذ مركبهم لنا من غير أن يتعرض لنا ، و نوفر عليك الذهب الذى تفتدى به الأربعة أسارى ، قال : اذك لكم ، أسأل الله تعالى أن ينصركم ، افعلوا ما بدا لكم . فتقدمت الخمسة إلى المركب بعد أن أخفوا معهم خناجرهم ، و قالوا للفرنج : هل معكم سيوف نشتريها منكم ؟ قالوا : نعم ، اصعدوا إلى المركب فاشتروا منها ما تختارون ، فان معنا سيوفا عدة مصقولة حادة [١] . و كانت الفرنج اطمأنوا [٢] لهم لخلوهم من السلاح ، فعدوا إليهم فى قارب ، و صعدوا و صاروا معهم فى مركبهم . فأخرج رائس المركب لهم [٣] سيفا صقيلا [٣] ، حسن الضرب و الصنعة ، و قال : عندنا مثله عدة أسياف . فأخذ أحدهم السيف من الرائس يقلبه ، فانتدبه ليختبره . فضرب به سريعا رقبة الرائس ، و هاج فى البقية به ، يقتل هذا و يجرح هذا ، و هجمت الأربعة الباقية بخناجرهم يضربونهم بها [٤] ، فصاحوا : الأمان الأمان ! فقالوا لهم : كتفوا بعضكم بعضا و إلا ذقتم بهذه الخناجر نار الغضا ، فالذى هلك منهم رمى فى

---

(١) فى الأصل : حدة .

(٢) فى الأصل : اطمانت .

(٣-٣) فى الأصل : سيف صقيل .

(٤) فى الأصل : بهم .

Marfat.com

البحر ، و الذى نجا[1] صار كل واحد منهم يكتف صاحبه ، و هم قد صاروا تحت الذلة و القهر ، و تخلص[2] المسلمون الأربعة من الأسر ، فأرسلوهم فى القارب للساحل ، و سارت الخمسة بالمركب ، يبيعون قمحها بالسواحل . فصاروا كلما أرسوا بمينة من سواحل المسلمين يخبرون[3] أهلها بخبرهم ، فيقولون : ما نشترى إلا و معه اللحم ، فيعلقون لهم علجا من الأسارى فى بكرة بخشبة ممتدة خارج مقدم المركب . فتختطفه سيوف المسلمين بسرعة ، و حينئذ يشترون منهم ما يحتاجون إلى أن أتوا مينة طرابلس الغرب ، و قد بقى معهم أربعة من العلوج الأسارى ، فاشترى منهم شيخها أبو العباس أحمد بن مكى المركب بما بقى فيه من القمح بألف و خمسمائة دينار ، و أطعموا أهل طرابلس / لحم الأربعة ١٠ ١٢٩ /ب علوج الباقية ، فاختطفتهم سيوفهم و أحرقوهم بالنار . ثم إن الخمسة اقتسموا ما حصل لهم من المال بالسوية ، و وجدوا مركبا موسوقا من طرابلس طالبا الإسكندرية ، فاجتمع رأيهم على أن يصرفوا ذلك المال الحلال فى الحج إلى بيت الله الحرام ، و زيارة قبر النبى صلى الله عليه و سلم ، فيكونوا قد جاهدوا فى سبيل الله تعالى ، و حجوا إلى بيت الله ١٥ و زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سنة واحدة بعون الله . فأهل الإيمان تحصل لهم السعادة فى الدنيا و الآخرة ، و أهل الكفر

(١) فى الأصل : نجوا .
(٢) فى الأصل : و تخلصت .
(٣) فى الأصل : يخبروا .

يعذبون فى الآخرة بنار الساهرة - قال بعضهم هذه الأبيات :

و لن يجمع الله أهل الجحود ، و من قد أقر بايمانه
فهذا ينجيه إيمانه ، و هذا يبوء بخسرانه
و هذا ينعم فى جنة ، و ذلك فى قعر نيرانه

٥ [تاريخ دخول السلطان الأشرف شعبان الإسكندرية - [1]]

ذكر تاريخ دخول السلطان الملك الأشرف شعبان [2] الإسكندرية و صفة دخوله فيها ، و غير ذلك من الواردات المستطردات بالترتيب

و فى يوم الجمعة الرابع من جمادى الأولى سنة سبعين و سبعمائة [3] دخل السلطان الملك الأشرف شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ثغر الإسكندرية المحروس . و كان دخوله من باب رشيد فى ضحى نهار اليوم المذكور ، بعد أن تقدمته البيازرة [4] بالبزاة و الصقور و الشواهين و العقبان ، يقدمها باز أشهب يساوى بدرة ذهب ، يعقبها كلاب الصيد ، عليها أجلة الحرير المطرزة بطرز الذهب ، يتبعها الفهود التى أعينها كنار الوقود - و الفهود جمع فهد ، و يقال للفهد سبع الأيل ،

(١) العنوان مشتق من مطلع الفصل بالنص .
(٢) من المماليك البحرية و حكمه ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م ؛ انظر الفهارس .
(٣) يقابل هذا التاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٣٦٨ م .
(٤) أى حاملو البازى ، و فى الأصل : البزاورة .

و هو فوق الغلظ من الكلب، مروّق بسواد و بياض و حمرة، و ذنبه كذلك، و وجهه مستدير كاستدارة وجه الأسد، و الفهد كثير النوم، تضرب به العرب المثل فى النوم، تقول «أنوم من فهد» أو كما قال شاعرهم:

ليس بنوّام كنوم الفهد ولا بأكال كاكل العبد ٥

/ و قيل: إن الفهد إذا غلبه صيده و لم يقدر على اصطياده، يغتاظ غيظا ١٣٠/الف
شديدا، فينشد له هذا البيت، فيسكن غيظه، و هو هذا:

ما قصّر الفهد فيما عدا إن لم يصد اليوم صاد غدا

مطلب

[فى حكم البهائم و الوحوش -[1]]

و قيل: إن الفهد إذا سمن و ثقل عن الجرى، دخل جحره، أقام به أياما، لا يأكل و لا يشرب. فاذا علم من نفسه الخفة فى بدنه، و هزل عما كان، خرج إذا و اصطاد لنفسه ما يسد به جوعه عن تلك الأيام التى لم يأكل فيها شيئا. و قد أشار إلى ذلك القدسى فى كتابه «كشف الأسرار، عن حكم الوحوش و الطيور و الأزهار. ثم تبع الفهود أيضا النمور، قيل: إن النمر إذا جرح إنسانا، إن لم يعلق ذلك الإنسان بين السماء و الأرض إلى أن يبرأ جرحه[2] هلك، و سبب هلاكه أن الفأر يأتى إليه يشم جرحه، فاذا شمه بال عليه، و ببوله ذلك يهلك

(١) بهامش المخطوط «مطلب» و بقية العنوان مقتبس من النص.
(٢) زيد فى الأصل: «و إلا».

سريعا . و اسم النمر السبنتا[1] ، و الأنثى سبنتاة .

و أعلم أنه لا أحد[2] من الخلق إلا و فيه خلق من البهائم . و لهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة . قال الله تعالى[3] : " و ما من دابة فى الارض و لا طئر يطير بجناحيه الا امم امثالكم " ، فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا و بين سائر البهائم . فاذا رأيت الإنسان خارجا عن الاعتدال ، فأبصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوانات ، فألحقه به و عامله بما كنت تعامله ، فحينئذ تستريح من منازعتهم ، و يستريحون منك ، و تدوم الصحبة .

فاذا رأيت الرجل الجاهل و خلائقه الغليظة فى طباعه ، القوى فى بدنه ، الذى لا يؤمن طغيانه و إفراطه ، فألحقه بعالم النمورة . و العرب تقول « أجهل من نمر » . و أنت إذا رأيت النمر ، بعدت عنه فلم تخاصمه و لا تشاتمه ، فاسلك بالرجل كذلك . و إذا رأيت الرجل الغالب على أخلاقه السرقة خفية ، و النقب ليلا على وجه الاستسرار ، فألحقه بعالم الفأر إذا أفسد رحلك ثم اختار ذلك بما يصلح له . و إذا رأيت الرجل / هجاما على أعراض الناس و سبهم ، فقد ماثل عالم الكلاب ، فان ١٢/ب دأب الكلاب الأذية لمن لا يؤذيها ، فعامله بما كنت تعامل الكلاب إذا نبح عليك أحدها[4] . ألست تذهب فى شأنك و تتركه و لا تخاصمه

(١) كذا فى الأصل ، و لفظة « السبندى » معروف انه يعنى بها النمر و جمعها سباند و سباندة . و العبارة بهامش المخطوط .
(٢) فى الأصل : احدا .
(٣) قرآن كريم سورة ٦ آية ٣٨ .
(٤) فى الأصل : احدهم .

Marfat.com

و لا تسبه ! و افعل بمن يهتضم عرضك بمثل ذلك . و إذا رأيت إنسانا قد جبل على الخلاف ، إن قلت : لا ، قال : نعم ، و إن قلت : نعم ، قال : لا ، فألحقه بعالم الحمير ، فان الحمار إذا أدنيته بعد ، و إذا أبعدته قرب ، و أنت تستمتع بركوب الحمار و لا تسبه و لا تفارقه ، و استمتع أيضا بهذا الإنسان و لا تسبه و لا تفارقه . و إذا رأيت رجلا يطلب عثرات الناس و سقطاتهم ، فمثله كمثل الذباب ، فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ، و يطلب الموضع المتعكر منه و ذوات القيح و الدم و النجاسة . و إذا رأيت السلطان يهجم على الأموال و الأرواح فالحقه بعالم الأسود ، و خذ حذرك منه ، كما تأخذ حذرك من الأسد ، و ليس إلا الهرب منه ، كما قال النابغة حيث قال :

و لا قرار على زأر من الأسد

و إذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان و المفاجرة ، فألحقه بعالم الثعالب . و إذا بليت بمن يمشى بالنمائم ، و يفرق بين الأحبة و الجماعة ، فشا بينهم الضربان فتفرقوا ، و خاصة هذه الدويبة التى تسمى الضربان[1] ، إذا جعلت بين جماعة ، لم يلبثوا أن يتفرقوا ، و كما أن الجماعة إذا أقبلت نحوهم طردوها و منعوها الدخول بينهم ، كذلك ينبغى إخراج النمام من الجماعة ، فان لم يفعلوا يوشك أن يفرق بينهم ، و يفسد قلوب بعضهم على بعض .

(١) ورد فى دوزى (Porc-epic) بمعنى « القنفذ » ذى الشوك الذى يمتنع على الحاضرين القبض عليه فيرحلوا عنه .

Marfat.com

و إذا رأيت إنسانا لا يستمع العلم و الحكمة ، و ينفر من مجالس العلماء و الحكماء ، و يألف أخبار الدنيا و سائر الخرافات ، و ما يجرى بمجالس العوام ، فألحقه بعالم[1] الخنافس ، فأنه يعجبه أكل العذرات[2] . و يألف روائح النجاسات ، فلا تراه إلا ملابس الأخلية و المراحيض و الكنف ، و ينفر من روائح المسك و الورد ، و إذا طرح عليه المسك و الورد مات .

١٢/الف و إذا رأيت إنسانا / عليه الديانة و السكينة ، فقد نصب أشراكه لاقتناص الدنيا ، و لأكل أموال اليتامى ، و الودائع و الأمانات ، فألحقه بعالم الذئاب ، كما قال فيه القائل حيث قال :

ذئب تراه مصليا فاذا خلوت به ركع
يدعو و جل دعائه ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلى إن الفؤاد قد انصدع

فاحترز منه كما تحترز من الذئب . و إذا بليت بصحبة كذاب ، فاعلم أن الكذاب كالميت فى الحكم ، لأنه لا يقبل له خبر ، كما لا خبر للميت ، و كما لا تصحب الموتى[3] لا تصحب الكذاب . قال الشاعر :

لى حيلة فيمن ينم و ليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه قليله[4]

---

(١) فى الأصل : بمجالس .
(٢) الفائض من ارذأ الطعام أو الغائط .
(٣) زيد فى الأصل : كما .
(٤) فى الأصل : طويلة .

Marfat.com

و يجوز أن يلحق الكذاب بعالم النعام ، فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ، و يدع بيضة واحدة على وجه الأرض ، فاذا رآها الغرّ ياخذ تلك البيضة و ينصرف ، و لا يكشف عن وجه الأرض . فيظن أنه ليس ثم شيء آخر ، و الخبير بحيلة النعام إذا رأى البيضة ، لا يزال يحفر حتى يجد البيض جميعه ، فيأخذه و لا يغتر بتلك البيضة . كذلك الكذاب إذا سمعت منه خبرا فلا تصدقه حتى تبلغ الغاية فى الكشف عنه .

و إذا رأيت الرجل إنما دأبه أن يصنع نفسه كما تتصنع العروس لبعلها ، يبيض ثيابه ، و يعدل عمامته ، و يتقى أن يمسه شيء غيره ، فينظر فى عطفيه ، و يطرح القذى عن ثوبه ، ليس له همة بين الجلساء إلا نظره إلى نفسه ، و إصلاح ما انتضى من ثيابه ، فألحقه بعالم الطواويس الذى هو صفتها[1] ، كأنه يتبختر فى مشيته ، و ينظر الى نفسه ، و يفرش ذنبه ، فيتخذه الملوك استحسانا .

و إذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ، و يؤذى[2] بعد بُعد المدة على السقطات فألحقه بعالم الجمال . و العرب تقول « أحقد من جمل » فتجنب قرب الجمل الحقود و اجتنب صحبة هذا الرجل .

و إذا بليت بانسان منافق ، ينطق بخلاف ما يبطنه[3] ، فألحقه بعالم

(١) فى الأصل : صفتهم .
(٢) فى النص : و ياذى . ـ و صححته بالهامش .
(٣) فى الأصل : يظهره .

Marfat.com

اليرابيع ، لأن اليربوع يكون فى البريـــة يتخذ جحرا تحت الأرض ، يقال له النافقاء[1] ، و له / فوهتان ، فاذا حُفر خلفه لا يظفر بشىء . كذلك ١٢/ب
المنافق لا يصح منه شىء ، فعلى هذا النمط تؤثر صحبة الناس و تبعد عنهم و تريحهم منك - انتهى .

٥ [كلاب الصيد و الجوارح المعلمة -[2]]

فلنذكر الآن ما قيل فى كلاب الصيد و الجوارح المعلمة إن شاء الله تعالى - اعلم أن الكلاب المعلمة كل شىء صادتـه كان حلالا إذا ذكر اسم الله تعالى عليه عنـــد إطلاقها على الصيد . قال الله تعالى[3] : " فكلوا مما امسكن عليكم و اذكروا اسم الله عليه " .

١٠ قال بعض الصالحين : رأيت فى المنام كأنى فى الملكوت الأعلى تحت العرش ، و فيه خلق كثير ، فأرسل كلب فى أرض على صيد هناك ، فاخذ الصيد ، و تقدم رجل فأخـــذ الصيد من الكلب و قال : أجمع علماء الأمة على إباحة هذا الصيد و أنه حلال ، و إنما ذلك لإمساكه على سيده . و كلاب الصيد المعلمة هى التى إذا زجرت انزجرت ، و إذا أرسلت عـــلى الصيد ١٥ أطاعت .

و كذلك الطيور[4] الجوارح المعلمة ، فانهـا على الاصطياد مصممة ،

---

(١) فى الأصل : النافقان .
(٢) العنوان مشتق من النص و لا وجود له بالهامش .
(٣) قرآن كريم سورة ٥ آية ٤ .
(٤) فى الأصل : طيور . بسقوط أداة التعريف .

فاذا

Marfat.com

فاذا أرسلها من يحل ذكاته ، فقتلت الصيد ، حل أكله . و ذكاة الصيد الممتنع بالرمى حيث أصاب من بدنه فعقره ، و قد صح عن النبى صلى الله عليه و سلم من حديث عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا أرسلت كلبك ، فاذكر اسم الله ، قال : فان أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه ، و إن أدركته قد قتل و لم يا كل منه فكله ، و إن وجدت مع كلبك غيره و قد قتل فلا تأكل ، فانك لا تدرى أيهما قتله ، فان رميت بسهمك فاذكر اسم الله ، فان غاب عنك يوما و لم تجد إلا أثر سهمك ، فكل إن شئت ، و إن وجدته غريقا فى الماء فلا تأكل .

و اعلم أن كلب الصيد يسعى فى نفع غيره بعد تعبه . كذلك حال أرباب الدنيا ، يسعى أحدهم فى طلبها من حلال و حرام ، يشقى بها و يجتهد لمن يسعد بها . قال الشاعر :

اياك أن تجتهد فى مطلب يحظى به الغير و تشقى به
كالكلب اذ يبذل مجهوده فى الجرى و الصيد لاصحابه

/ وكذلك القصار يجتهد فى تسويد وجهه بلفح الشمس فيه ، ليبيض أثواب ١٣٢/الف غيره . قال الشاعر :

أحمّل نفسى كل يوم و ليلة
هموما على من لا أفوز بخيره
كما سود القصار فى الشمس وجهه
ليجهد فى تبييض أثواب غيره

[حبالة صيد الوحش ـ ١]

فلنذكر الآن ما قيل فى صفة حبالة صيد الوحش إن شاء الله تعالى ـ صفة الحبالة أن تعمد لحبل من شعر بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد فى طرفه حلقة يجرى عليها الحبل ، و يربط فى الطرف الآخر خشبة ، و ربما حددوا أطرافها ، ثم يأتون إلى الطريق الذى يدخل منه الصيد إلى الماء يبتغى الشرب ، فيحتفرون به حفيرة [٢] و شبهها [٢] و يغطون طرفها ، و يفتحون عليها عين الحبل و هى الحلقة ، ثم يغطونها بالتراب و الزبل حتى تصير فى طبع الأرض . فاذا أقبل الصيد من الوحش للماء ، فوضع يده أو رجله على الحفرة سقط به ، و انضم على يده الحبل ، فيثب فازعا و يفر ، فتتبعه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه الخشبة ، فضربته فى يديه و رجليه و ظهره و بطنه ، فتوهى أضلاعه ، و ربما كسرت يديه و رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف قبالةً الصائد فياخذه . و أنواع الحبالة كثير كالفخ للعصفور و الشرك لغيره .

و أما الكلب العقور ، فاختلف فيه على قولين . فالمشهور أنه كل عاد من السباع كالأسد و النمر و الفهد و الضبع و غيرها ، كما فى الحديث أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى عتبة بن أبى لهب : اللهم ! سلط عليه كلبا من كلابك . فعدا عليه الأسد ، قتله . الشاذ أنه الكلب الإنسى .

فلنذكر الآن سبب قتل الأسد لعتبة بن أبى لهب ، و كيفية قتله له إن شاء الله تعالى - و ذلك أن عتبة قال : كفرت برب النجم ، فقال النبى

---

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .
(٢-٢) أخرها فى الأصل عن « طرفها » .

Marfat.com

صلى الله عليه و سلم : أما تخاف أن يأكلك كلب الله ! فخرج عتبة فى تجارة إلى اليمن فى رفقة . فبينما هم قد عرسوا إذ سمعوا صوت الأسد ، فقال لأصحابه : إنى مأكول ! فأحدقوا به ، فضرب على آذانهم فناموا ، / فجاء ١٣٤/ الأسد حتى أخذه ، فما سمعوا إلا صوته . و فى خبر آخر : إن عتبة بن أبى لهب قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم : كفرت بالذى دنا فتدلى ـ ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم ! سلط عليه كلبا من كلابك . و كان أبو طالب عم النبى صلى الله عليه و سلم حاضرا فوجم لها و قال : ما كان أغناك عن دعوة ابن أخى ! فرجع إلى أبيه أبى لهب فأخبره بذلك . و خرج إلى الشام ، فنزلوا منزلا أشرف عليهم راهب من الدير و قال لهم : إن هذه أرض مسبعة ! فقال أبو لهب : يا معشر قريش ! أغيثونا هذه الليلة ، إنى أخاف على ولدى عتبة من دعوة محمد . فجمعوا أحمالهم ، و فرشوا لعتبة فى أعلاها ، و ناموا حوله . فجاء الأسد فتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب و ضرب عتبة بيده ضربة واحدة ، فقال عتبة : قتلنى ! و مات مكانه .

و قيل : إن الأسد يقول فى صياحه : يا من خضعت له الصخور ! سلطنى على من عصاك فى الظلمات و النور . و احتج [به] على أن المراد بالكلب العقور هو الأسد و ما فى معناه .

[الضباع - ١]

و الضباع جمع ضبع ، و هو نوع من سباع الأرض ، عظيم

---

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

Marfat.com

البطن ، و يضرب بحمقه المثل ، فيقال « أحمق من ضبع » و « أحمق من أم عامر » و هى كنية الضبعة . و من حمقها أن صائد الضبعة يدخل وجارها فيقول : « خامرى أم عامر » و معناه : الجأى[1] أقصّى مغارك و استترى ، فتنقبض . فيقول لها : أم عامر ! أبشرى بكمر الرجال ! أبشرى أم عامر بشاة هزلى و جراد عضلى ! فتمد يديها[2] و رجليها ، فيوثقها و يشد عراقيبها بالحبال فلا تتحرك ، و لو شاءت تقتله لأمكنها ذلك ، و لا يدخل عليها إلا عريانا ، و إن دخل بثوب قتلته . ثم يخرج لأصحابه بأطراف الأحبال و هم على الوجار بأسلحتهم - و الوجار : الغار - فيخرجونها بالجر من قعر الوجار فيقتلونها . و من حمق الضبعة أنها / ١/الف تترك وجارها إذا خرجت تلتمس ما تأكل ، فتجد جراء ضبعة أخرى قد خرجت أيضا كذلك و تركت جراءها ، فترضع أولاد غيرها و تترك أولادها ، فربما ضاعت فأكل الذئب أولادها . فقال الشاعر فيها حيث قال :

كمرضعة أولاد أخرى و ضيعت بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

و قال أبو زيد : الضباع لا تفترس شيئا ، إنما تأكل الجيف ، و تنبش القبور على الموتى ، و ربما اجتمعت الجماعة منها على الحمار فأكلته ، و ليس لها بالنهار كبير عمل . قال الهذلى حيث قال :

---

(١) فى الأصل : الجئى .

(٢) فى الأصل : أيديها .

Marfat.com

تبيت الليل لا يخفى عليها حمار حيث جر و لا قتيل

و يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالأسود و بالضباع ، فيقال : إن الضباع المحتقرة عند الأسود تتناول الأسود بالضرر ، وكذلك الزمان يرفع الحقير و الهجين ، و يكثر رزقه ، و يضيع الرفيع ، و يغير عليه ، و يملك العبيد و الأراذل ، قال الشاعر الملسان حيث قال :

هانت الدنيا على اللـــه فأعطاهـا اللئـــاما
فهم فيها يعيشو ن و يلحون الكراما

و قيل : إن قوما تبعوا ضبعة ليقتلوها ، فدخلت بيت شعر لبعض الأعراب ، فقال للقوم : يا وجوه العرب ! إن هذه الضبعة قد استجارت بى ، فاتركوها لأجلى . و كان بالبيت ولد له صغير ، فتركوهـا لأجله و انصرفوا . فلما دخل الأعرابى البيت وجدها قد افترست ولده و قتلته ، فأنشأ يقول حيث قال :

فعلنا جميلا قابلتنـا بضده و هذا فعال الخائنات العواهر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

[الضب -[1]]

فلنذكر ما قيل فى الضب إن شاء الله تعالى ـ الضب / شبه الحرذون[2] ١٣٣/ب

(١) ليس بالهامش ، والعنوان من النص ، والضب حيوان من نوع الزحافات ، ذنبه كثير العقد .
(٢) فى الأصل : الجردون ـ كذا .

Marfat.com

و هو حرذون[1] الصحراء . و إذا فارق جحره لم يهتد إليه ، فيجعل حجرا واقفا عند جحره ليهتدى به . فاذا أزاله الصائد تحير ، فجاء فأخذه ، و ربما قتله بذلك الحجر . قال الشاعر هذه الأبيات :

و إن الضب ذو دهى و مكر كما اليربوع و الذئب اللعين
يرى مرداته من رأس ميل و يأمن سيل بارقة هتون
و يدخل عقربا[2] تحت الرمال[3] رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لأن من رآه صاح عليه ، و مرداته : جحره ، و العقرب يعده الضب للصائد إن أدخل يده فى جحره ، فأخذ بيده لسعة العقرب ، و ربما أكل الضب العقارب ، و ترك واحدا منها فى باب جحره للصائد كما قال الشاعر :

و أخدع من ضب إذا جاء حارس أعد له عند الذبابة عقربا

و الضب لا يتزود فى المفازة . و يقال « أخدع من ضب » و ذلك أنه يطمع الصائد فى نفسه ، فاذا أتاه الصائد ، دخل جحره ، و يقال « أعق من ضب » و ذلك أنه يأكل أولاده . و تزعم العرب أنه لا يشرب الماء و إذا أخذه العطش ، صعد ربوة و استقبل الريح . و إنه طويل العمر ، و يقولون « أحيى من ضب » يريدون أن حياته لا تكاد تنقضى ، و إنه لا يسقط له سن ، و إنه أطول الدواب دما ، و إذا ذبح يبقى زمانا و حينئذ

---

(١) فى الأصل : جردون ـ كذا .
(٢) فى الأصل : عقرما . و صححته من السياق فيما بعد .
(٣) فى الأصل : الرمانا .

Marfat.com

يموت . و إن له ذكرين ، و لأنثاه فرجين ، و قد شهد الضب و الظبي و الجذع و الذئب برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم . قال السراج عبد اللطيف التكريتي في جمع ذلك في بيت واحد من قصيدة له :

و الضب و الظبي إيمانا به شهدا و الجذع حن و نطق الذئب معقول

[عود للضواري الجوارح -] (١)

نعود إلى ما قيل في الضواري و الجوارح / إن شاء الله تعالى - قيل ١٣٤ / ا
إن أول من لعب بالعقبان أهل المغرب . فلما نظرت الروم إلى شدة إشرافها ، و إفراط سلاحها قال حكماؤهم : هذه التي لا يقوم خيرها بشرها . و ذكر أن قيصر أهدى إلى كسرى عقابا ، و كتب إليه يعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها كسرى ، فأرسلت على غزال عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، و انصرف مسرورا . و جوّعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي له فقتلته ، فقال كسرى : وقرنا قيصر في أولادنا بغير جيش . ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر نمرا ، و كتب إليه أنه يقتل الغزلان و أمثالها من الوحش ، فأعجب قيصر حسن النمر ، و وافق صفته ما وصف من الفهد ، و غفل عنه فافترس بعض فتيانه ، فقال : صادنا كسرى ، فان كنا صدناه فلا بأس .

و قد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري و أنواع الجوارح من

---

(١) العنوان من سياق النص ، و ليس بالهامش - انظر ما قبل .

Marfat.com

الفرس و الترك و الروم و الهند و العرب : إن الباز إذا كان إلى البياض فى اللون أنه أسرع البزاة و أحسنها و أنبلها أجساما ، و أجرؤها قلوبا ، و أشهلها[1] رياضة ، و إنها أقوى جميع البزاة على العلو فى الجو ، و أبعدها غاية فى الهواء ، لما فيها من حرق[2] الحرارة ، و خيرها الغالب فيها مما ليس فى غيرها من أنواع البزاة ، و إن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها . و من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى بلاد أرمينية و أرض الخزرج و جرجان و ما والاها من بلاد الترك .

و حدث هاشم بن جريج قال : خرج قسطنطين ملك عمورية يتصيد بالبزاة حتى انتهى إلى خليج بنطس[3] الجارى إلى بحر الروم ، فعبر إلى مرج الخليج و البحر فسيح ، فنظر إلى شاهين يتكفأ على طير الماء ، فأعجبه ذلك مما رأى / من سرعته و ضراوته و حيلته على صيده ، فأمر باصطياده ١٢/ب و ضرّاه[4] . و كان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ، و نظر إلى ذلك المرج طويل البساط مفروشا بألوان الزهر ، فقال : هذا موضع حصين بين نهر و بحر و له سعة و امتداد يصلح أن يكون فيه مدينة ، فبنى فيه القسطنطينية - و قد تقدم فى هذا الكتاب خبر قسطنطين و أمه هيلانى و بنيانها

(١) كذا فى الأصل ، و لعله : أسهلها .
(٢) فى الأصل « حزق » .
(٣) فى الأصل كذلك ، وأغلب الظن صحته Pontus .
(٤) ضراه تضرية أى علمه و دربه .

و بنيانها الكنائس بمصر و الشام و غير ذلك .

[مطلب فى العنقاء - ١]

فلنذكر الآن ما قيل فى العنقاء إن شاء الله تعالى - العنقاء التى يضرب بها المثل يقال : عنقاء مغرب ، و تزعم العوام أنها كانت طائرا عظيما اختطفت جارية أو صبيا، فدعا عليها حنظلة بن صفوان ، و هو نبى أهل الرس ، فغابت إلى اليوم - و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر أهل الرس إن شاء الله تعالى .

روى عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الله خلق طائرا فى الزمن الأول من أحسن الطير ، و جعل فيه من كل جنس قسطا ، و خلق وجهه على مثال الناس ، وكان فى أجنحته كل لون جنس من الريش ، و خلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، و خلق الله له [يدين فيهما[2] مخاليب[1] ، و له منقار على صفة منقار العقاب ، غليظ الأصل ، و خلق الله له -[3]] أنثى على مثاله و سماها العنقاء ، و أوحى إلى موسى بن عمران أنى خلقت طائرا عجيبا ، خلقته ذكرا و أنثى ، و جعلت رزقه فى وحوش بيت المقدس ، و أنستك

(١) العنوان وارد بالهامش .

(٢) فى الأصل : فيها .

(٣) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت فى الهامش بقلم المراجع .

بها ليكونا [1]مما فضلت[1] به بنى إسرائيل ، فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما ، و أدخل الله موسى و بنى إسرائيل فى التيه ، فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى و هارون فى التيه مع من كان مع موسى من بنى إسرائيل ، و كانوا ستمائة ألف ، و خلفهم نسلهم فى التيه .

/الف ٥ ثم أخرجهم الله من التيه مع يوشع/ بن نون تلميذ موسى و وصيه . فانتقل ذلك الطائر ، فوقع بنجد و الحجاز فى بلاد قيس عيلان[2] ، فلم يزل هنالك يأكل من الوحوش ، و يأكل الصبيان و غير ذلك من البهائم إلى أن ظهر من بنى عبس بين عيسى و محمد صلى الله عليهما و سلم نبى يقال له خالد[3] بن سنان ، فشكا إليه الناس ما كان العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا الله تعالى عليها أن يقطع نسلها ، فقطع الله نسلها ، فبقيت صورتها تحكى فى البسط و على أبواب الحمامات . و قد ذهب جماعة من ذوى الدراية أن قول الناس : عنقاء مغرب ، فى أمثالهم إنما هو الأمر المعجب النادر[4] وقوعه ، و قولهم : جاء فلان بعنقاء مغرب ، يريدون به أنه جاء بأمر عجيب ، و قال الشاعر :

و صحبهم بالجيش عنقاء مغرب

و قال ابن الهبارية[5] فى كتابه الصادح و الباغم ، و الناسك و الفاتك ،

(١-١) زيد هنا : ممن فضلت .

(٢) فى الأصل : غيلان .

(٣) فى الأصل : حنظلة ، و التصحيح من كتاب حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٤) زيد فى الأصل « و » .

(٥) فى الأصل : ابن الهبازية ، و التصحيح من كشف الظنون .

و الحازم و الغارم ، على لسان حال العنقاء حيث قال :

فارتفع العنقاء فوق دُلُبه و هو أمير الطير يبغى الخطبه
فقال حمد الله خير نطق و شكره فرض و كيد الحق
الحمد لله على ما خصنى به من الخلق البديع الحسن
أفردنى من لطفه و حكمته بصورة شاهدة بقدرته
حتى لقد كذب بى الطغام و شك فى وجودى الإمام

[مطلب فى فن الأدب - ١]

فلنذكر الآن ما قاله فى الأدب على لسان الطائر و الغزال إن شاء الله تعالى ، حيث قال :

فاجتزت فى طريق بزهر أنيق
و روضة أريضه طويلة عريضه
طيورها صوادح ظباؤها سوانح
و طائر فى شجره ليس بمس الثمره
كأنه مفكر أو واله محير
أو عاشق أو ثاكل أو أبله أو غافل
لأنه مشغول و عقله معقول
ينظر فى الآفاق تلفّت المشتاق

(١) العنوان من هامش الصفحة . و نص العبارات الأدبية فى المخطوط مرسل ، وننشرها هنا على نمط الزجل الشعرى ، لا سيما و أن الوزن فيها محفوظ عليه و يمكن اعتبار ذلك من أمثلة أدب ذلك العصر .

Marfat.com

فأقبلت غزاله في حسنها مختاله
١/ب / فربضت قريبا و انتصبت خطيبا
تقول ليس الماجد إلا القنوع الزاهد
فما أعزّ من قنع و ما أذلّ من طمع
٥ ما للورى في غفله قد خدعوا بالمهله
تزوّدوا للرحله و شمروا للنقله
ألا لبيب يعقل ألا جهول يسأل
أ أنتم في ريبه ما أعظم المصيبه
دنياكم حبيبه في حسنها و الطيبه
١٠ لكنها غداره خدّاعة مكاره
ليس لها حبيب ء زوالها قريب
كالموس البغى تلبس كل زى
ملولة خوّانه ليس لها أمانه
تحوّل الأحوالا تكدّر الآمالا
١٥ تفرق الأحبابا تشتّت الأترابا
تسترجع المواهبا تكدر المشاربا
حرب لمن سالمها تمل من لازمها
عزيزها ذليل كثيرها قليل
صحيحها عليل جوادها بخيل
٢٠ لقاؤها فراق و عرسها طلاق

و وصلها

Marfat.com

و وصلها صدود و وعدها و عيد
ملوكها عبيد رغيبها زهيد
وصالها عناء صدودها بلاء
سليمها سليم شيطانها رجيم
شرابها سراب نعيمها عذاب
إن أقبلت ففتنه أو أدبرت فمحنه
أخلاقها مذمومه لذاتها مسمومه
يحظى بها الجهال و ينعم الأنذال
يشقى بها اللبيب و يتعب الأديب
ما التوقى البارد الموت[1] شيء واحد
اتفقت شعابه و اختلفت أسبابه
لا موت إلا بأجل ليس يرد بالحيل
فانهض إلى المعالى و اجسر و لا تبالى
و خذ من الزمان حظا فأنت فانى
لا بد من موت فلم ترض[1] بحور مهتضم
من عشق المعاليا لم يخف الياليا
الهمم العليه و المهج الأبيه

(١) فى الأصل : الموات .
(٢) فى الأصل : فلم ترضى .

Marfat.com

تقرب المنيه منك والأمنيه
و ربما نال الفتى أضعاف ما كانْ[1] رجا
احرك فان الحركه كما يقال بركه
و ليس كل سمكه تصبح رهن الشبكه
فباشر الحتوفا و صافح السيوفا
و اخرق الصفوفا تكن به معروفا
لولا خطار عنتر بنفسه لم يذكر
المجد بالمخاطره النصر بالمصابره
من خشى العواقبا و شاور التجاربا
لم يبلغ المراتبا و يحز[2] المناصبا
لا خير فى التجارب و الذكر فى العواقب
فليس بالقياس تجرى أمور الناس
/ ينعم زيد بالذى بمثله عمرو أذى
لو كان كل تاجر يربح فى المتاجر
لاتّجر الناس معا و خاب كل من سعى
ما ضاع قط أحد ولم يكن يجتهد
أو كان كل من ركب و سار فى البحر عطب

(١) كذا فى الأصل ، و النون فى « كان » تقرأ بالسكون بحكم وزن الشعر .
(٢) فى الأصل : يحوز .

Marfat.com

لم يركب البحر أحد ولا له يوما قصد
أو سلموا جميعا ولم يروا فظيعا
لازدحموا عليه وبادروا إليه
قل لى فأىّ تجربه تصح مع ذى الغلبه
لا خير فى الأولاد والأهل والسفاد
همّ وغمّ وأذى وحسرات كالجذا[1]
وليس فيهم فائده إلا ظنون فاسده
وترّهات بارده وحسرات زائده
مجبنة ومبخله مخذلة ومقتله
لولا هم ما ذلا ذو أدب وقلّا
الثكل عندى أحلى منهم نخلّ[2] العذلا
إن النساء غلّ بالجهد لا يحل
فاهرب من النساء فالقبح فى الحسناء
إن الجماع مضعف للجسم لا بل متلف
هل من لبيب منصف أبثه ما أعرف
المرء دنيا نفسه فى يومه وأمه
يسعى لبعل عرسه وفرجه وضرسه
لا تخضبن الشيبا كفى بذاك عيبا
هبنى لشيبى أخفى فكيف أخفى ضعفى

(١) فى الأصل : كالحدا ، و الجذى جمع جذوة : الجمرة المتلهبة .
(٢) فى الأصل : نخلى .

Marfat.com

لا عيش[1] للفقير مع علمه الغزير
فانه حقير و قدره صغير
من أخبث الأعمال عداوة الرجال
من سفه الأحلام مودة اللئام
من نكد الأيام شقاوة الكرام
من محن الليالى تقدم الجهال
كم من عدو نفعا كم من صديق لسعا
فى الناس من لا يصلحه إلا عقاب يجرحه
و فيهم لبيب يصلحه التأنيب
و منهم يرضيه معيشة تكفيه
كالكلب حين ينبح بكسرة ينصلح
و منهم من يبطره إكرامه و يسكره
كرامة اللئيم إهانة الكريم
مفسدة عظيمه ما مثلها جريمه
ما كلهم ينادم ما كلهم يسالم
ما كلهم يصان ما كلهم يهان
فلا تقس أحوالهم قط و لا أفعالهم
فانهم أطوار ليس لهم عيار
لكل صيد شبكه ما كل صيد سمكه
كم درة من صدفه كم تمرة من سعفه
كم ساهر لراقد كم راغب[2] فى زاهد

(١) فى الأصل : لا عيس . (٢) فى الأصل : راهب .

فكثرة

/ فكثرة البطاله ضراوة قتاله ١٣٦/ب
احقن دماء الناس فالقتل طبع القاسى
و هو عظيم الإثم ما مثله من جرم
و من كلام العاقل يقتل كل قاتل
و ليس هذا صدقا و لا أراه حقا ٥
كان بمصر بدر له عليها الأمر
يقتل كل ساعه من أهلها جماعه
و يشرب الدماء حتى تخال ماء
أصلحها بسيفه و جوره و حيفه
جزاء كل فعل لديه سوء القتل ١٠
لما عصاه ولده و بان منه نكده
خنقه بيده ثم رمى بجسده
فغضب المستنصر و قال هذا منكر
فقال لو عصانى قلبى فى جثمانى
نزعته من صدرى[1] و لم يكن بنكر[2] ١٥
ثم غزا لواته إذ ظنهم حماته
فحين قيد الأسرى قال اقتلوهم صبرا
عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان

---

(١) فى الأصل : صدر .
(٢) فى الأصل : ينكر .

Marfat.com

فى النيل من دمائهم و لج فى أفنائهـــم
وهو على ظهر الفرس كضيغم إذا افترس
و مات حتف أنفه لم يعتسف بعسفه
و التاج تاج الملك كان قليـل الفتـك
حرا كريم النفس كملك فى القدس
مهـــذب الشمائل مقـدس الخصائـل
موطأ الأكناف ليس بذى اعتساف
ما سل قط سيفا و لا استجاز حيفا
مهـــذب السريره أعدل • وال سيره
لا يعرف القساوه ليست له عـداوه
يفرق فى المنام من شرطة الحجام
برفقه[1] يدين و قتـل المسكين
و أيما قتل قتـل فصل منه ما وصل
ليعـــلم اللبيب أن القضا عجيـب
و أن للقصـاص يوما[2] يسوء العاصى
و أمر هادى الدار للاعـــتبار جارى
أليس له جـزاء لكـنها ابتـــلاء
من تاجر الله ربح من فضح الناس فضح

(١) فى الأصل : برفقة .
(٢) فى الأصل : يوم .

من باشر الحرب جرح من اشترى المدح مدح
لا درع أوقى[1] من أجل لا شيء أبقى من مثل
خير الحياة ما صفا خير الطعام ما كفى
الصبر فى الشدائد من شيم الأماجد
من حرم السعاده فى ساعة الولاده
لم يُجدِه طول الدأب إلا عناء و تعب
شوائل العقارب خير من الأقارب
فدارهم باللطف و خذهم بالعنف
/ إياك أن تطمعهم فيك و أن تشبعهم / ١٣٧ / ا
إنك إن بسطتهم فى المال أو سلطتهم
تبسّطوا عليكا و أصفروا يديكا
و ذكروا الأرحاما و أكثروا الملاما
إن الفقير ممتحن مستقبح منه الحسن
جميعه عيوب و كله ذنوب
و وجهه مقوت و جده مكبوت
إحسانه إساءه علاؤه دناءه
سماحه تبذير تدبيره تدمير
عفته فسوق و بره عقوق
صوابه خطاء صلاته رياء

(١) فى الأصل : اوفا - كذا .

Marfat.com

عطاسه ضـــراط رفعـــته انحطاط
إن قال لم يصدق إن رام لم يوفق
إن زار رُدّ وحجب إن لم يزر قيل غضب
رائحـــه كالأعزل و ريحـــه كالمغزل
أعراســـه مآتم [إحسانه جرائم -[1]]
إن السخاء فطنـه إن النساء فتنـه
خير النساء الحافظه لبعلهـــا الملاحظـه
لبنتهـــا المربيـه لطفلهـــا المقربـه
الحـــرة العفيفـه الجزلة الخصيفـــه
البـــرة الودود الطفـــلة الولـود
و شـرهن العاهرة القحبـة المجاهـره
إن وصلت تدللت أو تركت تظلمت
تقاتـل الأحمـاء تخـاصم النسـاء
لسانـهـا طويـل و خـيرها قـليـل
دائمـة البـــكاء كالحيـــة الرقطاء
بـذية اللسان للبعل والجيران
ربيبـها مضـــاع و شـــرها مشاع
تغضب من غير غضب تضحك من غير عجب
ليس لها أبـوّه طـلاقـهـا مروه
و تركـهـا فتوه

(١) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل : و وردت فى هامشه بخط المراجع.

Marfat.com

فلنقتصر على هذا القدر من باب الأدب من الكتاب المذكور .

[الفيل و الأسد و غير ذلك -[1]]

و لنذكر الآن ما قيل فى الفيل و الأسد ان شاء الله تعالى - قيل :

إن الفيل يعمر كثيرا . ذكر أن محمودا[2] صاحب غزنة[3] و ما والاها من البلاد أصاب فى تصيده فيلا أبيض ، و ذلك بعد الأربعمائة من الهجرة[4] ، فوجد عليه وسما لبعض ملوك الفرس الذى كان قبل الإسلام ، فوسمه محمود هذا و أرسله . و قيل : إن الفيل يعمر بأرض الزنج أربعمائة سنة و أقل من ذلك و أكثر . و حمل إناث الفيلة سبع سنين ، و من عجائب الفيل على عظم جثته أنه يهرب من القطط . / و قد احتال بذلك هارون ١٣٧ / ابن موسى فى حربه ، و كان قد حضر به[5] على عظم جثته بعض ملوك[6] الهند ، و قد قدمت الهند أمامها الفيلة ، فبرز هارون بن موسى أمام الصف ، و قصد العظيم من الفيلة ، و قد خبأ تحت ثوبه هرا ، فلما دنا منه فى حملته من الفيل ، خلى[7] الهر عليه ، فولى الفيل منهزما لما بصر به . فكان فى ذلك هزيمة الجيش ،

---

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢) فى الأصل : محمود .

(٣) هو يمين الدولة محمود الغزنوى و حكمه ٣٨٨ - ٤٢١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٣٠ م .

(٤) يقابلها القرن الحادى عشر الميلادى على وجه التقريب .

(٥) فى الأصل : له .

(٦) فى الأصل : الملوك .

(٧) فى الأصل : خلا .

Marfat.com

و قتل الملك ، و غلبة[1] المسلمين عليه . فقال هارون فى ذلك قصيدة يصف ذلك ، و هى هذه :

أليس عجيبا بأن تلقه له فطن الأنس فى حزم فيل
و أطرف من قشة زوله بحلم يجل عن الخنشليل[2]
و أوقص مختلف خلفه طويل النيوب قصير الصقيل
و يلقى العدو بناب عظيم و جوف رحيب و صوت ضئيل
و أشبه شىء إذا قسته بخنزير بر و جاموس غيل
و شخص يرى أنفه يده فان وصفوه فسيف صقيل
و أقبل كالطود هادى الحسيس بهول شديد أمام الرعيل
فان سمته زاد فى هوله فسعة أذنين فى رأس غول
و قد كنت أعددت[3] هرا له قليل التهيب للزندبيل
فلما أحس به فى العجاج أتانا[4] الاله بفتح جليل
و طار برغم فيا ليته[5] بقلب نحيب و جسم نبيل

فسبحان خالقه وحده إله الأنام و رب الفيول

و الزندبيل هو العظيم من الفيلة و المقدم فيها ، قال بعض الشعراء فى صفة فيل :

---

(١) فى الأصل : و غلبت .
(٢) فى الأصل : الحنشبيل .
(٣) فى الأصل : أعدت .
(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثانى .
(٥) فى الأصل : و طاروا رغم فيا له .

Marfat.com

ذاك الذى مشفره طويـــل وهو من الأفيال زندبيـــل

وأما الأُسد فخضوعها للملوك بسبب تعليمها، ولا يظفر بصيدها إلا ذوو[1] الجرأة والقوة والشدة، وقد لا يقـدر على اصطيادها لقوتها وشجاعتها وافتراسها. ذكروا أن حرملة بن المنذر الطائى، وكان رجلا زوّارا لملوك العرب والعجم، عارفا بسيرهم وأيامهم، وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان[2] رضى الله عنه يدنيه على ذلك ويقربه، / فحضر عنـــد ١٣٨/ عثمان ذات يوم وعنده جماعة من الناس، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها وأيامها، فالتفت عثمان إلى حرملة بن المنذر فقال: أنشدنا بعض شعرك، فقد أنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشد قصيدة يقول فيها هذه الأبيات:

من مبلـغ قومى النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيّق ولع

إلى أن ذكر الأسد فيها فقال:

ضرغامة أشدق الشدقين فى لبد كأنـه برنس[3] فى الغار مـدّرع

شاسى الهبوط دنى الجانبين متى ينسع بواردة يحدث لهـا فزع

فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت! ما أحسبك إلا جبانا، قال: كلا يا أمير المؤمنين! ولـكنى رأيت منه منظرا، وشهدت منـــه مشهدا، لا يبرح ذكره يتجدد فى صدرى، ومعذور أنا، غـير ملوم. قال: وكيف ذلك؟ قال: خرجت فى صبابـة أشراف من أفناء قبائل

---

(١) فى الأصل: ذوى.

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس.

(٣) فى الأصل: برنسا.

Marfat.com

العرب ذوى هيئة و شارة حسنة ، و معنا عتاق الخيل يوم الحارث بن شمر ملك الشام ، فجد بنا السير فى حمارّة القيظ حتى إذا عصبت الأفواه ، و ذبلت الشفاه ، و صرّ الجندب ، و ذاب الصيخد ، قال قائل : أيها الركب ! غوّروا بنا فى ضوج هذا الوادى ، و إذا واد كثير الدغل ، دائم الغلل ، شجراؤه مغنّة ، و أطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات أفنانها ، متهدلات أغصانها ، فأصبنا من فضلات الزاد ، و أتبعناها بالماء البراد ، فانا لنتذاكر حر يومنا و مطاولته و مماطلته إذ صر الفرس منا أذنيه ، و خص الأرض بيديه ، ثم إنه ما لبث أن جال ثم حمحم ، ثم فعل فعله الذى يليه من الخيل واحدا فواحدا ، فتضعضعت الخيل و تقهقرت ، و تكعكعت الإبل ، فمن نافر بشكاله ، و من ناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أتينا و أنه الأسد ، فعمد كل امرئ منا إلى سيفه / فاستله من قرابه ، /ب ثم وقفنا رزدقا ، فأقبل يتطالع ، و لبلاغيمه غطيط ، و لطرفه وميض[1] ، كأنما يخبط هشيما ، و إنما يطأ صريما ، و إذا هامة كالمجن ، و خد كالمسن ، و عينان سجراوان ، كسراجين[2] يقدان ، بساعد مجدول ، و عضد مفتول ، و كف شتنته البراثن ، إلى مخالب كالمحاجن ، فضرب بيده الأرض ، فأرهج و كشر ، فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة[3] غير مفلولة ، و فم أشدق ، كالغار الأحوق ، ثم تمطى فأشرع يديه ، حتى صار ظله مثليه ،

(١) فى الأصل : رميض .
(٢) فى الأصل : كسراجان .
(٣) فى الأصل : مقصولة .

Marfat.com

ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهـــم فازبأر[1] ، فلا و الله ! ما اتقيناه بأول من أخ من فزارة ، كان ضخم الجزارة ، فأخذه الأسد ، فقضقض متنه ، و بقر بطنه ، و أقبل يولغ فى دمه ، فذمرت أصحابى ، فهجهجنا به ، فكر مقشعرا ، و اختطف من دونى رجلا ، فنفضه نفضة تزايلت مفاصله ، ثم نهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه ، من شماله و عن يمينه ، فأرعشت الأيدى ، و اصطكت الأرجل ، و أطّت الأضلاع ، و أحجمت العيون ، و انخذلت المتون ، و انسهلت البطون ، ثم أنشأ يقول هذه الأبيات :

عبوس شموس مصلخذ مكابر جرىء على الإقدام للقرن قاهر
براثنه مهق و عيناه فى الدجى كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر
يذل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الأنياب عنها الخناجر

فقال له أمير المؤمنين عثمان : اسكت ، قطع الله لسانك ! فقد رعبت قلوب المسلمين . و لبعضهم فى الأسد :

معبّس الوجه أفطس المنخر مهدّل الشدق غائر المحجر
أنيابه مثل القضا فهى إذا كشر عنها بانت[2] كالخنجر
يسترق البرق من لواحظه و الرعد من صوته إذا زجر

/ و اعلم أن الأسد له أسماء ، منها الأسد و السبع و الغضنفر و الضيغم ١٣٩ / الف

(١) فى الأصل : فازتارّ .
(٢) فى الأصل : تبان ، و لا يستقيم به الوزن .

Marfat.com

و القسورة و الليث و أبو الحارث و الهزبر و الهيضم و الريبال و الهرماس و الفرافصة و أسامة و ساعدة ، و هما اسمان معرفتان . و الشبل : ولد الأسد ، و هو الشيع و الحفص ، و يقال : به سمى الرجل حفصا . و اللبوءة : الأنثى من الأسد . و الغيل : موضع الأسد ، و جمعه أغيال ، و هو العرين و العزين و العريشة و الخيس ، و جمعه أخياس . و الشرى : موضع ينسب إليه الأسد .

و أما البقر الوحشية فيقال لها : الربرب و الغيطلة : البقرة الوحشية . و الجؤذر : ولد البقره الوحشية . و الوعول : تيوس الجبال ، واحدها وعل . و جماعة الحمير الوحشية يقال لها : عانة ، و جمعها عون ـ انتهى .

نعود ـ و مع ما فى الأسد من القوة و الشجاعة إذا رأى الفأر تحول إلى خلفه ، و صر أذنيه ، و حرك ذنبه ، و بال فى مكانه ، و صار متحلق[1] العينين ، لا يدرى أى شىء قد ورد عليه و يهمهم . و قيل : إن الأسد إذا رأى الديك الأفرق الشديد البياض ، الشديد حمرة الرأس ، و ما أضيف إليه ، خضع له حتى يقال : إنه يعبده ، و إذا كان الديك فى قافلة لم يقربها الأسد بوجه و لا بسبب ، و كلما صغر حجم الديك كان أعظم فى نفس الأسد .

و قيل : إن الخنزير إذا حمل على ظهر حمار و شد حتى لا يضطرب ، فبال الحمار من تحت الخنزير ، مات الخنزير فوق الحمار . و أما الغول فقيل : إنه جن ، مسكنه الصحارى ، يتراءى للانسان كأنه إنسان فلا يزال

(١) فى الأصل : مبحاق .

Marfat.com

يتبعه حتى يضل الطريق فيهلك . و السعالى: إناث[1] الغيلان ، و ذكر الغيلان يسمى كعنكعا . [2]و أنشدوا :

غولا تراعى شرسا كعنكعا[2]

/ و الصحارى تشتمل على الجبال و الأماكن المرتفعة و الأحجار، /١٣٩
فالطود : الجبل العظيم ، و كذلك الطور ، و الشعب : الطريق فى الجبل ، ٥
و الأخشب : الجبل الخشن . و الباذخ : الطويل المرتفع ، و كذلك الشامخ [و الشاهق . و النيق : أعلى الجبل . و الشعاف : رؤس الجبال ، الواحدة شعفة ، و كذلك الشماريخ ـ [3]] و الشناخيب . و الهضاب : جبال تنبسط على الأرض ، الواحدة هضبة ، و الآكام نحو منها ، الواحدة أكمة . و الثنية : العقبة ، و جمعها ثنايا . و الربوة و الرابية : ما ارتفع ١٠ من الأرض ، و الصوّان : حجارة صلبة تقتدح منها النار ، الواحدة صوانة . و الصلب : حجر المسن . و المرو[4] : حجارة بيض براقة تكون فيها النار . و النشفة : الحجارة التى تدلك بها الأقدام . و الصفاة : الصخرة . و الجلاميد : الصخور ، واحدها جلمود .

و قيل : إن بأقصى سواحل الهند شجرا[5] يقال له : السلسفور ، إذا ١٥

---

(١) فى الأصل : اناثى .
(٢ ـ ٢) الجملة أضافها المصحح و المراجع بقلم آخر فى هامشه .
(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت فى هامشه بقلم المراجع .
(٤) المرو حجر صلب براق ، و يعرف أحيانا بالصوان .
(٥) فى الأصل : شجر .

Marfat.com

قطع قضبان تلك الشجرة و ألقيت على الأرض صارت حيات تسعى، فاذا أخذت باليد كانت قضبان خشب .

و قيل : إن النعام يلتقط الجمر و يأكله، و يزدرد الحديد و الحصى، فاذا صار فى حوصلته ، ذاب و صار له غـذاء ، و لا يضره لهب النار و لا صلابة الحديد . و قيل : إن الحديد لا يذوب فى النار إلا أن طرح عليه الزرنيخ . و الظليم : ذكر النعام . و الرئال : فراخ النعام .

و قيل : إن المرأة إذا اختضبت بالحنـاء و باتت عليه ثم بالت ، كان بولها مثل بول المحمومين الغـالب عليهم الصفراء ، و يـكون للبول صبغ شديد الحمرة .

و قيل : إن الحنظلة الواحدة النابتة فى أصل واحد ، و ليس معها فى ذلك الأصل غيرها ، ثم أمسكها[1] الإنسان بيده ، حصل له الإسهال ما دامت فى يده إلى أن يموت حتى يلقيها من يـده . و قيل : إن نشفت و أخذ من شحمها شىء و طُلى به رجلا حمـار[2] و يداه[2] ثم ركـبـه راكب ، أسهل الراكب إسهالا عظيما ما دام راكبا[3] على ذلك الحمار ، و لا يسهل الحمار .

و قيل : إن حجر المغناطيس يجتذب الحديد لطاعته له ، فاذا دلك بالثوم بطل جذبه للحديد ، و إذا غمس الحجر / فى دم تيس عـاد جذبه ١/ الف

---

(١) فى الأصل : مسكها .

(٢) فى الأصل : او يديه .

(٣) فى الأصل : راكب .

Marfat.com

إليه ، و بطل فعل الثوم ـ و قد تقدم ما قيل فى حجر المغناطيس و مواضعه فأغنى عن إعادته .

فلنذكر الآن ما قيل فى الزرافة و صفتها و نتاجها إن شاء الله تعالى ـ أكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة فى أرض النوبة ، و قد يتوزع فى نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة ، فمنهم من رأى أن بدء نتاجها من الإبل ، و منهم من رأى أن ذلك يجمع بين الإبل و البقر و الزرافة . و أن النمور ظهرت من ذلك ، و منهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بخلقه كقيام الخيل و الحمير و البقر ، و أن ليس سبيلها سبيل البغال المولدة النتاج من الخيل و الحمير . و قد كانت تهدى إلى الملوك ، و هى دابة طويلة اليدين و الرقبة ، قصيرة الرجلين ، لا ركبتان[1] لرجليها ، و إنما الركبتان ليديها . و قد ذكر الجاحظ فى « كتاب الحيوان » عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا فى نتاجها ، و أن فى أعالى بلاد النوبة تجتمع سباع و وحوش و دواب كثيرة فى حمارة القيظ إلى شرائع المياه ، فتتسافد هناك ، فيلقح منها ما يلقح ، و يمتنع ما يمتنع ؛ فيجىء من ذلك خلق كثير مختلفو الصور و الأشكال منها الزرافة ، و الزرافة ذات أظلاف ، و هى دابة منحنية إلى خلفها متضورة[2] ، و ذلك لقصر رجليها ، و للناس فى الزرافة كلام كثير ، و أن النمورة بأرض النوبة عظيمة ، و الزرافة عجيبة الفعل فى تألفها و ترددها إلى أهلها ، و هى كالفيلة ، منها وحشية و منها مستأنسة .

فلنذكر الآن خبر الباز الذى سل الملك عنقه بعد صيده ، و جعل

(١) فى الأصل : لا ركبتين . (٢) فى الأصل : مصورة .

Marfat.com

ذلك عبرة لخواصه و أمرائه . و ذلك أن أحد ملوك الروم أهـدى لسلطان إفريقية بأرض المغرب هدية فيها باز يصطاد العقاب . فعجب السلطان من باز يصيد سيد الطير و هو العقاب . ثم إنـه خرج يتصيد و ذلك الباز على يـده ، و خواصه و أمراؤه حوله ، فرأى السلطان
١٠/ب ٥ / عقابا طائرا ، فأطلقه عليه ، فما كان إلا لحظة طرف و إذا بالبـاز ركب ظهر العقاب و صار يرفرف بأجنحته عـلى عينيه بدهوشه بهما حتى نزل بـه ، فلما قبض العقاب منه ، طار الباز و وقف على يـد السلطان ، فتعجب السلطان و خواصه و أمراؤه من فعله ذلك و استحسنوه منه ، فعمد السلطان إلى عنق الباز فقتله ، و استله من موضعه و ألقاه من يده الى الأرض . فشرع يتخبط الى أن مات ، فاندهلت عقول الأمراء من فعل السلطان بالباز ما فعل ، و تعجبوا من ذلك ، و سألوه : كيف قتل من غير إساءة ظهرت منه ؟ فقال السلطان : هذا جزاء من يتعدى على سيده ، و يعمل على هلاكه . ففهموا منه تلك الإشارة التى هى عبارة ، تفتتت منها المرارة .

و اعلم أن الصيد لما يجوز صيده ثلاثة أوصاف : كونه وحشيا ، و الثانى لا يقدر عليه الا بآلة . و الثالث أن يكون الصيد مباحا جائزا أكله - انتهى .

فلنذكر الآن أصناف الطير و ما قال[1] اللغويون فيها - المضرحى : النسر العظيم ، و كذلك القشعم . و الأجدل : الصقر . و القطامى :

---

(١) فى الأصل : قالت .

Marfat.com

العقاب ، و الهيثم : فرخ العقاب . و قيل : فرخ النسر ، و الهوذة : القطاة ، و الصلصلة : الفاختة ، و العكرمة : الحمامة ، و الجوازل : فراخ الحمام ، الواحد جوزل ، و الحمام عند العرب هى البرية ذوات الأطواق كالفواخت و القمارى و نحوها .

فأما الدواجن فى البيوت فهى و ما أشبهها من طير الصحراء اليمام ، و الحاتم : الغراب ، و يقال له ابن دأية ، و يقال : نغق الغراب ينغق - بغين معجمة - إذا صاح ، و كذلك نعب ينعب . و الواق : الصرد ، و جمعه صردان[1] . و اليعاقيب : ذكور الحجل ، واحدها يعقوب . و السلك الذكر [من] فراخ الحجل ، و الأنثى سلكة[2] . و الفياد : ذكر البوم . و الحيقطان : ذكر الدراج ، و ساق حر : ذكر القمارى . و الخرب : ذكر الحبارى ، و جمعه خربان . و النهار : فرخ الحبارى ، و الليل : فرخ الكروان . و الغترفان : الديك . و الوطواط : الخطاف . و الكفيت : البلبل . ١٤١/ الف و الغرانيق : طير الماء ، الواحد غرنيق . و المكاء : طائر يصوت فى الرياض ، سمى مكاء لأنه يمكو أى يصفر . و الوضع : طائر صغير ، و منه الحديث «إن إسرافيل ليتواضع لله حتى يصير كالوضع» . و النغر : العصفور ، و جمعه نغران ، و النهس : طائر صغير الجسم . و السيد : طائر لين الريش ، إذا قطرت عليه قطرة من ماء جرت من لينه ، و جمعه سيدان . و الشنوط - بفتح الثاء

(١) فى الأصل : صرادن .
(٢) فى الأصل : مسلكة .

Marfat.com

وضم الواو: طائر يدلى خيوطا من شجرة، ثم يفرخ فيها . و البرقش : طائر صغير ملمع ، و دو الذى يسميه أهل الحجاز الشرشور . و بغاث الطير : خساسها التى لا تصيد منها . و السقطان من الطائر : جناحاه ، و هما يداه ، و فى الجناح عشرون ريشة : أربع منها قوادم و هى أعلاها ، ثم أربع مناكب ، ثم أربع كلى ، ثم أربع خواف ، ثم أربع أبامر ، و هى التى تلى الجنب . و العرفية : عرف الديك . و الفيض : قشر البيضة الأعلى ، و يقال : أفضت الدجاجة - إذا انقطع بيضها ، و كذلك الحمامة ، و مثله أفضت السماء إفضاء - إذا انقطع مطرها - انتهى .

* * * * *

خاتمة الطبع

الحمد لله العزيز العلام ، و الصلاة و السلام على سيد الأنام ، محمد المصطفى و آله النجباء البررة الكرام . و أصحابه الأعلام ، أئمة الهدى و مصابيح الظلام ؛ و بعد فقد وقع الفراغ من الجزء الخامس من « كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام » للشيخ الإمام الهمام ، محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى - رحمه الله - يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٩٣ هـ = ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ م ؛ تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها أحد أعلام الهند من أولى الألباب ، « أفضل العلماء » السيد بروفسور عبد الوهاب ، البخارى حين الانتساب ، إلى آبائه الكرام ذوى الأحساب و الأنساب ، و فى الله أجره بغير حساب انعم العبد انه اواب !

Marfat.com

اعتنى بتصحيح الكتاب و تحقيقه و التعليق عليه ميزة الأماثل، الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطية ، أعانه الله فى خدمته العلمية العلية ! و عنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة ـ غفر الله له و لوالديه ـ بعد إعادة المعارضة و المقابلة بالأفلام الصغيرة لمخطوطة القاهرة، و المراجعة فى المراجع و المصادر المتعلقة .

و يليه الجزء السادس و أوله « عود إلى ذكر دخول السلطان الأشرف شعبان ثغر الإسكندرية » يسر الله إتمامه فى خير !

و فى الختام ندعو الله تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علّم فواتح الخير و خواتمه، سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

Marfat.com